أصول
الفرق الإسلامية

تأليف
الأستاذ الدكتور
عمر بن عبد العزيز قريشي

رقم الإيداع ٣٠٤١ / ٢٠٠١
حنون للطباعة
ت : ٦٢٨٢٥٢٤ / ٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلي الدارس

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله " أما بعد "

فهذه مادة " أصول الفرق الإسلامية "

والتى تهدف من وراء دراستها إلى هدف عام ، ألا وهو دراسة الأصول الاعتقادية لأشهر الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة فى العقيدة . وبيان بطلان تلك الأصول من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.

وأما الأهداف الخاصة فهى الإحاطة المجملة بملابسات نشأة الفرق فى التاريخ الإسلامى ، والإحاطة المفصلة بأكبر الفرق وأخطرها فى التاريخ الإسلامى فى القديم والحديث ، وذلك مثل المعتزلة – الجبرية – المرجئة.

وأخيراً : أهل السنة والجماعة:

ولذلك فإنه يرتكز كلامنا من هذا المقرر عن الآتى:

أولاً: نبذه تاريخية مختصرة عن نشأة الفرق فى التاريخ الإسلامى . وأهم الأسباب التى أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية.

ثانياً : المعتزلة : تعريفهم ، أصولهم الاعتقادية مع الرد عليهم ، وبيان الضلال عندهم ، وأبرز كتبهم ورجالهم ، وأشهر مصنفات أهل السنة فى الرد عليهم .

ثالثا: الجبرية : تعريفهم ، وأصولهم العقدية – مبادئ الجبرية – الرد عليهم – أصنافهم – فرقهم – أهم أعلام المذهب الجبرى.

رابعاً: المرجئة : التعريف والتسمية – الجذور التاريخية – مبادئ المرجئة – فرق المرجئة.

خامساً: أهل السنة والجماعة: التعريف – التأسيس – الإيمان – القرآن الكريم – القدر – أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.

الأشاعرة – مبادئ الأشاعرة – الأشاعرة (بين الجرح والتعديل)

الماتريدية: التعريف – الانتشار ومواقع النفوذ.

الصفاتية: أهم فرقهم – مبادؤهم.

كتبه

عمر بن عبد العزيز

الوحدة الأولي

نشأة الفرق فى التاريخ الإسلامي

الأهداف الخاصة

يتوقع منك - عزيزي الدارس - بعد دراستك **لهذه الوحدة** ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ - تعريف الفرقة لغة واصطلاحا .
٢ - الفرق بين الفُرقة والاختلاف .
٣ - متى نشأت الفرقة بين المسلمين .
٤ - متى نشأت الفرق الإسلامية .
٥ - أهم أسباب الفرقة .

الوحدة الأولي

نبذة تاريخية عن نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي ، وبيان أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية

* مقدمات لابد منها :

أولاً : تعريف الفرقة :

معني " الفرقة " لغة لها عدة معاني ، تكون من الفصل ، كما قال تعالي : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (١) وتكون من الفلق ، كقوله تعالي : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ (٢) وتكون من الفرق كقوله تعالي : ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ (٣) وتكون من الفرقة والافتراق التي هي ضد الوحدة والتجمع ، كما في قوله تعالي : ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤) فالفرقة ضد الوحدة ، وتفرق ضده تجمع وتوحد ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ ﴾ (٥)

وهذا الأخير هو مجال بحثنا هنا ، وهو ما جاءت جل آيات القرآن الكريم محذرة منه ، وناهية عنه ، ومنبهة على خطورته ، ومحذرة من مغبته وعاقبته ، ومثاله قول الله تعالي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٦) وقوله جل وعلا : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٧)

ومثلها كلمة " المنازعة " التي فيها النزاع الذي يؤدي إلي الفرقة ، ويورث الفشل ، المنهى عنه قوله تعالي : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾ (٨)

---

١ – سورة الدخان : ٤ .
٢ – سورة البقرة : ٥٠ .
٣ – سورة المرسلات : ٤ .
٤ – سورة المائدة : ٢٥ .
٥ – سورة آل عمران : ١٠٥ .
٦ – سورة الأنعام : ١٥٩ .
٧ – سورة البينة : ٤ .
٨ – سورة الأنفال : ٤٦ .

ويراد منها " الاختلاف " ولكن بينهما عموم وخصوص .

فالعموم يكون بمعناها ،ومرادف لها ، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة " الاختلاف " بهذا المعني ، لأنه لما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة في مثل قوله تعالي : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ﴾ (١) وكذلك ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (٢) وقوله تعالي : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ (٣) وقوله جلا وعلا : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤)

وأما الخصوص الذى بينهما أن الفرقة لا تكون بمعني الخلاف ، ولا الخلاف يكون بمعني الفرقة ، بل تكون الفرقة مذمومة على كل حال ، ويكون الاختلاف منه ما هو محمود ومذموم .

والفرقة اصطلاحاً : هي تباعد الأمة وتناحرها ، ولا يتعلق بوجهات النظر ، بل يكون من الغرور واتباع الهوى ، وذلك يؤدي إلى شتات الأمة وضعفها وسقوطها أمام أعدائها .

ثانياً : بين الفرقة والاختلاف :

إن " الفرقة " **داء قتال** وطاعون خبيث ، لا ثمرة لها إلا تحطيم الحضارات وإتلاف الجهود ، وتبديدها وتهيئتها للزوال والاندثار ، وسآءلوا التاريخ عن ضياع الأندلس قديماً ، وفلسطين حديثاً ، وما يقع في أفغانستان ، وما حل بالأمة

١ – سورة مريم : ٣٧ .
٢ – سورة هود : ١١٨ .
٣ – سورة الذاريات : ٨ .
٤ – سورة السجدة : ٢٥ .

في كل جيل وقبيل ، وعصر ومصر ، سيجيبكم أن السبب الرئيس في ذلك كله هو الفرقة فبسببها تضيع الأمم ، وتحل الهزائم ، وتذل الأمة أمام عدوها .

ولذلك كره الإسلام الفرقة باعتباره دينا يدعو إلي الوحدة والائتلاف والتصافي والترابط ، وهذه الفرقة إنما فتنة عمل المغرضون على إثارتها ، وهي ما دبت في أمة إلا غدت تفقدها كل شيء بعد أن جمعت ما يؤهلها إلي قيادة البشرية .

والقائمون على تغذيتها قوم خبثت نفوسهم لدرجة الحكم عليهم بالعذاب في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالي : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (1)

وأما " الخلاف " وكذا " الاختلاف : أيضا ، فمعناه أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله ، والخلاف أعم من الضد ، لأن كل ضدين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين ، ولذلك فالخلاف منه المحمود والمذموم .

والاختلاف علمي ونظري ، وكلاهما لا يؤدي إلي تفرق الجماعة ، ولا يمزق وحدة المسلمين ، ولأن الاختلاف يتعلق بالفروع ولا يكون في الأصول الأساسية ، ويكون في مسائل الاجتهاد التي لا نص فيها مثل وجهات النظر بين الناس .

---

1 - سورة آل عمران : 105 ، 106 .

وهذا لنوع من لاختلاف جائز ، لأنه اختلاف تنوع ، لا اختلاف تضاد . ولكنه إذا أدي إلي تفرق المسلمين ، فإنه يدخل ضمن الاختلاف المذموم .

وهذا لنوع من لاختلاف جائز ، لأنه لختلاف تنوع ، لا اختلاف تضاد ولكنه إذا أدي إلي تفرق المسلمين فإنه يدخل ضمن الاختلاف المذموم .

ويجب أن نعلم أن الخلاف في الفروع أمر واقع ، ماله من دافع ، وقد وقع هذا الخلاف بين الصحابة دون أن يفرق كلمتهم ، أو يمزق وحدتهم ، ومنه ما وقع في حياة النبي (ﷺ) وما وقع بعد وفاته أيضاً .

ومثال ما كان في حياته (ﷺ) ، اختلافهم في فهم حديث " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة " (¹) وما وقع بعد وفاته (ﷺ) : مثل خلافهم في تغسيل النبي (ﷺ) بثيابه أم تنزع عنه ، وكذا مكان دفنه ، واختلافهم فيمن يتولى الخلافة من بعده ، وقد توالت الاختلافات دون أن تنال من وحدة الأمة .

ثالثاً : نشأة الفرقة بين المسلمين :

إعلم أن الفرقة بين المسلمين ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب ، بل لها بذورها وجذورها وأصولها البعيدة التي تمتد بها إلي القرن الأول الهجري ، وحتى حاضرنا هذا المؤلم .

فقد بدت الفرقة تطل برأسها منذ هجرة النبي (ﷺ) ، وصحبه الكرام إلي المدينة المنورة ، وقد أسست دولة الإسلام الفتية ، وقد حرص النبي (ﷺ) على أن يقيمها على أسس قوية ، ودعائم متينة ، وصلات صحيحة ، ولكن ذلك أحزن اليهود وأفزعهم ، وخافوا على دنياهم وسيادتهم ، سيما من

---

١ - رواه البخاري .

كان سيتوج ملكا عليهم ، المدعو " عبد الله بن أُبيّ بن سلول " فكشروا عن أنيابهم ، وأعلنوا عن عدائهم ، وأظهروا كراهيتهم للإسلام ولنبيه ولدعوته ، ثم عادوا فجبنوا ، فتظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر ، فظهر النفاق والمنافقون ، وحرص المنافقون أشد الحرص على تفريق كلمة المسلمين يعاونهم اليهود في ذلك، وقد استخدموا في ذلك أساليب شتي ، منها ما حكاه القرآن الكريم ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) ثم بنوا مسجداً لأنفسهم ، له مهام معينه حددها القرآن ، أهمها تفريق كلمة المسلمين ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

ثم كان حرصهم الأكبر على نقض دعامة الأخوة التي أرساها النبي (ﷺ) بين المسلمين ، سواء أكان فيما بين الأوس والخزرج ، وقد قام بهذا الدور " شاس بن قيس " أو فيما بين المهاجرين والأنصار ، وقام بهذا الدور " عبد الله ابن أبي بن سلول " عند عودة المسلمين من غزوة "بني المصطلق " .

ثم راح – لعنه الله – يبذر الخلافات ، ويثير الشائعات ، ويختلق حديث الإفك ....

وهكذا ظل دور المنافقين ينشط في تفريق كلمة المسلمين ، وزرع بذور الضغائن والعناد وغرس وسائل الفتنة والفساد ، ولكن الله تعالي لهم بالمرصاد .

١ – سورة آل عمران : ٧٢ .

٢ – سورة التوبة : ١٠٧ .

لقد كشف مؤامراتهم ، وفضح أسرارهم ، وأظهر مكنوناتهم ، فلم تفلح لهم خطة ، ولم تنجح لهم مؤامرة ، وباءت كل جهودهم بالفشل -- بفضل الله تعالي -- مع نزول الوحي من السماء ، حتى أيقنوا بالفشل والهزيمة ، ورلحوا ينتظرون انقطاع الوحي من السماء بموت النبي (ﷺ) أو قتله ، ولذلك حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام -- كثيراً ، ولكن الله تعالي عصمه من الناس ، فهدأوا بعض الوقت ، واختبأوا يدبرون ويخططون ؛ فلما انقطع الوحي من السماء بموت النبي (ﷺ) خرجت الأفاعي من جحورها . لتزاول دورها في فرقة المسلمين والقضاء على هذا الدين ، وهم بمأمن من فضيحة وحي السماء لهم ، أو كشف مؤامراتهم ، ولذلك كان لهم دور لا بأس به في أيام خلافة أبي بكر الصديق -- رضي الله عنه -- بما عرف بحروب الردة ، ولكن كانوا بعيدين عن الأعين ، وفي خلافة عمر بن الخطاب -- رضي الله عنه -- ، تم إجلاؤهم عن جزيرة العرب ، فدبروا لمقتل فاروق الأمة " عمر بن الخطاب " وقام بتنفيذ المؤامرة " أبو لؤلؤة المجوسي " وانكسر باب الفتنة بمقتل عمر -- رضي الله عنه -- وأرضاه .

رابعاً : نشأة الفرق وأساسها :

إنه بمقتل " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، أطلت الفتنة برأسها من جديد لتعمل بكل قواها ، وتؤدي دورها في كل اتجاه علمي أو عملي ، ديني أو سياسي .

ولئن كانت الفتنة التي عمل على إيجادها اليهود ، وعلى إثارتها المنافقون لم تنجح من قبل في تفريق الكلمة . أو تمزيق الصف ، فإن الفتنة من بعد مقتل عمر ، وفي أيام خلافة عثمان بن عفان -- رضي الله عنه -- قد نجحت ، وبدأت تؤتي ثمارها الخبيثة في اختلاف ذات البين ، وتمزيق الصف ، وضعف الأمة ، والذي تولي كبرها -- في هذه المرة -- هو " عبد الله بن سبأ " المعروف بابن السوداء -- سوّد الله وجهه -- الذي تظاهر بالإسلام ، وبحبه لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

فراح يقول بوصاية " علي بن أبي طالب " رضي الله عنه – أي أنه وصي رسول الله (ﷺ) ، وأولى الناس بعده بالخلافة ثم أخذ يذم أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – يتهمهما بأنهما قد انتزعا الخلافة من "علي رضي الله عنه" . والأدهى من ذلك ما افتراه على سيدنا "عثمان رضي الله عنه" من افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان . واتهامات ليس لها من الحقيقة نصيب ، ولا من الواقع رصيد ، ولكنه أشاع ذلك في الناس ، وانتقل في الأقطار والأمصار ، وكتب به الكتب ، وأرسل به رسائل ورسل ، يؤلب الناس على عثمان رضي الله عنه . فلقي آذانا استمعت له . ورعاعا صاروا جندا له . وجاء الثوار من الأمصار . خاصة مصر والكوفة . وخرج الخوارج على عثمان رضي الله عنه ، وثاروا عليه ، واجتمعوا حول بيته ، وما انفضوا حتى قتلوه رضي الله عنه ، وهؤلاء الخوارج أصحاب الفتنة . هم أصحاب عبد الله بن سبأ وتلاميذه ومؤيدوه .

ولم يكن فيهم أحد من خيرة الصحابة رضي الله عنهم ، وأنه بينهم وبين خيرة الصحابة أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير .

ورحمه الله ابن تيمية إذ قال في منهاج السنة : إن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان ، لا قتل ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن ، وكان على رضي الله عنه يقول : " اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل " .

وهؤلاء الذين شاركوا في الجناية على الإسلام بمقتل أمير المؤمنين " عثمان " رضي الله عنه ، طوائف على مراتب : فيهم الذي غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات ، وارتكبوا في إنكارها الموبقات .

ومنهم الذين ينزعون إلي عصبية جاهلية ، يبغضون شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لهم في الإسلام سابقة ، فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما

أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد .

وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم ، فأضطغنوا في قلوبهم الإحنة والغل لأجلها ، وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة .

وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه .

وفيهم من أصابهم من "عثمان" من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام فأغضبهم التعزير الشرعي من عثمان .

وفيهم المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه .

وفيهم أهل الفتنة ، وعلى رأسهم السبأيون ، والمنافقون ، وفيهم ، وفيهم ..

وعلى الإجمال فإن الرحمة التى جبل عليها عثمان ، وامتلأ بها قلبه ، أطمعت الكثيرين فيه ، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم .

ولو صدق التاريخ لأوقفنا على نفسيات هؤلاء الخوارج على " عثمان " وعلى أغراضهم ونوعياتهم ، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الإسلامي (١) .

ثم ماذا ؟ لما قضى الله تعالى أمره ، وأمضى قدره ، وذلك بمقتل ذي النورين عثمان رضي الله عنه ، علم أن الحق ألا يترك الناس سدى ، وأن

١ - العواصم من القواصم ، هامش (تحقيق وتعليق) ص (٧٣) .

المسلمين بعده مفتقرون إلي خليفة ، مفروض عليهم النظر فيه ، ولم يكن بعد الخلفاء الثلاثة كالرابع قدرا وعلما ، وتقي ودينا ، فانعقدت له البيعة ، ولولا الإسراع بعقد البيعة "لعلي" لتدافع إليها الأوباش ، فيقع ما لا يرقع خرقه .

ولكن عليا رضي الله عنه أبي البيعة وتبرأ من الأمر ، وابتعد عنه ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، وقالوا له : ننشدك الله ، ألا تري الفتنة ، ألا تخاف الله ؟ فلما رأي أن الأمر فرض عليه ، انقاد إليه ، حتى أتي الناس عليا وهو في سوق المدينة ، وقالوا له ابسط يدك نبايعك ، فقال : لا تعجلوا ، حتى يجتمع الناس ويتشاورون ، وتمت له البيعة .

وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة علي رضي الله عنه – كبيعة إخوانه من قبل – جاءت على قدرها وفي إبانها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خالية موهومة " .

ولما استقر أمر بيعة علي رضي الله عنه ، دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ليأتيه منها بالجنود ، ليقوي بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذي كانوا معهم في مقتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لهما : مهلا عليَّ ، حتى أنظر في هذا الأمر .

ولكن تعجل طلحة والزبير وعائشة "رضي الله عنهم" – الأمر ، وخرجوا على رأس جيش يطالب عليا بالقصاص من قتلة عثمان ، وإن كانوا أرادوا أن يتفقوا مع علي رضي الله عنه على الطريقة التى يتوصلون بها إلي ذلك ، ولكن دسائس السبئيين وحرصهم على عدم الصلح أدي إلي وقوع موقعة الجمل .

هذا ... وفي نفس الوقت لم يكن قد بايع أهل الشام ، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه ، وقد تأثر الناس بمقتل عثمان تأثرا عظيماً ، وعلقوا قميص عثمان ، وأخذوا يبكون حوله ، ويطالبون بدم عثمان ، وأرسل علي إلي معاوية يطلب منه البيعة ، فرفض معاوية حتى يأخذ علي بالقصاص من قتلة عثمان ، وأما موقف "علي" من قتلة "عثمان" ، فإنهم كانوا – عند البيعة له – مستولين على زمام الأمر في المدينة ، ولم يكن في استطاعة "علي" ولا غيره أن يقف منهم موقفاً يستطيع فيه القصاص ، في الوقت الذي حرص فيه السبيئون على إثارة الفتن والقلاقل ، وإثارة الأحقاد والضغائن ، وأخذوا ينفخون في الرماد ، ويحاولون اسعار الحرب بين المسلمين مرة أخري ، ويحرضون شيعة " علي " ضد كل من يطلب بثأر عثمان وقصاصة ، وخاصة معاوية – الذي عزله "علي" عن الشام ، وامتنع من الخضوع لخلافة "علي رضي الله عنه" والتسليم بإمارته إلا بالشرط الذي اشترطه ، وهو القصاص ، وتم تبادل الرسائل بين الطرفين ، ولكنها لم تؤد دورها ، لوجود عناصر تفسد وسائل الصلح ، لتحقيق أغراضهم ومآربهم ، ومن هنا قامت معركة صفين بأحداثها المعروفة تاريخيا ، وبما جرت على المسلمين من شر مستطير ، حيث كانت الشرارة التي نجمت عنها الفرق ، في الوقت الذي اشتد فيه القتال ، دعا قوم إلي التحكيم ، والناس ما بين مؤيد ومعارض ، أو معارض أولا ثم وافق بعد ذلك ، والعكس أيضا ، ولكن هذا التحكيم ترتب عليه ما الله به عليم ، وإن كانت فتنة التحكيم ليست كما صورتها كتب التاريخ في الروايات المشهورة ، وإن كانت باطلة ، ولكن كان هناك تحكيم أدى إلي خلع "علي" "ومعاوية" – رضي الله عنهما ، وعلى المسلمين أن يختاروا واحدا من بقية الستة الذين مات رسول الله (ﷺ) ، وهم عنهم راض .

ولكن هذه النتيجة لم تحقن دماء المسلمين ولم توقف النزيف ، ولم تؤد إلي صلح ، ومن هنا خرجت الخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية والحكمين ، وكل

من وافق على التحكيم ، وجعلوا شعارهم " لا حكم إلا لله " وقالوا : أتحكمون الرجال في دين الله ؟ !

وكان ما كان من أمرهم – كما ستعرفه في موضعه ، إن شاء الله تعالي .

وهذا في الوقت الذي اندس فيه السبئيون في صفوف جيش "علي" رضي الله عنه ، ثم راحوا يزعمون مزاعم كقولهم بالوصية لعلي ، وقولهم بالرجعة ، وتكفيرهم لأبي بكر وعمر ولعنهما ، مع غلو في محبة "علي" رضي الله عنه ، جعلتهم على طوائف ، منهم من زعم له الألوهية ، وآخرون قالوا بالنبوة لعلي ، وقد أخطأ " جبريل " صاحب الريش – لما نزل على محمد (ﷺ) ، ومن هؤلاء تكونت نواة الشيعة ، فكانت على النقيض من الخوارج ، خاصة فيما يرتبط بأمر علي رضي الله عنه .

أقول : ومن هنا كانت بداية الفرق ، حيث عرفت بأسمائها ، وصار لها وجود في أرض الواقع ، فهذه الشيعة تحب عليا وتناصره ، وتلك الخوارج تبغض عليا وتكفره ، وهنا من توقف في الحكم على الأشياء ، وأرجيء فيها إلي الله تعالي ، فكانت المرجئة ، وحيث احتج أناس بالقضاء والقدر في مثل هذه الأمور وغيرها ، وبدأ الناس يفهمون القضاء والقدر فهما خاطئاً ، فوجد في المسلمين من هم على طرفي نقيض ،حيث " القدرية " ينكرون القدر ، ويقولون لا قدر والأمر أنف " أي مستأنف و " الجبرية " على عكس ذلك ، إذ يرون أن الإنسان مجبر على كل شيء قدرا ، وأنه كالريشة في مهب الريح ، وهنا من خالفهم في هذا ، يتردد في نسبة الشر إلي الله تعالي أو نفيه عنه ، فكانت " الإبليسية " وحيث تكلم الناس في حكم مرتكب الكبيرة ، إذا قالت الخوارج هو كافر مخلد في النار ، وزعمت المرجئة أنه مؤمن كامل الإيمان ،إذ لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، رأي " واصل بن عطاء " أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ، فليس مؤمنا ولا كافرا ، ويحكم عليه بالخلود في النار ، فكانت بداية فكر المعتزلة .

وفي فترة عمها الأمن ، وتوقفت **الفتوحات** ، بدأ الحديث عن كثير من قضايا الدين بالبحث عن غوامض **المسائل** ودقائق الأشياء ، مع وجود عناصر مغرضة على ضوء الطريق ، وربما **مع قلة الأدوات** ، فترتب على هذا الكثير من الخلاف المذموم الذي **أدي إلي ظهور فرق أخري** .

ومثاله : خلف الناس حول **مفهوم الأسماء** والصفات ، والذي ترتب عليه وجود فرق عرفت باسم " المشبهة **المجسمة** " و " النفاة المعطلة " و " **المؤلة** " وغيرهم ، ومع كثرة الخلافات **والفتن ، وجد في** الناس من اعتزل ، وتزهد في أمر الدنيا ، فكانت بداية مدرسة الزهد ، **البذرة الأولي** التي انبثق منها التصوف بعد ذلك بفرقه المتعددة ،وطرقه **المتنوعة** ، وحيث انضم إليهم من ليس منهم ، واختبأ في خلواتهم زنادقة ونحوهم ، **فخرج** من عباءتهم الفلاسفة الذين آمنوا بوحدة الوجود ، أو الاتحاد والحلول ، **وعرفوا** " بالحلولية " .

وتفرقت الجماعة الكبيرة **إلي فرق** ، **والفرق** تنازعت وصارت فرقا ، وشيعا وأحزابا وظلت الفرق تتوالى **تترى** ، وحيث وجدت البابية **والبهائية** والقاديانية ، وفي عصرنا هذا وجد **أهل** الحداثة والتغريب ، والعلمانية، والماسونية ، والشيوعية – تحت عباءة **الإسلام** – وكذا حزب البعث وغير ذلك..

وسنتناول الدراسة – بعون الله **وتوفيقه** – أهم هذه الفرق والمذاهب ، سيما الذي ظلت أفكارها وآراؤها حية **ومنتشرة في** أوساط المسلمين .

خامساً : أهم أسباب الفرقة والتي أدت إلي ظهور الفرق الإسلامية :

وذكرنا لأسباب الفرقة من باب تشخيص الداء لمعرفة الدواء وأسبابها كثيرة ومتعددة ومتنوعة ، كما أنها متشابكة ومتداخلة ، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة ، منها المباشر وغير المباشر ، كما أن منها ما هو ديني وما هو سياسي ، وما هو نفسي وما هو قلبي ، ومنها القريب ، ومنها البعيد ، ومنها الماثل للعين ، الطاف على السطح ، ومنها ما هو غائص في الأعماق ، ومنها ما سببه داخلي ، وآخر خارجي ، نعم ، إنها أسباب كثيرة ومتنوعة – كما عرفت ، وإليك أهمها :

١ – **الشيطان** : وهو سبب يستحق الصدارة ، إذ حرص الشيطان – من البداية بحكم عدائه للإنسان أن يفرق كلمتهم ، ويقعد لهم دون الصراط المستقيم ، كما في القرآن ﴿ **لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ (١)

وكما قال تعالي:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء**﴾ (٢)

وقال نبي (ﷺ) " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون بجزيرة العرب ، ولكن بالتحريش بينهم " (٣) فهو رأي الشيطان – يسعي دائما بين الناس بالخصومات والشحناء والبغضاء ، والفتن ، وحبائل الشيطان لو تأملتها أدركت أنه يريد من ورائها أن يفرق بين الأخ و؟أخيه ، وبين المرء وزوجته ، والابن وأبيه،وهو بذلك يريد أن يفرق جماعة المسلمين ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء

---

١ – سورة الأعراف " ١٦ ، ١٧ .

٢ – سورة المائدة : ٩١ .

٣ – متفق عليه .

ولذلك أمنا الله تعالي بمخالفة **الشيطان** ، والعمل على إفساد وسائله وحبائله وتجنب شبهاته وإغرائه .

٢ – <u>أولياء الشيطان الذين هم أعداء الإسلام</u> : خاصة أشد الناس عداوة للذين آمنوا " اليهود والذين أشركوا " **وقد** بنوا سياستهم مع غيرهم على مبدأ "**فرق تسد**" .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ (١)

وقال أيضا : ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾ (٢)

لقد جرب اليهود مبدأ " فرق **تسد** " فوجدوه ناجحا أيما نجاح ، ومن ثم حرصوا على استخدامه كلما لاحت **لهم فرصة** ، أو سنحت لهم بادرة مثلوها من أجل تفريق الكلمة ، وتمزيق **الصف** المسلم ، وكيف لا ، وهم الذين فرقوا كلمة المسلمين الأوائل " الأوس والخزرج " بعد أن آخي رسول الله (ﷺ) بينهم ، وقد ألف الله تعالي بين قلوبهم ، ومع **ذلك** فقد استطاعوا أن يوقدوا نار الحرب بينهم ، ولكن الله أطفأها بفضله ومَنِّه .

وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالي منهم ، ونهانا عن موالاتهم ، وأمرنا بالإعداد لهم ، ومعرفة مخططاتهم ، **لأنه لا** بد من الصراع بين الحق والباطل ، وفي الأخير ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ (٣)

---

١ – سورة المائدة : ٨٢ .

٢ – سورة البقرة : ١٢٠ .

٣ – سورة الأنبياء : ١٨ .

٣ - التنازع على السياسة والملك : إننا إذا استقرئنا التاريخ وجدنا كثيراً من ألوان الفرقة وقعت بسبب التنازع على السياسة ، وحب الرياسة ، وهذا السبب ذاته انبني على حب الدنيا الذي تمكن من قلوب بعض المسلمين ، أو هي أغراض النفوس ، وأمراض القلوب ، التي كانت من أهم الأسباب في تفريق كلمة المسلمين ، وذهاب قوتهم ، وضياع عزهم ... وما ضاعت الأندلس وأخواتها إلا لهذا السبب الرئيس ، وكذا في كل عصر ومصر إذا نظر الإنسان إلي نفسه ، وعمل لحسابه ، ولم يبال بدينه وأمته ، فإن ذلك يجر على الأمة ويلات وهزائم ، وقد قال تعالي : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (١)

٤ - التعصب للأشخاص ، والإعجاب بالرأي : فكم رأينا أناسا يستميتون في التعصب لمشايخهم ، ولآراء العلماء الذين يتتلمذون على أيديهم ، وللمذاهب التي يتمذهبون بها ، وكم أضر هذا التعصب بالأمة المسلمة أيما ضرر ، كما ابتليت الأمة بأناس إذا اقتنعوا برأيهم لا يحيدون عنه وإن كان خاطئا ، وهذا من العصبيات التي تعج بها المجتمعات .

وقد حذر القرآن من ذلك بقوله تعالي : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (٢) .

وقال النبي (ﷺ) : " ليس منا من دعا إلي عصبية " (٣)

٥ - المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين : سواء كان ذلك بالتفسيرات الخاطئة لبعض الآيات ، والإسرائيليات في بعض التفاسير ، أو كان ذلك بفهم خاطئ لبعض الأحاديث الصحيحة ، وانتشار أحاديث ضعيفة أخري موضوعة ،

---

١ - سورة الأنفال : ٤٦ .

٢ - سورة الفتح : ٢٦ .

٣ - حديث صحيح .

وكذلك بانتشار شبهات المستشرقين ، ومفتريات المنصرين ، فكل ذلك بعد اختلاط الحق فيه بالباطل شوش على المسلمين فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت وحدتهم ، ولو عرفت الأمة الفهم الصحيح في ذلك ما كان هذا حالها من ضعف وهزيمة ، وذل ومهانة .

٦ – **الجهل بطبيعة هذا الدين :** فهذا الدين له عقيدة وأصول واحدة ، لا يختلف عليها ، والحق فيها واحد لا يتعدد ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ** ﴾ (١) .

وفروع وتشريعات يتعدد فيها الحق ولا يتوحد ، ويختلف باختلاف اجتهادات المجتهدين مع الاتفاق على وحدة المصدر والمنشأ .

والذين جهلوا هذا المعنى لم يفرقوا بين الكليات والجزئيات ، ولا بين القطعيات والظنيات ، ولا بين المحكمات والمتشابهات ، فكان ذلك سببا في تفريق كلمة الأمة (٢) .

---

١ – سورة يونس : ٣٢ .

٢ – راجع بتوسع : طاعون العصر : الفرقة بين المسلمين وعلاجها في كتاب رب العالمين

سادساً

الخلاصة

- الفرقة لغة ضد الوحدة فهي بمعني الافتراق والتنازع واصطلاحا هي تباغض الأمة وتناحرها بالغرور واتباع الهوي .

- هنا فرق بين الفرقة والاختلاف ، فالفرقة مذمومة على كل حال ، وأما الاختلاف فمنه المشروع ومنه الممنوع ، أو المحمود والمذموم ، كما ينقسم إلي اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد .

- الفرقة بين المسلمين لها جذور ممتدة إلي القرن الهجري الأول ، بعد إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، وقد حرص اليهود والمنافقون على غرس بذور تلك الفرقة بين المسلمين .

- بدأت الفرق الإسلامية - بعد مقتل عثمان رضي الله عنه - والذي تولي كبره وكان رأسا خبيثاً في هذا هو " عبد الله بن سبأ " لعنه الله ، كان من وراء موقعة الجمل ومعركة صفين .

- عرفت فرقة الخوارج باسمها ، وكذلك الشيعة ، وتوالت الفرق تترى حتى كانت بهذا الكم الخطير ، والعدد الوفير .

- أن أهم أسباب الفرقة : الشيطان - أعداء الإسلام - التنازع على السياسة والملك - التعصب للأشخاص والإعجاب بالرأي - المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين - الجهل بطبيعة هذا الدين .

الوحدة الثانية

الخوارج

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – التعريف بفرقة الخوارج .

٢ – نشأة الخوارج وملابسات ذلك الخروج .

٣ – أهم معتقدات الخوارج في البداية .

٤ – ما آل إليه أمرهم ، وخبر حربهم .

٥ – أشهر فرقهم .

٦ – أبرز رجال الخوارج قديماً وحديثاً .

٧ – أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم .

الخوارج

أولاً : تعريفهم :

الخوارج : هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه – يسمى خارجيا – سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان ، والأئمة الحق فى كل زمان .

ثانياً : نشأتهم :

إنه بعد موقعة الجمل، وقبل حرب صفين ، لم يكتف السبئيون بما قاموا به فى موقعة الجمل ، بل بدأوا يتقوون ويجمعون حولهم الموالى والأعراب إلي أن فحل أمرهم وازداد طغيانهم ، كما ازداد نفوذهم وقوتهم ، وجمعوا حولهم أوباشا من الناس والفسقة الفجرة، وهم يحاولون إسعار الحرب بين المسلمين مرة أخرى ، ويفسدون وسائل الصلح كلما أوشكت أن تؤتى ثمارها، ولا شك أن كثيراً من أتباع "عبد الله بن سبأ " – وهم من المجوس واليهود والمنافقين – دخلوا فى معسكر علي رضى الله عنه ، تحت ستار شيعة على، كما دخل بعض منهم فى معسكر معاوية رضى الله عنه ، ولكنهم لم يكونوا من شيعة علي ، ولا من شيعة معاوية ، بل كانوا كتلة مستقلة، وفئة باغية ، لها أفكارها ، ولها أغراضها وأهدافها ، وهم الذين كانوا يسعون بالفساد ، ويضرمون نار الحرب كلما أراد الطرفان الصلح والاتحاد بينهما .

ومنهم نشأت فتنة الخوارج الذين كفروا عليا وعثمان ومعاوية والحكمين ، حتى عمموا التكفير بعد ذلك ، لأنه لم يكن همهم إسقاط خلافة عثمان ولا تحريض الناس عليه ، بل كان كل ما يقصدون هو القضاء علي دولة الإسلام ، وسد باب الفتوحات ، والغزوات .

ولذلك عندما نجحوا في إيقاع الفتنة بين المسلمين وتأليبهم على خليفة رسول الله " عثمان رضي الله عنه " وألبو على " علي رضي الله عنه " كما تألبوا على عثمان رضيّ الله عنه من قبل .

وهذا مما لا ينكره إلا مكابر أو مجادل بلا حق ولا علم ولا بصيرة .

ولذلك لما وقعت حرب صفين ، واستمر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل ، وكان جيش علي قد تغلب عليهم ، فطالبوا بتحكيم كتاب الله ، ولكن علياً يطالب الناس بالمضي في القتال ، لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، فأبي عليه الخوارج ، وقالوا : نجيب إلي كتاب الله ، وننيب إليه ، فطالبهم بالقتال ، فقالوا له : ما يسعنا أن ندعي إلي كتاب الله فنأبي أن نقبله ، فقال لهم : إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به وتركوا عهده ، ونبذوا كتابه ، فقال له مسعر بن فدك التميمي ، وزيد بن حصين الطائي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج : يا علي ، أجب إلي كتاب الله إذ دعيت اليه وإلا دفعناك برمتك إلي القوم ، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنا دعينا أن نعمل بكتاب الله فقبلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك ، قال:فاحفظوا عني نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي ، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلي الأشتر فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه ليكف عن القتال....

هذا .... ولما كتب كتاب الصلح بين علي ومعاوية ، وفيه تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، ثم قرأ الكتاب على القوم ، فقام رجل يدعي " عروة بنُ أذينة – وهي أمة – وهو عرُوة بن جرير من بني زبيعة ، وقيل : عبد الله بن وهب الراسبي ، والصحيح الأول ، فقال : أتحكمون في دين الله الرجال ؟ ! فأخذ هذه الكلمة من الرجل طوائف من أصحاب عليّ من القراء ، وقالوا : لا حَكَم إلا الله ، فسموا المحكمية ، وتفرق الناس إلي بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلي دمشق بأصحابه ، ورجع علي إلي الكوفة ، فلما دخل انعزل عنه طائفة من جيشه ، قيل كانوا ستة عشر ألفا ، وقيل : اثني عشر

ألفا : وقيل أقل من ذلك ، فبايعوه وخرجوا عليه ، وأنكروا أشياء عليه ، فبعث إليهم " عبد الله بن عباس رضي الله عنهما " فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلاله .

وبهذا ندرك أن أمر الخوارج قد ظهر مع بداية التحكيم ، وأنهم ضلوا كذلك بسببه ، حيث راحوا بعد ذلك ينكرون على الأميرين ويكفروهما ، ثم خرجوا بعد ذلك على جماعة المسلمين ، معتقدين كفرهم ، لأنهم وافقوا على التحكيم كذلك ....

هذا .. ولئن كان أمر الخوارج قد ظهر مع بداية التحكيم ، وعرفوا بذلك ، فإنه قد كان لهم بذرة من قبل هذا ، فيما رواه الإمام أحمد - وأصله في الصحيحين - عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال : كنت مع رسول الله (ﷺ) عام الجعرانة - موضع قريب من مكة - وهو يقسم فضة في ثوب "بلال" للناس فقال رجل : يا رسول الله : اعدل . فقال : " ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل " فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : " معاذ الله " أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم - أو تراقيهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " .

وفي رواية : أنه قال (ﷺ) عن الرجل لما ولي : إن من ضئضيء هذا - أي على شاكلته ، ومن أصله - قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد " أي قتلا عاما لا يبقي لهم من باقية .

وقد رواه البخاري من حديث عبد الرزاق ، ثم رواه أحمد عن أبي سعيد ، وهو في الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع .

أ – مناظرة الخوارج : التي تبين أمرهم :

قال الإمام أحمد ... عن عبد الله بن عياض بن عمرو القارئ قال : جاء عبد الله بن شداد " فدخل على عائشة " ونحن عندها – مرجعه من العراق ليالي قبل عليّ – فقالت له : يا عبد الله بن شداد ، هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ، فقال : وما لي لا أصدقك ؟ قال : فحدثني عن قصتهم ، قال : فإن عليا لما كاتب معاوية وحَكَّمَ الحكمين ، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس ، فنزلوا بأرض يقال لها : حروراء – من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه ، فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله ، واسم سماك به الله ، ثم انطلقت فحكمت في دين الله ، ولا حَكَم إلا الله ، فلما أبلغوا عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل علي أمير المؤمنين رجل إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم ، فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ، ويقول : أيها المصحف ، حدث الناس ، فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين : ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا ، بيني وبينكم كتاب الله .

يقول الله تعالي في كتابه – في امرأة ورجل – ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وحكما مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا ﴾(١)

فأمة محمد (ﷺ) أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل .

ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية – كتب " علي بن أبي طالب " وقد جاءنا "سهيل بن عمرو" ونحن مع رسول الله (ﷺ) : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال كيف نكتب ؟ قال : باسمك اللهم

١ – سورة النساء : ٣٥ .

، فقال رسول الله (ﷺ) : اكتب ، فكتبت ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، قريشاً .

يقول الله تعالي في كتابه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ (١) .

.... وفي رواية زاد فيها : أنهم عتبوا عليه أيضاً أنه غزا في موقعة الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجابهم بقوله ، قد كان في السبي أم المؤمنين ، فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحللتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم " فرجع منهم ألفان ، وناظرهم ابن عباس فرجع منهم أربعة آلاف .

وذكر ابن جرير أيضاً : أن " عليا " بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج ، فقال : يا علي ، أشركت في دين الله الرجال ، ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب : لا حكمَ إلا لله ، لا حكم إلا لله ، فجعل علي يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئا ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتي تبدؤونا .

ثم أنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة ، وتحيزوا إلي النهروان " (٢)

ب – ما آل إليهم أمرهم – لقد اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على "علي" (ﷺ) وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وطلبا منه التوبة من خطيئة التحكيم ، والذهاب لقتال القوم ، فأنكر " علي " ذلك عليهم ، لأنه صار

١ – سورة الأحزاب : ٢١ .
٢ – البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص (٣٠٥ – ٣٠٨) بتصرف .

بينه وبين القوم عهود يجب الوفاء بها ، وأن التحكيم ليس ذنبا فيتوب منه ، وقد طلب منهم القتال من قبل فأبوا إلا التحكيم ، والآن يرجعون إلي طلب القتال !!

فاجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، وأجمعوا أمرهم على الخروج إلي النهروان ، وأن يجاهدوا ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة ، وتناصحوا فيما بينهم ، وأَمَّرُوا عليهم " عبد الله بن وهب الراسبي ، وقد تعاهدوا على الجهاد ، وحرض بعضهم بعضاً على الخروج على الناس .

ثم ماذا ؟ في الوقت الذي كان يتجهز فيه علي عنه إلي الشام مرة أخري ، بعدما كان أمر الحكمين ، بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً ، وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه " عبد الله بن خباب " : – صاحب رسول الله (ﷺ) مع امرأته التي ذبحوها ، وبقروا بطنها – وكانت حبلي – عن ولدها .

فلما بلغ الناس هذا من صنعهم . خافوا إن هم ذهبوا إلي الشام واشتغلوا بقتال أهله ، أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع فخافوا غائلتهم .

وأشاروا على " علي " بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلي الشام بعد ذلك ، والناس آمنون من شر هؤلاء ، فاجتمع الرأي على هذا ، وفيه خيرة عظيمة لهم ، ولأهل الشام أيضاً .

فأرسل علي إلي الخوارج رسولاً من جهته ، فلما قدم عليهم قتلوه ، ولم ينظروه ، **فلما بلغ ذلك عليا عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام والبدء** بهم ، وبعد أن أنذرهم ودعاهم ، كما وعظهم وتوعدهم كذلك ، فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم ، أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، ونادوا بالجهاد ، واصطفوا للقتال ، وكذلك نظم علي أصحابه للقتال ، وأمرهم أن يرفعوا راية أمان للخوارج ، وألا يبدءوهم بقتال ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ،

الرواح الرواح إلي الجنة ، فحملوا على جيش " علي " الذي تركهم حتى توسطوهم ثم حملوا عليهم ، فأناموهم تحت سنابك الخيول ، وقتلوهم مع أمرائهم ، قبحهم الله ، ولم ينج منهم إلا من انصرف قبل القتال أو فر أثناء القتال .

ولم يقتل من أصحاب "علي" إلا سبعة نفر ، وجعل "علي" يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤسا لكم ، قد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين : ومن غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء أمارة ، وغرتهم الأماني ، وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ، ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة ، فسلمهم إلي قبائلهم ليداووهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم .

كما بحث عن علامتهم – التي ذكرها النبي (ﷺ) – إذ قال : " وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي ، عليه شعرات بيض " (١) فوجدوه كما وصفه النبي (ﷺ) ، فكبر ثم قال : صدق الله ورسوله " (٢)

ثالثاً : أشهر فرقهم :

إن الخوارج لما اختلفت صارت عشرين فرقة ، وهذه أسماؤها :

المحكمة الأولي ، والأزارقة ، ثم النجدات ، ثم البيهسية ، ثم الصفرية ، ثم العجاردة ، وقد افترقت العجاردة فما بينها فرقاً كثيرة منها : الخازمية ، والشعبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، والصلتية ، والأخنسية ، والشيبية والشيبانية ، والشمراخية ، وافترقت الأباضية منها فرقاً (حفصية وحارثية ويزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها .

---

١ – رواه مسلم .

٢ – البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص (٣١١ – ٣١٧) بتصرف .

واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس ، ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم .

وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ، ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات ، وبنات البنين ، كما أباحته المجوس .

هذا .. وكبار الفرق منهم : المحكمة والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسية ، والعجاردة والثعالبة ، والإباضية ، والصفرية ... والباقون فروعهم .

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر – ولكن هذا على خلاف بينهم – ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة ، حقا واجبا ، قاله الشهرستاني ، وقال شيخنا أبو الحسن الذي يجمعهما إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر .

ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب .

وأجمعوا على أن الخلافة ليست ركنا من أركان الدين ، ويمكن للمسلمين أن يعيشوا بدون خليفة ، وحسبهم كتاب الله تعالي ، وسنة رسوله (ﷺ) ليفصل بينهم ، وإذا دعت الضرورة لإقامة خليفة ، فليس ضروريا أن يكون من بيت علي ، أو من قريش ، بل يمكن أن يكون أي فرد من المسلمين ، ولو كان عبدا ، إذا كانت متوفرة فيه الصلاحية لتولي الخلافة ، وليس من حق من يختار للخلافة أن يتنازل عنها أو يقبل التحكيم بعد ذلك ، وإذا جار الحاكم فعزله واجب ومحاربته فرض على كل مسلم .

وأما ما اختلفوا فيه فهو كثير جداً ، وأصدق ما يقال فيه : قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً ﴾ (١) ويتضح شيء من هذا مع ذكر آرائهم وأفكارهم بشيء من التفصيل ، عند ذكر أشهر فرقهم ، كل على حده ، بإذن الله تعالى (٢) .

١ – المحكمة الأولى : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين ، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة .

ورأسهم " عبد الله بن الكواء ، وعتاب بن الأعور ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة بن جرير ، ويزيد بن أبي عاصم المحابير ، وعرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية ، وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل ، أهل صلاة وصيام ، أعني يوم النهروان وهم المارقة المشار إليهم في حديث النبي (ﷺ) : " سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " .

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم ذو الثدية .

وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين ، أحدهما : بدعتهم في الإمامة ، إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً ، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غَيَّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله ، وهم أشد الناس قولا بالقياس ، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً ، أو حراً أو نبطيا ، أو قريشاً .

---

١ – سورة النساء : ٨٢ .

٢ – الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١٥ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٧ ، ١٨ بتصرف وص ٥٥ ، ٥٦ بتصرف .

البدعة الثانية : أنهم قالوا : أخطأ علي في التحكيم ، إذا حكَّم الرجال ، ولا حَكَم إلا الله ، وقد كذبوا على " علي رضي الله عنه " من وجهين :

أحدهما : في التحكيم ، أنه حكَم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ، لأنهم هم الذين حملوه علي التحكيم .

والثاني : أن تحكيم الرجال جائز ، فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : "كلمة حق أريد بها باطل "

وتخطوا من هذه التخطئة إلي التكفير ، ولعنوا عليا رضي الله عنه لأنه قاتل في موقعة الجمل ، فاغتنم الأموال وما سبي الذراري والنساء ، وقاتل في صفين فما اغتنم ولا سبي ، ثم رضي بالتحكيم ، كما طعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه ، وطعنوا في أصحاب الجمل وصفين ، وقالوا بكفر كل ذي ذنب ومعصية ([1]) .

٢ – الأزارقة : أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق ، الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلي الأهواز ، فغلبوا عليها ، وعلى كورها ، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير ، وقتلوا عماله بهذه النواحي .

وبدع الأزارقة ثمانية : إحداها : أنهم أكفروا عليا رضي الله عنه ، وقال فيه ابن الأزرق هذا : إن الله أنزل في شأنه **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾** ([2]) وصوب فعل عبد الرحمن بن ملجم " – لعنه الله – وقال وإنُ الله تعالي أنزل فيه **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ ﴾** ([3])

١ – الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص (١١٥ – ١١٧) بتصرف .
٢ – سورة البقرة : ٢٠٤ .
٣ – سورة البقرة : ٢٠٧ .

وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة ، وزادوا عليها تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس رضي الله عنهم ، وسائر المسلمين معه ، والحكم بتخليدهم في النار جميعاً .

الثانية : أنه أكفر القعدة عن القتال معه ، وكذا من لم يهاجر إليه ، وأظهر البراءة منهم ، وإن كانوا موافقين له على دينه .

الثالثة : إباحة قتل أطفال المخالفين ، وكذا النساء معهن .

الرابعة : إسقاط الرجم عن الزاني : إذ ليس في القرآن ذكره، ولا قذف لمن قذف المحصنين من الرجال ، وإنما يجب الحد على قاذف المحصنات من النساء فقط .

الخامسة : حكمه بأن أطفال المشركين مع آبائهم في النار .

السادسة : أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل .

السابعة : تجويزه أن يبعث الله تعالى نبيا يعلم أنه يكفر بعد نبوته ، أو كان كافرا قبل بعثته ، والكبائر والصغائر إذا وقعت كانت بمثابة الكفر ، وفي الأزارقة من يجوز الكبائر والصغائر على الأنبياء ، فهي كفر .

الثامنة : اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كُفْر مله خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار ، واستدلوا بكفر إبليس ، وقالوا : ما ارتكب إلا كبيرة ، حيث أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع ، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى .

٣ – النجدات العاذرية : أصحاب نجدة بن عامر الحنفي ، وقيل عاصم .

وقالوا : الدين أمران : أحدهما : معرفة الله تعالي ، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام ، وتحريم دماء المسلمين ، يعنون موافقيهم ، والإقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب على الجميع ، والجهل به لا يعذر فيه .

والثاني : ما سوي ذلك ، فالناس معذورون فيه إلي أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام .

قالوا : ومن جوز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر .

واستحل " نجدة بن عامر " دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية ، وحكم بالبراءة ممن حرمها .

قال : وأصحاب الحدود من موافقيه ، لعل الله تعالي يعفو عنهم ، وإن عذبهم ففي غير النار ، ثم يدخلهم الجنة ، فلا تجوز البراءة منهم .

قال : ومن نظر ، أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن زني وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك ، وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا ، حتى أسقطه " (1)

٤ – <u>البيهسية</u> : أصحاب أبي بيهس الهيصم ابن جابر ، وهو أحد بني سعد ابن ضبيعة ، وقد زعموا أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالي ، ومعرفة رسله ، ومعرفة ما جاء به النبي (ﷺ) .

والولاية لأولياء الله تعالي ، والبراءة من أعداء الله ، فمن جملة ما ورد به الشرع وحكم به ما حرم الله وجاء به الوعيد ، فلا يسعه إلا معرفته بعينه ، وتفسيره والاحتراز عنه ، ومنه ما ينبغي أن يعرف باسمه ، ولا يضره ألا يعرفه بتفسيره حتى يبتلي به ، وعليه أن يقف عندما لا يعلم ، ولا يأتي بشيء إلا بعلم .

والإيمان هو أن يعلم كل حق وباطل ، وإن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ، وعامة البيهسية على أن العلم والإقرار والعمل كله إيمان .

---

١ – الفرق بين الفرق ص (٦٦ – ٧٠) بتصرف .

وذهب قوم منهم إلي أنه لا يحرم سوي ما ورد في قوله تعالي : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ﴾ (١) وما سوي ذلك فكله حلال !! .

كما زعموا أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية ، الغائب منهم والشاهد ، ومنهم ، ومنهم !! (٢) .

٥ – العجاردة : أصحاب عبد الكريم بن عجرد ، وافق النجدات في بدعهم ، وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس ، ثم خالفه وتفرد بقوله : تجب البراءة من الطفل حتى يدعي إلي الإسلام ، ويجب دعاؤه إذ بلغ ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ، ولا يري المال فيئا حتى يقتل صاحبه ، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة ، ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة ، ويكفرون بالكبائر وينكرون سورة يوسف من القرآن ، وهم قد افترقوا أصنافا ، ولكل صنف مذهب علي حده فمنهم الصلتية ، والميمونية ، والحمزية والخلفية والأطرافية ، والشعيبية والحازمية ، ولكل هؤلاء آراء تختلف عن الأخرى كما أنهم يتفقون في أمور اتفقت عليها جل فرق الخوارج (٣)

٦ – الثعالبة : أصحاب ثعلبة بن عامر ، كان مع عبد الكريم بن عجرد يدا واحدة إلي أن اختلفا في أمر الأطفال ، فقال ثعلبة : إنا علي ولايتهم صغارا وكبارا حتى نري منهم إنكاراً للحق ورضا بالجود ، فتبرأت العجاردة من ثعلبة ، ونقل عنه أيضاً أنه قال : ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة ، حتى يدركوا ويدعوا ، فإن قبلوا فذاك ، وإن أنكروا كفروا .

---

١ – سورة الأنعام : ١٤٥ .

٢ – راجع بتوسع : الملل والنحل ص (١٢٥ – ١٢٨) .

٣ – الملل والنحل ص (١٢٨ – ١٣١) ، والفرق بين الفرق ص (٧٢ – ٨٠) .

وكان يري أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا ، وإعطاءهم منها إذا افتقروا

وهم أصناف قد افترقوا فيما بينهم كالآتي : الأخنسية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والشيبانية ، والمكرمية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والبدعية (١) .

<u>٧ – الإباضية :</u> أصحاب " عبد الله بن إباض " الذي خرج في أيام مروان ابن محمد ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة ، وقيل : إن عبد الله بن يحيي **الإباضي** كان رفيقا له **في** جميع أحواله وأقواله .

قال : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ،ومداراتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة ، إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة .

وقالوا : إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد ، إلا معسكر السلطان ، فإنه دار بغي ، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وقالوا في مرتكبي الكبائر : إنهم موحدون لا مؤمنون ، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كفر النعمة ، لا كفر الملة ، وتوقفوا في أطفال المشركين ، وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام ، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا .

وحكي الكعبى عنهم : أن الاستطاعة عرض من الأعراض ، وهي الفعل ، بها يحصل الفعل ، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالي : إحداثا وإبداعا ، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ، ولا أنفسهم مهاجرين ، وقالوا : العالم كله يفني إذا فني أهل التكليف ، ومنهم من قال بطاعة لا يراد بها الله تعالي كما قال أبو الهزيل ، ثم اختلفوا في النفاق : أيسمي شركا أم لا ؟ ...

---

١ – الملل والنحل ص (١٣١ – ١٣٤) ، والفرق بين الفرق ص (٨٠ – ٨٢) .

وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة ، فمنهم الحفصية والحارثية واليزيدية ، هذا وفرقة الإباضية من أكثر الخوارج انتشارا وأكثرها بقاء ولها وجود في عمان واليمن وليبيا وتونس والجزائر (١) .

٨ - **الصفرية الزيادية :** أصحاب زياد بن الأصفر ، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها : أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال ، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ، ولم يسقطوا الرجم ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار ، وقالوا : التقية جائزة في القول دون العمل ، وقالوا : ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه الحد كالزنا والسرقة والقذف ، فيسمي زانيا ، سارقا ، قاذفا ، ولا يكون كافراً مشركا .

وما كان من الكبائر ما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف ، فإنه يكفر بذلك ، ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية .

ورأي زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهما واحدا في حال التقية ، ويحكي عنه أنه قال : نحن مؤمنون عند أنفسنا ، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله ، وقال : الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان ، والكفر كفران : كفر بإنكار النعمة ، وكفر بإنكار الربوبية .

والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة (٢)

---

١ - الملل والنحل للشهرستاني ص (١١٨ - ١٣٤) بتصرف . والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (١٥ - ١٩) بتصرف .

٢ - الملل والنحل للشهرستاني ص (١٣٧ - ١٣٨) بتصرف .

رابعاً : أبرز رجال الخوارج :

(أ) " قديماً " :

عرقوص بن زهير السعدي – عروة بن أذينة – عبد الله بن وهب الراسبي – مسعر بن فدكي التميمي – زيد بن حصين الطائي – عبد الله بن الكواء – ذو الثدية – زرعة بن البرج الطائي – سنان بن حمزة الأسدي – شريح بن أبي أوفي العبسي – عبد الله بن شجرة السلمي – عتاب بن الأعور – عروة بن جرير – يزيد بن أبي عاصم المحاربي – نافع بن الأزرق – نجدة بن عامر الحنفي – أبو فديك – عطية بن الأسود بن خالد – حمزة بن أدرك – خلف الخارجي – شعيب بن محمد – محمد بن رزق – حازم بن علي – ثعلبة بن عامر – أخنس بن قيس – معبد بن عبد الرحمن – رشيد الطوسي – زيادة بن عبد الله بن إباض – حفص بن أبي المقدام – الحارث الإباضي – زيد بن أنيسة – عكرمة – أبو هارون العبدي – أبو الشعثاء – إسماعيل بن سميع " (١)

(ب) ومن المتأخرين :

اليمان بن رباب – ثعلبي ، ثم بيهسي ، وعبد الله بن يزيد ، ومحمد بن حرب ويحيي بن كامل ، إباضية ، ومن شعرائهم : عمران بن حطان ، وحبيب بن مرة صاحب الضحاك بن قيس ، ومنهم أيضا : جهم بن صفوان وأبو مروان غيلان بن مسلم ، ومحمد بن عيسي برغوث ، وأبو الحسين كلثوم بن حبيب المهلبي ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري ، وعلي بن حرملة ، وصالح بن قتيبة بن صبيح بن عمرو ، وموسى بن عمران البصري ، وأبو عبد الله بن مسلمة ، وأبو عبد الرحمن بن مسلمة ، والفضل بن عيسى الرقاشي ، وأبو زكريا يحيي بن أصفح ، وأبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي ، ومحمد بن صدقة ، وأبو الحسين

---

١ – البداية والنهاية ، والملل والنحل .

علي بن زيد الإباضي ، وأبو عبد الله بن محمد بن كرام وكلثوم بن حبيب المرادي البصري (1)

خامساً : أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم :

الاعتصام للشاطبي – البداية والنهاية لابن كثير – تاريخ الرسل والملوك للطبري – الحكم وقضية تكفير المسلم للمستشار البهنساوي – الحد الفاصل بين الإيمان والكفر للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، دعاة لا قضاة الشيخ حسن الهضيبي – شبهات التكفيرا د / عمر عبد العزيز – ظاهرة الغلو في التكفير أ د / يوسف القرضاوي – العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للبغدادي – الفتاوى الكبرى لابن تيمية – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم – منهاج السنة لابن تيمية – [illegible] ابن خلدون – الملل والنحل للشهرستاني – مقالات الإسلاميين لأبي [الح]سن الأشعري – مجموع فتاوي ابن تيمية – الخوارج كلاب جهنم أ د / عمر [ب]ن عبد العزيز .

١ - الملل والنحل ص (١٣٧ - ١٣٨) .

سادساً

الخلاصة

- الخوارج : هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة

- نشأ الخوارج عقب التحكيم ، بسبب فهمهم الخاطئ لمبدأ التحكيم ، فقالوا :لا حكم إلا لله .

- نقم الخوارج على سيدنا علي رضي الله عنه أمر التحكيم ، ومحو اسمه من إمرة المؤمنين ، وأنه قاتل ولم يسب .

- إن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً ، وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبل واستحلوا المحارم .

- قام سيدنا علي رضي الله عنه بقتال الخوارج بالنهروان .

- اختلفت الخوارج إلي ما يزيد على عشرين فرقة .

- أشهر فرق الخوارج : المحكمة - الأزارقة - النجدات - البيهسية - العجاردة - الثعالبة - الإباضية - الصفرية - والباقون فروعهم .

- اختلاف الخوارج فيما بينهم يدل على أن منهجهم ليس من عند الله تعالي ، كما قال تعالي **﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً ﴾**

الوحدة الثالثة

الشيعة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – التعريف بفرقة الشيعة .
٢ – نشأة الشيعة وملابسات تلك النشأة .
٣ – أهم معتقدات الشيعة .
٤ – أشهر فرق الشيعة .
٥ – أبرز كتبهم ورجالهم قديماً وحديثاً .
٦ – أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم .
٧ – حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة .

أولاً : التعريف بفرقة الشيعة :

الشيعة في اللغة : تطلق كلمة " شيعة " لغة على الفرقة من الناس ، وتقع على الواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد .

وهي كذلك تعني القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة ، وهم كذلك أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيع ، وأشياع جمع الجمع ، ويقال شايعه كما والاه من الوالي [1] .

وقد وردت كلمة " شيعة " في كتاب الله سبحانه ، فيقول تعالي : ﴿ **وإنَّ من شيعته لإبْراهيمَ** ﴾ [2] أي من أهل دين نوح (عليه السلام) [3]

ويقول سبحانه : ﴿ **فاستَغاثَهُ الذي من شيعَته علَى الذي مِنْ عَدُوّه** ﴾ [4] أي فاستغاثة الذي من شيعته من بني إسرائيل ، قوم موسى (عليه السلام) .

ويقول تبارك وتعالي : ﴿ **إنَّ الذين فرَّقوا دينَهُمْ وكَانُوا شيَعًا لَّسْتَ منْهُمْ في شيء إنَّما أمرُهُمْ إلى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بما كانوا يفعلون** ﴾ [5] كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات [6]

---

١ - لسان العرب لابن منظور ج ٢٧ ص ٢٣٧٧ دار المعارف .
٢ - سورة الصافات : ٨٣ .
٣ - راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢ مكتبة التراث الإسلامي .
٤ - سورة القصص : ١٥ .
٥ - سورة الأنعام : ١٥٩ .
٦ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص (١٩٦) .

وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً عنه وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار لهم اسماً خالصاً ([1]) .

الشيعة في الاصطلاح : للشيعة في اصطلاح العلماء عدة تعريفات منها :

١ – هم الذين يشايعون علياً رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله (ﷺ) ([2]) .

٢ – هم الذين يشايعون علياً عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده ([3])

وتعريف الأشعري (الأول) عام يشمل الشيعة جميعاً،وهو الذي أرجحه ([4])

٣ – والشيعة في عرف الفقهاء والمتكلمين والباحثين تطلق على كل من يزعم أنه يدين بالحب لآل بيت النبي (ﷺ) – وعترته – بصفة عامة ، ويدين بالولاء للإمام على عنه وذريته من بعده ، بصفة خاصة ، وقد غلب هذا الاسم على هذه الفرقة من فرق المسلمين التي تزعم لنفسها التفرد بحب آل البيت ، أو علي وذريته من بعده حتى صار ذلك اللفظ علماً خاصاً علة هذه الفرقة ، فإذا قيل : زيد من الشيعة ، عرف أنه من هذه الطائفة ، وإذا قيل هذا الحكم عند الشيعة أو في مذهب الشيعة عرف أنه عند هذه الطائفة أيضاً ([5])

---

١ – لسان العرب ج ٢٧ ص (٢٣٧٧) .

٢ – مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري – تحقيق محمد محيي الدين ط النهضة المصرية ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص (٦٥) .

٣ – الملل والنحل للشهر ستاني ج ١ ص (١٤٦) ط مؤسسة الحلبي .

٤ – أضواء على الشيعة د / سيف الدين حسين يوسف ص (١٥ ، ١٦) ط مركز صالح كامل ، طبعة أولي .

٥ – المقدمة لابن خلدون ص (١٣٨) ، والنهاية لابن الأثير ج ٢ ص (٧١) ، تاريخ الفرق الإسلامية د / محمود مزروعة ص (٢٠٢) بتصرف . ط دار المنار .

ثانيا نشأة الشيعة

لقد تعددت الآراء والمذاهب حول نشأة الشيعة ، والظروف التي أدت إلى ظهورها ، ورجالها الأول الذين وضعوا نواتها وقعدوا لمبادئها وعملوا على انتشارها بحيث لو ترك المجال للقلم أن يكتب ذلك لطال الحديث عنه حتى يفرد له مؤلف خاص به ، ولكن ليس ذلك مقصودنا من تلك الدراسة التي يراد بها التعريف بصورة مبسطة لهذه الفرقة .

واختصاراً للقول في تلك الجزئية نقول : يرى مؤرخو الشيعة أن مذهب التشيع قديم بقدم الإسلام ، ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (١) فهذا وحى خاص بآل بيت رسول الله (ﷺ) وذوي قرباه ، وتأكد هذا بنزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) ،

قال ابن عباس والبراء بن عازب : " إن هذه الآية نزلت في فضل علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وعندما نزلت أخذ رسول الله (ﷺ) بيده وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه " (٣) فلقيه عمر بن الخطاب عنه فقال " هنيئا لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة " (٤) .

---

١ - سورة الشعراء : ٢١٤ .

٢ - سورة المائدة : ٦٧ .

٣ - أخرجه أحمد بن حنبل والبيهقى والنسائى ، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٨١ ، ورواه الترمذي ونصه من كنت مولاه فعلى مولاه " بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر -- كتاب المناقب " باب مناقب علي بن أبي طالب " ج ٥ ص ٥٩١ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

٤ - تفسير الفخر الرازى المسمى بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ج ١١ ص ٥٣ ط ٣ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م بيروت - لبنان .

قالوا : ومن هنا يستبين أن الذي بلغه رسول الله (ﷺ) لأمته بأمر من الله تعالى هو موالاة علي وأولويته بالإمامة ، وهذا أظهر معاني التشيع الذي يدل على أن الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن من صاحب الرسالة كانت تمشي جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى التوحيد ، والرسالة لمحمد (ﷺ) (١) .

كما قال الشيعة أيضاً :إن نواة التشيع كانت من أصحاب رسول الله (ﷺ) فهم كانوا أوائل الشيعة ، لكنهم يركزون على عدد من الصحابة – رضي الله عنهم – على أنهم جاهدوا في نشر التشيع ، والانتصار للإمام علي عنه ، ومن هؤلاء الصحابة الذين ينوه الشيعة بذكرهم وفضلهم في نشر التشيع ، من يسمونهم بالأركان الأربعة ، أي : أركان المذهب الشيعي وهم : المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر – رضي الله عنهم أجمعين .

وبعض المؤرخين لا يتعصبون هذا التعصب المرفوض في نشأة التشيع ، ويرون أن التشيع بدأ عند فريق من الصحابة بعد وفاة الرسول (ﷺ) ووقوع البيعة لخليفة المسلمين أبي بكر عنه بعد يوم السقيفة ، حيث رأى بعض الصحابة أن علياً أحق بخلافة رسول الله (ﷺ) ، وذلك لقرابته من رسول الله (ﷺ) ، وكأنهم ينظرون إلى الخلافة على أنها ميراث أدنى من حق قرابة رسول الله (ﷺ) ، وكانوا يرون أن رسول ، الله (ﷺ) لو ترك ميراثا ماديا يورث لكان من نصيب قرابته وآل بيته ، وبما أنه لم يترك الا الخلافة ، فإن قرابته هم الأحق بها . وكانوا يتأولون في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ (٢)

---

١ - الشيعة في التاريخ – محمد حسين الزيني ص (٣١) ج ٢ – ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م دار الآثار – بيروت . بتصرف .
٢ - سورة الأنفال : ٧٥ .

وأنه قد بدأت نواة التشيع بعدد ضئيل من الصحابة الذين سبق ذكرهم – وكانوا أربعة – ثم ازداد ذلك العدد بعد أن ولي عثمان عنه الخلافة ، ونقموا عليه أمورا كان أولى ألا يقدم عليها – كذا زعموا – وأنه بذلك تكونت الشيعة بعد فتنة مقتل عثمان عنه ، وخروج البغاة عليه ، أو تكونت يوم موقعة الجمل حيث خرج المطالبون بدم أمير المؤمنين عثمان بن عفان عنه فكانت الشيعة ممثله لجيش علي عنه .

ثم أضحت الشيعة ظاهرة يوم موقعه صفين ، وخاصة بعد فتنه التحكيم ، التي أجبر عليها " علي بن أبي طالب " من قبل فريق من جيشه ، وهو يعلم أنها خدعة ، فلما تجلى ذلك لهم ، وقبل "علي " التحكيم وتوقف القتال ، أدركوا أنهم السبب في هزيمته وضياع الأمر من يده ، ولم يجدوا طريقة يكفرون بها عن خطأهم في حق " علي " إلا بالدفاع عن حقه في الخلافة ، ومحاولة إرجاعها إليه ، وبعد مقتل " علي " ازداد شعور هؤلاء بالذنب ، فانتقلوا بولائهم من علي إلى أبنائه محاولين إرجاع الخلافة إليهم ، وكانوا يعتقدون أنهم إن لم يستطيعوا أن يعذروا إلى " علي " فيما ارتكبوه في حقه ، فإنهم مستطيعون أن يعذروا إلى أبنائه من بعده ، وكلما مضى الزمن ازدادت العقيدة الشيعية انتشاراً ، وانثال عليها الناس متأثرين بشعورين :

١ – شعور بالذنب ٢ – شعور بالرثاء والعطف . ذلك أن أكثر أئمة الشيعة كانت حياتهم تنتهي بالقتل ، وأحياناً بالصلب والمثلة ، وهذا الفعل كان يعمق الشعور بالذنب عند أنصارهم ، ويخلق الشعور بالرثاء والعطف عند عامة المسلمين .

وزاد من حده ذلك : مقتل الحسين عنه ، وما تعرض له آل البيت من شدائد أو قسوة أو اضطهاد ، ونظراً لهذا أشفق الناس عليهم ، وبذلك تكونت

فرقة الشيعة ، وكثر أتباعها ، ووضعت لها المبادئ وقعدت القواعد ، وحددت لها السمات (١) .

وبعد هذا العرض المجمل لما قيل حول نشأة الشيعة من علماء الشيعة أنفسهم والمؤرخين لها نقول : والحق يقال : أن القول بأن الشيعة نشأت في عهد رسول الله (ﷺ) إنما هو مجرد زعم ، وقول عار من الدليل ، وما استدل به هناك من قرآن أو سنة إنما هو على غير وجهه ، وليس فى بابه ، وليس فيه ما يدل على بوادر ظهور تلك الفرقة ، وإنما يدل علي منزلة علي عنه وذكر منقبة من مناقبه ، كما أن لغيره من الصحابة مناقباً ، ويدل على مكانة أهل بيت رسول الله (ﷺ) ووجوب محبتهم بصفة خاصة فوق حب سائر الصحابة ، وهذا أمر معلوم لكافه المسلمين .

والقول بأن الشيعة نشأت بعد يوم السقيفة ، لتقديم بعض الصحابة لعلي عنه علي غيره في أمر الخلافة ، فهذا لا يعدو إلا أن يكون رأياً لبعض الصحابة، لم يرتفع لهم صوت ، كما وقع بديل عنه فى الأنصار ممن طالبوا بمبايعة " سعد بن عبادة (رضي الله عنه) " أو من قال : منا أمير ومنكم أمير ، فهذه وجهات نظر تبادلها الناس وقت المشورة ، وقد اختفت بمبايعة الصديق (رضي الله عنه) وارضاه .

ومن زعم بأنه نشأت يوم فتنة الدار أي مقتل أمير المؤمنين عثمان عنه ، عندما خرج عليه البغاة ، فالحق أنها لم تنشأ في هذه الفترة أيضاً ، لأن خروج البغاة من الأمصار الذين حاصروا عثمان في داره لم يكن تشيعاً لعلي أو

١ - راجع بتوسع : عقائد الإمامية الاثني عشر تأليف السيد ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ٢٧١ . وأصل الشيعة وأصولها تأليف السيد محمد الحسين كاشف الغطاء ص ١٧٣ . نقلا عن : تاريخ الفرق الإسلامية د / محمود محمد مزروعة ص ٢٠٣ : ٢٠٧

انتصارا له ، بل إن عليا وبنيه كانوا في مناصرة عثمان ضد البغاة حتى عزم الخليفة عليهم بأن يتركوه هم ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسن والحسين ، ومروان ، وأبو هريرة وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه ولكنه قال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله[1] ، كما قال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر ، فبرد القتال من داخل الدار ، وحمي من خارجه ، واشتد الأمر حتى كانت الساعة التي تم فيها للشيطان ما سعى إليه وتمناه . ( )

أقول : وكذلك لم تظهر الشيعة بمعناها الاصطلاحي يوم موقعه الجمل ، ولا صفين ، وإن كانت هناك بوادر لظهورها متمثلة في الفتنة التي حرض عليها وأشعل نارها " عبد الله بن سبأ " الذي بالغ في العداء لأمير المؤمنين "عثمان" وكال له الاتهامات ، بغير بينة ولا برهان ، ونشر ذلك في الأقطار والأمصار ، وزعم حب آل البيت ، وادعى لعلي عنه الوصاية ، وأنه أولى بالخلافة من كل من سبقوه ، كما زعم القول بالرجعة للنبي (ﷺ) ، لينتصر لوصيه " علي " وأخذ يغالي في حب "علي " عنه حتى قال بألوهيته ، فهذا – مما لا شك فيه – أنها كانت بوادر نشأه تلك الفرقة ، وإن كان لا يمنع من وجود أناس مخلصين كانوا يحبون علياً عنه ولكنهم لا يفضلونه على أبي بكر وعمر ، وهناك مفضلون وهم الذين يفضلونه على غيره من الصحابة ، دون انتقاص أحد منهم ، وهناك أيضاً الغالون الذين غالوا فيه فرفعوه إلى مرتبة النبوة ، ومنهم من رفعه إلى مرتبه الألوهية ، وأنه حل فيه جزء إلهي ، إلى غير ذلك من أقوالهم فيه .

والحق يقال : " أنه دخل في الشيعة أشتات من الناس ، منهم المخلص لمبادئها ، وأكثرهم المغرض الذي رأى فى انضمامه إليها سبيلاً يصله بغرضه ، ويقربه من هدفه ، فقد تشيع كثيرون حباً في علي وولده ، وتشيع آخرون نفاقاً

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير م ٤ ج ٧ ص (١٨٩ ، ١٩٠) ط دار الفكر العربي .

ووصولية ، من هؤلاء – على الخصوص – جمهرة من أسلم من الفرس ، حيث انضموا إلى الشيعة لأسباب كثيرة أهمها . مقتهم لبنى أمية وتبرمهم من تركز السلطة فى أيديهم وتعصبهم للعرب وإهمالهم شأن الفرس ، وكذلك رغبة الفرس في إشاعة الفتن ، وإذاعة القلاقل والمحن ، كذلك كان الفرس يعيشون تحت سلطه ملك عتيد ، عَمرَّ مئات السنين ، وكانت تحكمهم أسرة (ساسان) ، لذا فقد نشأوا على إيمان بأن الملك وراثي وأن دم الملوك لا يشبهه دم آخر ، ومن هنا كانوا يرون أن ولاية الأمة الإسلامية التي كان على رأسها (ﷺ) هي من نصيب أسرته أو أقربائه .

واندس في صفوف الشيعة كذلك الحاقدون على الإسلام من الفرس والروم والنصارى والمجوس والوثنيين وأصحاب الديانات السابقة على اختلافها ، كل هؤلاء اندسوا فى الشيعة ثم أخذوا ينفثون سمومهم من تعاليم أديانهم ونحلهم حتى بدت الشيعة في صورة من المسخ العقلي والتلوث الفكري والشتات بين طوائفها الذي لا يكاد يجتمع على شيء ، أو على مبدأ واحد .

إن الشيعة ليست مذهباً واحداً ، بل مذاهب ، وإن شئت قلت : بل هى مسخ من الأديان ، أو الملل والنحل لخليط من أناس في صورة البشر – تظاهروا بالإسلام وهم يريدون أن ينشروا تعاليم أديانهم ومبادئ فلسفاتهم التي يدينون بها، وفي ذات الوقت – هم بنشر هذه التعاليم والمبادئ يعملون على إضعاف الدين الجديد بإشاعة البلبلة ، وتفريق الكلمة ، وهزيمة الأمة ، وتقتيل بعضهم بعضاً ، وفتح أبواب الجدل والمناقشة ، وخلق جو من التشكيك في تعاليم الإسلام وبعض مبادئه ، ولعل هذا يفسر لنا السر في أن كثيراً من الطوائف التي انتسبت إلى الشيعة تحولت عن تعاليم الدين إلى فلسفات هوت بها في وهدة الكفر والإشـــراك (١) .

---

١ - تاريخ الفرق الإسلامية د / مزروعة ص (٢٠٦ ، ٢٠٧) بتصرف .

فمن من الباحثين يستطيع أن ينكر تأثر الشيعة بالفرس في تقديسهم للملك والموارثة في الملك ، وتشابه نظام الشيعة مع نظام الفرس واضح ، وأن أكثر أهل فارس الآن من الشيعة ، والشيعة كانوا من فارس (1)

ومن من الباحثين يستطيع أن ينكر أن أصل الشيعة يرجع إلى ذلك اليهودي الخبيث " عبد الله بن سبأ " الذي ظهر في اواخر خلافة أمير المؤمنين " عثمان بن عفان – عنه وجاء من صنعاء إلى المدينة المنورة ، مظهراً إسلامه ومستتراً بتشيعه لعلي بن أبي طالب ، زاعماً حبه وحب آل البيت ، وكان من ألد الأعداء لأمير المؤمنين " عثمان بن عفان " وولاته ، وفي المدينة نشر أفكاره حول " علي بن أبي طالب " ، أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً ، وعلي هو وصي محمد (ﷺ) ، وأنه سيرجع إلى الحياة الدنيا كما سيرجع عيسى (عليه السلام) ، وقال : عجبت لمن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد ، ثم قال بنبوة علي ، ثم زاد في مزاعمه حتى حكم بألوهيته ، وقال له: أنت أنت : أي أنت الله ، وهَمّ على بقتله ، ولكن ابن عباس نهاه عن ذلك وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على الخروج لقتال أهل الشام ، فنفاه إلي المدائن (2)

وبعد مقتل "علي بن أبي طالب عنه استغل حب الناس له ، وأخذ يروج أفكاره ، وزعم أن علياً لم يمت وإنما رفع إلى السماء كما رفع " عيسى ابن مريم " ، وسيرجع بعد ذلك ، وأن الذي رآه الناس مقتولاً إنما هو الشيطان تمثل في صورته ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى ، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي ، حيث رأوا قتيلاً يشبه علياً ، فظنوه " علياً " ، و"علي" قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه ، وزعم بعض السبئية أن علياً في السحاب ، وأن الرعد

١ – تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (٣٨) بتصرف ، ط دار الفكر العربي .
٢ – تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٣٩) ، والخطط للمقريزي ج ٢ ص (٣٣٢) بتصرف .

صوته ، والبرق سوطه أو تبسمه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين ، وقد روي عن عامر بن شرحبيل الشعبي أن " ابن سبأ " قيل له ،: إن علياً قد قتل ، فقال : " إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها " .

وقد رد البغدادي على ذلك فقال : إن كان مقتول "عبد الرحمن بن ملجم" شيطاناً تصور للناس في صورة علي فلم لعنتم " ابن ملجم " وهلا مدحتموه ؟ فإن قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به .

وقلنا لهم كيف يصح دعواكم أن الرعد صوت علي والبرق سوطه ، وقد كان الرعد مسموعاً والبرق محسوساً فى زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام ، ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم واختلفوا في علتها (1)

وذكر المستشرق " ولهوسن " أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهود أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلاً بأن مؤسسها " عبد الله بن سبأ " اليهودي (2)

وقد تأثرت الشيعة ببعض الأفكار اليهودية وذلك لانضمام أناس من اليهود إليها فصبغوها بصبغتهم ، وكذلك فعل أصحاب كل دين ممن انضم إلى الشيعة

وقال الشيخ محمد أبو زهرة : والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون مثل " عبد الله بن سبأ " منهم ، لأنه ليس مسلماً في نظرهم فضلا عن أن يكون شيعيا (3) !!

---

١ - الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم - تأليف الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ص (١٤٣ ، ١٤٥) الناشر دار الحلبي .

٢ - فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٢٧ .

٣ - تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٨ .

ونحن لا ننكر أن التشيع يمكن أن يكون بدأ حباً ومودة لعلي بن أبي طالب عنه لمناقبه وأسبقيته في الإسلام ولشخصيته المتميزة بالخلال الكريمة ، ولكنه لم يوجد بهذا الاسم في وقت مبكر ولا عندما انتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، وإنما أثناء خلافة عثمان بن عفان عنه حدثت أحداث انتهت بقتله عنه ، وقد استمر الحب والمودة لعلي عنه ، وبعد ذلك بويع بالخلافة . ولم تكن فرقة الشيعة قد تكونت بعد ، ولكنها تكونت بالمعنى الاصطلاحي المعروف بعدما وجد أن البيت العلوي لم ينزل منزلته اللائقة به ، وإنما تعرض للظلم والاضطهاد والتعذيب والقتل ، وكان رجال البيت العلوي والمتعاطفون معهم يغذون هذه الفكرة بما استطاعوا من مال وتشجيع ، ولكن ذلك وحده لا يساعد على بقاء الأفكار ، ومن هنا أخذوا يبحثون عن سند من الدين ، فلجأوا إلى القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة يستمدون منها في يسر أو تعسف ما يؤيد أفكارهم (١) ، فإن لم يجدوا فيهما فإننا وجدنا من لم يتورع منهم أن يؤلف قرآناً، بكتابة سور أو إضافة آيات ، أو يكذب أحاديث على رسول الله (ﷺ) ليكون ذلك لهم سنداً في دعواهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم .

وآل أمر الشيعة إلى شيع وأشياع ، وأفرط الكثير منهم في " علي " وغالى ، منه ما كان حباً ، والحب يعمي ويصم ، ومنه ما كان تظاهراً بحب علي ، ولكن المعنى في بطن الشاعر ، وكل يغني على ليلاه ، ومن هنا فإن لم تكن الشيعة لها أصل يهودي أو فارسي فهي قد تأثرت بأفكار من انضم إليها من أصحاب الأهواء والديانات بما فيهم اليهود والفرس ، ولا ينكر دور ابن سبأ وما له من سبق ، ولا يتجاهل كذلك حق غيره، من حسني النوايا ، الذين ليست لهم أغراض ، وإنما تأثروا بما وقع لآل البيت ، أو كانت لهم عاطفة جياشة نحوهم لم تنضبط بضوابط الدين ، ومن قلدوهم بعد ذلك على مر السنين ، والله أعلم بالسرائر والإعلان .

---

١ – أضواء على الشيعة د / سيف الدين حسين ص (٣١) بتصرف .

ثالثاً أهم معتقدات الشيعة

الأولي : قضية الإمامة هي أهم قضايا الشيعة ، كما قال الشهرستاني ، فى الملل والنحل : وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وبتنصيب الإمام بنصبهم له، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله .

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً ، وفعلاً ، وعقداً ، إلا فى حال التقية .

ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ، ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير ، وعند كل تعدية وتوقف : مقالة ، ومذهب وضبط (١)

هذا واعتقاد الشيعة في الإمام فوق اعتقادهم في الأنبياء والرسل فهم يثبتون للأئمة كل ما أثبتوه للأنبياء - سوى الرسالة - ، فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى ، وهو معصوم عن الكبائر والصغائر ، والسهو والنسيان منذ ولادته حتى موته ، كما أنه منزه عن كفر الأبوين ، ومن هنا ترى السر فى ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب ، فإنهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين ، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالدين ، ولما كان أبو طالب هو والد الإمام الأول والوصي الولي - علي عنه - قالوا بإيمانه ، وكفّروا من قال فيه غير ذلك .

هذا وقد بدأنا بالكلام في الإمامة مع بداية الكلام عن أهم معتقدات الشيعة ، لأنها تمثل - عندهم - ركن الإسلام ، وأصل الدين ، وهي رئاسة في الدين

١ - الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧

والدنيا ، ومنصب إلهي لا يتم باختيار الناس ، ولكنه يتم باختيار الله – تعالى – واصطفاء منه .

والإمامة هي وراثة النبوة ، والإمام هو وريث النبي ، فكما أن النبي يصطفيه الله ليقيم به أمور الدنيا والدين ، ويرعى به مصالح العباد ، ويبلغ به دينه ، وينشر ذلك الدين ، ويحافظ على تعاليمه من التغيير والتبديل ، فكذلك الإمام هو مثيل للنبي في كل ذلك .

فالإمام مصطفي من الله تعالي ، ولا اختيار للناس فيه ، والإمام يتولى أمور الدنيا ، ويرعى تعاليم الدين وشرائع الله من التغيير والتبديل ، ويرعى مصالح المسلمين الشيعة .

والإمام له على الناس حق الطاعة والإذعان ، دون مراجعة أو اعتراض

والإمام يظل إماماً طوال حياته ، لا يترك منصبه لسبب من الأسباب ، ولا يحل للمسلمين الخروج على أوامره أو محاولة خلعه من منصبه مهما كانت الدواعي .

والإمام الأول : علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – منصوص عليه من رسول الله (ﷺ) ، ثم نص هو على من يليه ، ثم نص من بعده علَى الذي يليه ، وهكذا ، لا يموت إمام حتى ينص على خليفته في الإمامة .

وقد نص الرسول (ﷺ) على إمامة " علي عنه" ثم ظل كل إمام ينص على الذي يليه حتى الإمام الحادي عشر ، فقد نص على الإمام الثاني عشر ، الذي هو الإمام الغائب ، المختفي ، الحي ، الذي سيخرج من كهفه المغيب فيه ، فيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً ، وينتقم للشيعة من كل الذين ظلموهم (١)

١ – تاريخ الفرق الإسلامية د / مزروعة ص (٢٢٧ ، ٢٢٩) بتصرف .

مكانة الأئمة وصفاتهم : للأئمة عند الشيعة صفات خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس ، وربما ارتفعوا بأئمتهم في هذه الصفات فوق منزلة الأنبياء والمرسلين ، وأهم هذه الصفات ثلاث :

أ – **صلة الأئمة بالله** : فالأئمة لهم – في نظر الشيعة – صلة بالله ، ليست من جنس صلة الأولياء الصالحين ، ولكنها من جنس الصلة الخاصة بالأنبياء والمرسلين .

ولهذا كان الأئمة يوحي إليهم كما يوحي إلي الأنبياء والرسل ، والأئمة يتلقون الوحي كما يتلقاه الأنبياء فهم يتلقون الوحي في الرؤيا المنامية كإبراهيم الخليل (عليه السلام) ويتلقونه عن طريق الملك وساطة بينهم وبين الله .

وإذا كان الإمام يوحي إليه كالأنبياء ، فما الفرق بينه وبين النبي ؟

يجيب عن هذا صاحب أصول الكافي فيما رواه عن علي الرضا في الفرق بين النبي والرسول والإمام : " إن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه ، وربما رأي في منامه نحو رؤيا إبراهيم ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأي الشخص ، والإمام هو الذي سمع الكلام ولا يري الشخص .

ب – **العصمة** : من الفقرة السابقة عرفنا أن الأئمة يوحي إليهم ، ومن هذا المعني ينتقل الشيعة إلي الخاصية الثانية من خصائص الأئمة ، وهي " العصمة " فالأئمة ما داموا يتلقون الوحي عن الله سبحانه وتعالي فهم معصمون ، والشيعة في هذا المجال يضفون من العصمة على أئمتهم ما لم يضفه أهل السنة على الأنبياء والرسل ، فالأئمة عندهم معصمون عن ارتكاب الصغائر والكبائر منزهون عن الخطأ والنسيان .

وكتب الشيعة مليئة بالحجج والأدلة التي أقاموها لإثبات عصمة الأئمة .

ج – علم الأئمة : وثالث صفات الأئمة التي اختصوا بها هي العلم ، وعلم الأئمة علم من نوع خاص ، فهم – في نظر غلاة الشيعة – قد أحاطوا بكل شيء علماً ، وقد أطلعهم الله على جميع أسرار الكون منذ خلق الدنيا حتى تقوم الساعة، وهم أحاطوا برسالات الأنبياء السابقين جميعاً ، واطلعوا على كتبهم المنزلة على اختلاف ألسنتها وعلومها ، هذا بالنسبة للرسالات السابقة .

أما بالنسبة لرسالة محمد (ﷺ) : فقد أنزل الله على رسوله (ﷺ) مصحفاً للأمة كلها ، واختص علياً وحده بمصحف آخر ، وجعله وقفاً على الأئمة ليس لغيرهم فيه قليل ولا كثير ، وهذا المصحف فيه علم ما كان وما يكون منذ أنشأ الله الدنيا حتى تقوم الساعة .

وقصة ذلك المصحف أن السيدة فاطمة بنت محمد (ﷺ) بعد وفاة أبيها ، وقبل أن تلحق به لقيت من المصائب والأحزان ما لا يعلمه إلا الله ، وفي هذه الفترة ما بين موت أبيها وموتها ، وكان جبريل (عليه السلام) ينزل عليها ليواسيها ويسري عنها ، وفي أثناء ذلك كان جبريل يحدثها عن كيفية خلق الله تعالى العالم ، وماذا حدث فيه ، وينقل إليها أخبار الماضين تفصيلياً ، ويحدثها عن ذريتها وما سوف يحدث لهم وينبئها عن أخبار المستقبل .

كل ذلك ، وزوجها " علي " يسمع ويكتب ويسجل كل ما يسمع ، حتى إذا ماتت فاطمة – رضي الله عنها – كان قد تكون عند " علي " من ذلك مصحف قدر المصحف المحمدي ثلاث مرات ، وفي هذا المصحف كل ما كان وما سيكون حتى قيام الساعة .

وهذا المصحف خاص بالأئمة ، كل إمام يورثه للإمام الذي يأتي من بعده ، وكل إمام يعلم الناس في زمنه من أسرار هذه المعلومة القدر الذي يستطيعون فهمه .

والإمام يعلم متي يموت ، حتى الأئمة الذين راحوا ضحية الغدر والقتل غيلة ، وكانوا يعلمون ساعة قتلهم ، ويعرفون قتلهم ، وراضين بهذا القتل ، وهم يروون عن أئمتهم في العلم المخاريق العجيبة ، ومما يروونه عن جعفر الصادق قوله : " إني لأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم ما كان وكل ما سيكون ، ولو كنت عند موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس لهما "

وقد عبر شاعرهم عن هذه العقيدة في علم الأئمة حين قال مخاطباً أحد الأئمة :

لو كان علمك بالإله مقسماً   في الناس ما بعث الإله رسولاً

والشيعة يعتقدون أن العلم قسمان : ظاهر وباطن ، وأن الأئمة هم الذين ينفردون بهذين النوعين من العلم ، وأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بوحي من الله تعالي، وأنهم معصومون عن الخطأ .

وإذا نحن ضممنا هذه الثلاثة إلي بعضها خرجنا بالسبب الحقيقي وراء هذه الانحرافات الشنعاء التي وقع فيها بعض طوائف الشيعة ، فصلة الإمام بالله صلة مباشرة ، والوحي مستمر عنده ، فإذا أضفنا إلي ذلك عصمته عن الوقوع في الخطأ ، ثم أضفنا إلي هذين العلم الباطن ، أدركنا أن الإمام لا يسأل عما يفعل ، وكل ما يأتيه صواب ، حتى لو أتي المنكرات ، ذلك أنه معصوم عن الخطأ من جانب ، وعنده علم الباطن من جانب آخر ، ومن هذا الباب دخل إلي الشيعة طوائف الباطنية والحشاشين .... الخ .

ولقد غلا الشيعة في اعتقادهم بضرورة وجود الإمام ، حتى زعموا أن الأرض لن تخلو أبداً من إمام عادل من أئمتهم ، إن زاد الناس شيئاً رده ، وإن نقصوا أتم ، وإن ضلوا هداهم ، ولو وجد في الأرض رجلان فقط لكان أحدهما

هو الإمام المعصوم ، والإمام ضروري لأنه نور اسد في الأرض الذي يضيء للناس طريقهم ، فهو المراد بقول الله تعالي : ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾ (١) فالنور هو الإمام ، وهو الهادي الذي جعله الله في كل قوم ليهديهم ي الطريق المستقيم ، فهو المراد بقوله تعالي : ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ (٢) فالأئمة هم نور الناس وهدايتهم وخزنة علم الله والوسطاء والشفعاء ، ولن يقرب الجنة إلا محبوهم ، ولن يدخل النار إلا مبغضوهم ، والإيمان بهم جزء من الإيمان ، وهو الإيمان بالله ورسوله .

فمن مات لا يؤمن بإمام مات كافراً مهما كان علمه ، وذلك أن حب الأئمة كاف في محو السيئات ، وتكفير الذنوب ، ولعل أصدق ما يعبر عن هذا قول شاعرهم :

حب علي في الوري جُنة   فامح به يا رب أوزاري

لــو أن ذميـــا نوي حبه   حصن في النار من النار

ولقد درج كثير من طوائف الشيعة على تقديس أئمتهم ، وساروا في هذا الشوط إلي مداه ، حتى خلعوا عليهم صفات لا يوصف بها إلا الله سبحانه وتعالي (٣) .

---

١ - سورة الأنعام : ١٢٢ .

٢ - سورة الرعد : ٧ .

٣ - تاريخ الفرق الإسلامية د / مزروعة ص (٢٣٠ : ٢٣٥) بتصرف .

وقفة تصحيح :

إن قول الشيعة بأن الإمامة ركن الدين ولا يتم إلا بها ، فهو حق أريد به باطل ، ذلك أن المسلمين جميعاً يتفقون على وجوب تنصيب الإمام الذي يقيم شعائر الدين ويطبق أحكام الإسلام وحدوده ، ويحافظ على حدود بلاد المسلمين ويرفع لواء الجهاد في وجه من يعتدون على بلاد المسلمين وينتهكون حرماتهم .

يقول ابن حزم الظاهري : اتفقت جميع الفرق الإسلامية على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض واجب عليها أن تقاد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتي بها رسول الله (ﷺ) (1)

وقال الماوردي : " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع " (2)

أما الباطل الذي أراده الشيعة فهو الاستدلال بالنصوص العامة على وجوب تعيين الإمام في إمامة شخص معين هو الإمام علي أو الاثنا عشر إماماً، فيستشهدون مثلاً بحديث رسول الله (ﷺ) " من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية " (3) بأنها البيعة لإمام أهل الزمان .

أو قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (4) أو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (5) بأن المقصود هو الإمام " علي بن أبي

---

١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص (٨٧) .

٢ - الأحكام السلطانية ص (٥) .

٣ - أخرجه مسلم . كتاب الإمارة . باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلي الكفر .

٤ - سورة الإسراء : ٧١ .

٥ - سورة السجدة : ٢٤ .

طالب " ومن بعده الأئمة المنصوص عليهم ، مع أن الشيعة مختلفون في سلسلة الأئمة المنصوص عليهم اختلافاً بيناً .

والمقصود من هذه النصوص العامة التنبيه على ضرورة وجود إمام وتحديد صفات الإمام الذي تجب طاعته بصرف النظر عن اسمه أو شخصه ، كما صح النص على صفة الشهود في الأحكام ، وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة ، وصفة الإمام في الصلاة ، وصفة من يجوز نكاحهم من النساء دون حاجة إلي ذكر أسماء ، فكل قرشي بالغ عاقل قادر على ولاية أمور الناس ، قام بعد موت الإمام الذي لم يعهد إلي أحد ، فبايعه الناس ، فهو الإمام الذي تجب طاعته ، ما حكم بكتاب الله ، وسنة رسول الله (ﷺ) ، فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك ، ويخلع إذا أمن أذاه ، ولم يؤد خلعه إلي فتنه أكبر .

أما دعوى النص على " عليَّ " أو غيره فهي لا تتفق مع الكتاب والسنة الصحيحة من جهة ، ولا تتفق مع العقل من جهة أخري .

– فلو كان هناك نص من كتاب أو سنة لما اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين ، بل كانوا يبايعون المعهود إليه مباشرة خاصة وهم أحرص الناس على اتباع رسول الله (ﷺ) .

– ولو كان هناك نص لما قال " عمر بن الخطاب " حينما طلب منه أن يختار خليفة للمسلمين من بعده : " إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني – يعني أبا بكر – وإن أترك فقد ترك من هو خير مني – يعني رسول الله (ﷺ) " وهذا نص صريح يفيد أن النبي (ﷺ) لم يستخلف أحداً بعده .

– ومما ينفي النصية على شخص معين ما رواه الإمام أحمد بسنده إلي ابن عباس رضي الله عنهما : " مات رسول الله (ﷺ) ولم يوص " .

– وهل يعقل أن يكون هناك نص على " علي " ثم يتركه أبو بكر الصديق الذي قال للناس بعد أن تولي أمر المسلمين " أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم "

– هل يعقل أن يترك صحابة رسول الله (ﷺ) نص حديث رسول الله أو معني معلوماً لآية من الكتاب الكريم لحساب أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب ؟ !! (١)

ولو سلمنا جدلاً بحدوث هذا الأمر من أبي بكر ، هل يعقل أن يترك " علي بن أبي طالب " هذه النصوص التي تثبت حقه ولا يواجه بها المجتمعين يوم السقيفة ؟

وإن قالوا سكت " تقيه " نسبوه إلي النفاق والمداهنة ، وهو ما لا يرضاه مسلم لعلي بن أبي طالب القوي في الحق .

يقول ابن حزم : ولا يجوز أن يظن بعلي (ﷺ) أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت ، وهو الأسد شجاعة ، قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله (ﷺ) مرات ، ثم يوم الجمل وصفين ، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين ، وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق " علي " ومنعه ما هو أحق به منذ مات رسول الله (ﷺ) إلي أن قتل عثمان (ﷺ) ، ثم ما الذي جلي بصائرهم في عونه ، إذ دعا إلي نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه صاحب الأمر ، والأولي بالحق ممن نازعه ، فما الذي منعه ومنعهم من الكلام وإظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر وبقي الناس بلا رأي ثلاثة أيام ، أو يوم السقيفة " .

١ – الفرق والجماعات المعاصرة وجذورها التاريخية – أ . د / سعد الدين السيد صالح ص (٤٩ : ٥١) بتصرف – ط دار أحد للنشر والتوزيع .

أما كان في جميع أهل الإسلام من المهاجرين والأنصار وغيرهم واحد فقط تحلي بالصدق يقول يا معشر المسلمين ، إن علياً له الحق في الإمامة ، وهذا هو نص رسول الله (ﷺ) !!

بل إن الثابت بالنصوص هو أنه لما أراد الناس بيعة علي (ﷺ) بعد استشهاد عثمان ، وقالوا له : مد يدك نبايعك على خلافتك ... قال : دعوني والتمسوا غيري ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً .

وقد ورد هذا النص في نهج البلاغة ، وهو من مراجع الشيعة التي يعتمدون عليها .

فلو كانت إمامته من رسول الله (ﷺ) نصاً لما اعتذر هذا الاعتذار ، ذلك أن الإمامة المنصوص عليها من الله واجبة الطاعة على الإمام وعلى رعيته ، بل إننا نلاحظ أن علياً بن أبي طالب قد بايع أبا بكر ولم ينازعه الأمر ، ثم بايع عمر وعثمان ، وحينما جاء دوره في الإمامة أراد أن يعتذر ، ثم نلاحظ أن الحسن بن علي قد فوض الأمر إلي معاوية وبايعه ، كما أن الحسين قد بايع معاوية أيضاً

وكل ذلك يدل دلالة قاطعة على نفي النص على شخص معين .. فلو كان الحسن والحسين إمامين منصوصاً عليهما من الله ورسوله كما زعمت الشيعة لما بايعا معاوية (ﷺ) .

إذ كيف يستحل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، إبطال عهد رسول الله (ﷺ) طائعين غير مكرهين ؟ !!

فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه حين رأي أن بيعة يزيد باطلة ، فلو لا أنه رأي بيعة معاوية حقاً لما سلمها له ولفعل كما فعل مع يزيد .

فما أعجبُ بعد ذلك إلا من تكفير كثير من الشيعة لأبي بكر وعمر وعثمان بحجة أنهم اغتصبوا الإمامة من علي وبنيه !!

فهل يجوز أن ننسب صحابة رسول الله (ﷺ) إلي مثل صفات الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، وكتمان الحق والاغتصاب وغير ذلك مما لا يليق بهم ، خاصة وأن رسول الله (ﷺ) قد مدح أصحابه وجعلهم مصدر الهداية من بعده ، يقول الرسول (ﷺ) " **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** ..... " [1] ويقول (ﷺ) : " **اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر** " [2] .

وفي هذا رد على الإمامية الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر ، بل إن علياً نفسه قد قال على منبر الكوفة : " لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري – أي ثمانين سوطاً "

وفي هذا دليل أيضاً على بطلان قول الرافضة من الشيعة الزيدية بأن علياً لم يبايع إلا تقية .

فكل هذه أدلة تنفي القول بالتقية ، وتهدم مبدأهم الأساسي الذي انطلقوا منه إلي سائر معتقداتهم الفاسدة .

إذا ما هو مصدر تلك المقولة الخطيرة التي فرقت الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً .

---

١ – رواه الترمذي برقم ٢٦٠٠ ، وأبو داود برقم ٣٩٩١ ، وابن ماجة برقم ٤٢ .
٢ – سند أحمد برقم ٢٢٢٩٦ ، وسنن الترمذي برقم ٣٣٩٥ ، وابن ماجة في المقدمة ٩٤

سبق أن قلنا : إن أول من ابتدع القول بالتقية هو " عبد الله بن سبأ " اليهودي اللعين ، ليشتت بها شمل المسلمين ، وتلقفها من بعده الشيعة وجعلوها من أصول الإيمان عندهم .

ولكي يستدلوا على ما ذهبوا إليه ، وليستميلوا جهلة المسلمين وعوامهم ذهبوا إلي كتاب الله العزيز ، واختاروا منه الآيات العامة التي تمدح المؤمنين وأوليائه من المتقين وخصصوها بعلي وبنيه ، وأسعفهم في ذلك واضعوا الحديث والمؤرخون والمضللون الذين فسروا بعض الأحاديث على هواهم ، ومنها الأحاديث التي وردت في مدح " علي " على أنه ورد أضعافها في مدح أبي بكر وعمر وعثمان .

وخذ على سبيل المثال لا الحصر قول رسول الله (ﷺ) في أبي بكرعنه : " **لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخي وصاحبي** " (1) وقوله في عمر بن الخطاب عنه " **لو كان بعدي نبي لكان عمر** " (2) وقوله في عثمان عنه : " **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة – يعني عثمان** " (3)

فهل إذا ورد حديث يقول : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها** " ، أو قال : **أقضاكم علي** " (4) أو قال : " **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** " (5) يكون هذا نصاً على إمامته خاصة مع أن هذا الحديث الأخير قاله الرسول (ﷺ) في

---

١ – رواه البخاري ومسلم في فضائل الصحابة .

٢ – رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .

٣ – رواه البخاري .

٤ – أثر موقوف على صحابي ، قاله عمر : أقضانا علي ، وهو في البخاري ، كتاب التفسير برقم ٤١٢ ، ومسند أحمد ، في مسند الأنصار برقم ٢١٧٢ .

٥ – رواه البخاري ٣٤٣٠ كتاب المناقب ، ومسلم برقم ٤٤١٨ ، ٤٤٢١ ، والترمذي برقم ٣٦٥٨ ، وابن ماجة ١١٢ . وأحمد ١٣٨٤ .

ظروف خاصة ، فقد خرج الرسول (ﷺ) في غزوة تبوك واستخلف علياً على المدينة ، فغضب علي ، وكره أن يبقى وحده مع النساء والصبيان والعجزة ، وينهض جميع الصحابة للجهاد – وهو المحارب الشجاع – فأراد الرسول (ﷺ) أن يطيب خاطره فقال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ﴾

وهذا الحديث لا يثبت الإمامة لعلي ، غاية فيه : إثبات فضيلة من فضائل الإمام علي ، ولم يتعرض الحديث لكونه أفضل من غيره ، فقد أراد النبي (ﷺ) فقط من وراء مقاله أن يطيب خاطره ، ومما يؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد النبي موسى عليهما السلام ، بل كان نبياً معه ، ولا يلزم من التشبيه المساواة في كل الأحوال ، وقد استخلف موسى هارون في حياته حينما ذهب لميقات ربه (1)

يقول ابن تيمية : ولم يقل أحد من العقلاء أن من استخلف شخصاً على بعض الأمور، وانقضى ذلك الاستخلاف أن يكون خليفة بعد موته على شيء (2)

ولو كان الاستخلاف يدل على أنه أفضل أو أنه الخليفة الأمر أن يكون " ابن أم مكتوم " خليفة بعد النبي (ﷺ) ، لأنه – كما زعموا – لا قتغى الكل على المدينة ، واستخلف غيره أيضاً ، فلم خصصتم علياً بذلك دون غيره مع اشتراك في الاستخلاف ؟ ولو كان هذا من باب الفضائل لما وجد عليّ في نفسه وقال : أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفاء !!

---

1 – الإمامة العظمى د / عبد الله بن عمر الدميجي ص (٣٢٥) نقلاً عن : الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة .

2 – مناج السنة النبوية ص (٩١) .

هذا فضلاً عن أن الاستغراق ممنوع ، إذ من جملة منازل هارون كونه نبياً مع موسى ، وعلي ليس بنبي اتفاقاً منا ومنكم ، ولا مع النبي (ﷺ) ولا بعـــده ، فلو كانت المنازل الثابتة لهارون – ما عدا النبوة بعد النبي (ﷺ) – ثابتة لعلي لا قتضي أن يكون نبياً مع النبي (ﷺ) ، لأنه النبوة معه لم تستثن ، وهي من منازل هارون عليه السلام ، وإنما المستثني النبوة بعده ، وأيضاً من جملة منازل هارون كونه أخاً شقيقاً لموسى ، وعلي ليس بأخ ، والعام إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية ، فليحمل الكلام على منزلة واحدة كما هو ظاهر التاء التي للواحدة ، فتكون الإضافة للعهد ، وهو الأصل فيها ، فمنزلة علي هي استخلافه على المدينة في غزوة تبوك كما استخلف موسى هارون على بني إسرائيل أيام الميقات .

وأما حديث " غديرخم " " **من كنت مولاه فعلى مولاه** " فقد فهمه الشيعة فهماً مغالطاً ، فقالوا : إن المولي بمعني الأولي بالتصرف ، وكونه أولي بالتصرف هو عين الإمامة !!

وهذا الكلام منهم مغالطة ، فإن أهل العربية لا تقول المولي بمعني أولي بالتصرف ، فهناك فرق بين الولي وبين المولي والوالي ، فباب الولاية التي هي ضد العداوة شيء ، وباب الولاية التي هي الإمارة شيء ، والحديث هو في الأولى دون الثانية ، والنبي (ﷺ) لم يقل من كنت واليه فعلي واليه ، بل من كنت مولاه ، إذاً فهو أولى بالمحبة والتقدير والتعظيم ، وولاية النصر والمودة ، فهذا الحديث لا يدل على ولاية السلطة التي هي الإمامة والخلافة ، ولكنه المعني الثاني المراد ، وهو من كنت ناصراً له وموالياً له فعلي ناصره ومواليه ، أو من والاني ونصرني فليوال علياً وينصره ، وهذه منقبة عظيمة لعلي عنه ، وقد فهم الصحابة معنى ذلك " **اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله** " عندما لقيه عمر بن الخطاب عنه قال له : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولي كل مؤمن ومؤمنة .

وأما حديث " **أقضاكم علي** " فلا دلالة فيه على الإمامة ، بل هو يدل على سمة خاصة تميز بها علي ، كما تميز غيره من الصحابة ببعض السمات ، فقد قال رسول الله (ﷺ) " **أفرضكم زيد ، وأقرأكم أبي ، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ** " فهذه من الخصائص أو المناقب أيضاً ، فبراعة علي عنه في القضاء ثابتة ، ولكن لا يستدل بها على الإمامة أيضاً .

وأما استشهادهم بحديث " **أنا مدينة العلم وعلي بابها** " فهو موضوع ، ولا أصل له في كتب السنة المعتمدة ، ومع التسليم جدلاً بصحته فهو لا يثبت دعواهم .

ومثله حديث " **سلموا على عليّ بإمرة المؤمنين** " فهو موضوع اتفاقاً ، فهل بمثل هذا تثبت الخلافة ؟ هذا وقد أجمعت الأمة على أن النبي (ﷺ) ما نص على أحد يكون من بعده .

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن القول بوصيته (ﷺ) لعلي كذب وبهتان وافتراء عظيم ، وقال : " وأما ما غير به كثير من الجهلة الشيعة والقُصَّاص الأغبياء من أنه أوصي إلي علي بالخلافة ، فكذب وبهتان وافتراء عظيم ، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة ومما لأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته ، وإيصالها إلي من أوصي إليه ، وصرفهم إياها إلي غيره ، لا لمعني ولا لسبب .

وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة ، ولله الحمد [1]

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص (٢٤٥) .

وخلاصة الرد على الشيعة أن صحابة رسول الله (ﷺ) لم يكونوا من العقوق لرسول الله (ﷺ) بأن يصل أمرهم إلي حد إهمال نصوصه وتوجيهاته ، وإنما كانوا حريصين كل الحرص على طاعة الله ورسوله ، مما يدل على أنه لم يكن هناك نص على إمامة أحد ، وإلا لتمسك به " علي " وسائر الصحابة .

وكيف تكون **الإمامة** بالنص والتعيين في اثني عشر إماماً ، والرسول يقول " **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عضوضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة** " (١)

إذا فكيف يكون هناك نص على اثني عشر إماماً هم الذين يستوعبون ما بقي من عمر الدنيا ، بعد وفاة الرسول (ﷺ) ؟ إن هذا التحديد لا يتفق مع العقل، ولا مع الحديث السابق الذي تحدث عن المستقبل السياسي للأمة بعد وفاة رسول الله (ﷺ) فعرض لنا مراحل واقعية مرت بها الأمة .

إن صحابة رسول الله (ﷺ) الذين شهد القرآن بعدالتهم لا يمكن أن نقبل فيهم تجريح الشيعة ونسبتهم للكفر والظلم !! ألا يكفي في صحابة رسول الله (ﷺ) قول الله تعالي : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ (٢) وكانوا ألفاً وأربعمائة صحابي ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم**

---

١ - رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٧٦٨٠ بسند صحيح .

٢ - سورة الفتح : ١٨

بإحسانٍ رَضِي اللَّهُ عنْهُمْ ورضوا عنْهُ ﴾ (١) ، وقوله تعالي:﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ على النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِين اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ (٢)

ألا تكفي كل هذه النصوص ، وهي قليل من كثير – في بيان فضل صحابة رسول الله (ﷺ) وعظم منزلتهم عند الله ؟ فكيف يسمح مسلم لنفسه أن يَطعن فيهم ويرميهم بالكفر أو الفسق أو الظلم والعدوان ، بل إن من الشيعة من عاب علياً نفسه وقال : إنه قصر في حقه ، وأنه كان يجب عليه أن يخرج داعياً لنفسه وأن يظهر الحق ولا يكتمه .

وإنه لتناقض عجيب وقع فيه هؤلاء الشيعة حيث إنه من مبادئهم أن الإمام المنصوص عليه هو أعلم الناس بالشريعة ، وهو دائرة التلقي والعلم ، فكيف يعيبون عليه أنه قصر في حقه ؟ وكيف يملون عليه ما كان ينبغي أن يفعله وهم الذين يزعمون أنه مصدر العلم والهدي ؟ !!

ونتساءل في نهاية هذه المناقشة : لماذا صرف الله الإمامة عن آل البيت ، ولماذا لم ينص رسول الله (ﷺ) على إمامة أحد من آله من بعده ؟

والجواب : أن الله صرف الإمامة عن آل البيت إكراماً لهم وتبرئة للنبوة ولبيت النبوة ، فإن النبوة لا تورث ، ومن أجل هذا صرف الله الخلافة عن عشيرة النبي وآله وأبنائه ، فلم ينلها واحد منهم بنص منه ، وذلك تبرئة لنبيهم (ﷺ) وقد كانت المنافسة شديدة بين بني هاشم وبين القبائل العربية الأخرى حول الرياسة والقيادة ، ولو ورثها النبي لواحد من آله لظن الناس أنها ملكاً وليست نبوة ، يقول أبو بكر عنه : " إن الله أبي أن يجمع لأهل البيت بين النبوة والخلافة " ولو رجعنا إلي زمن النبي (ﷺ) لوجدناه لم يستعمل أحداً من بني

---

١ – سورة التوبة : ١٠٠ .

٢ – سورة التوبة : ١١٧ .

هاشم في رياسة أو إمارة ، ولقد طلبها عمه العباس ، وفي رواية " حمزة " فقال يا عم : " **نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها** " ([1]) بل إن الرسول (ﷺ) منع أبناءه إرث ماله ، فقال : " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة**"

ولذلك فإن أبا بكر وعمر لم يستعملا أحداً من بني هاشم في إمارة أي بلد من بلدان المسلمين جرياً على سنة رسول الله (ﷺ) ، ولذلك قال الفاروق عمر لابن العباس : أنتم أهل النبي ، فما نقول في منع قومكم لكم ؟ قال ابن العباس : لا أدري والله ، ما أضمرنا لهم إلا خيراً ، فقال الفاروق : كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء بذخاً وشمخاً ، وإن قريشاً لتنظر إليكم نظر الثور إلي جازره [2]

ومن هنا ترك الأمر لرأي الأمة فإن اختارت من تلقاء نفسها واحداً من آل البيت فهذا شأنها ، أما أن يرثها آل البيت بنص فهذا ما لم تكن قريش لتقبله ، ولهذا قدمت من بعده من هو أفضل بعمله ودينه وسبقه في الإسلام وهو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين [3]

---

١ - رواه أحمد في مسنده برقم ٦٣٥٠ .

٢ - الوشيعة في عقائد الشيعة - موسى الجار الله ص (٥٦) .

٣ - الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة ص (٥٦ - ٥٨) .

لم يؤثر عن الإمام علي عنه أنه ذهب إلى تقديس الخلافة ، أو أنه جعل الإمامة ركناً من أركان العقيدة . ولكن الذي أثر عنه – طبقاً للمصادر الإسلامية من شيعية وغير شيعية – أنه كان زاهداً فيها غير حريص عليها ، هذا فضلاً عن حبه للخلفاء الراشدين الذين سبقوه ، ومودته لهم ، وإصهاره إليهم ، ورثائه إياهم عندما توفوا إلى رحمه الله تعالى .

يروى ابن أبي الحديد – كما سبق – هذا القول للإمام علي في الخلافة : " دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطيعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً " (١)

وفي كلمات أخرى – يرويها ابن أبي الحديد – عن سيدنا علي قوله " والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها ، فلما أفضت إلي ، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وما أمرنا بالحكم به فاتبعته ، وما استسن النبي (ﷺ) فاقتديته (٢)

وهكذا تحمل سيدنا علي أمانة الخلافة استجابة لطلب المسلمين ، ولم يخطر بباله أنها منصب إلهي أو ركن من أركان العقيدة الإسلامية .

وهذا أستاذ شيعي يشهد ويجتهد في المسألة وهو الدكتور " موسى الموسوى " في كتابه " الشيعة والتصحيح " فيرى أن علياً أولى بالخلافة – وليس

١ – نهج البلاغة ج ١ ص (١٨٢) .
٢ – المصدر السابق ج ٢ ص (١٨٤) .

بالإمامة على الصورة التي رسمها الشيعة المتأخرون زماناً – ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين ، و " علي " بايعهم ، ثم بايع المسلمون علياً بعد عثمان، فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من أبي بكر إلى علي ( )

يمضي المجتهد الإيراني الشيعي الدكتور موسى الموسوي في القول بأن الإمام علياً كان يؤكد على شرعية بيعة الخلفاء الراشدين قائلاً : ومرة أخري نقول : إن هناك فرقاً هناك كبيراً بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه أنه أولي بخلافة رسول الله (ﷺ) من غيره ، ولكن المسلمين اختاروا غيره ، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي ولكنها اغتصبت منه ، ثم يقول : والآن فلتستمع إلي الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة ، ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء ، وعدم وجود نص سماوي في أمر الخلافة ، ويردد قولاً للإمام – ذكره ابن أبي الحديد – وهو : " إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضي ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلي ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين " .

وفي موضع آخر من كتابه " الشيعة والتصحيح " يعود الدكتور موسى ليؤكد على شرعية الخلفاء الراشدين ، وبيعة الإمام علي لهم قائلاً : إذا كانت الخلافة بنص سماوي ، وكان هذا النص في علي ، هل كان بامكان الإمام على أن يغض النظر عن هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ لأمر لم يكن من حقهم ؟ [٢]

---

١ – الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص (١٤) .
٢ – المرجع السابق ص (١٩ ، ٢٠) .

رأي الإمام علي في الخلفاء الراشدين

كان الإمام علي شديد الحب للخلفاء الراشدين ، كثير التعاون معهم في دراسة مشاكل المسلمين ، وتحمل مسئولية الحكم إبان أسفارهم ، وكانوا يندبونه إلي ذلك ، ولعل أبلغ ما يمكن أن يصور مكانة أبي بكر في قلب الإمام علي هو خطبة الإمام حين وقف على بابه يخاطبه يوم وفاته قائلاً : " رحمك الله يا أبا بكر ، كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأعظمهم عناء ، وأحفظهم على رسول الله (ﷺ) خلقاً ، وفضلاً وهدياً وسمتاً ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وأسماك الله في كتابه صديقاً ، ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١) يريد محمداً ويريدك ، وكنت والله للإسلام حصناً ، وعلى الكافرين عذاباً ، لم تقلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ، وكنت كما قال رسول الله (ﷺ) ، ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، وعظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ، كبيراً عند المؤمنين ، ولم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك " .

هذا هو رثاء أمير المؤمنين " علي " لأمير المؤمنين " أبي بكر " ، أو بالأحرى هذا رأيه فيه ، وتلك دمعة سكبها لفراقه ، أفمثل هذا الذي رثاه سيدنا علي بهذه المعاني يمكن لأتباع سيدنا علي أن يرموه بالكفر والردة ، وأن يصفوه بالجبت والطاغوت ؟

١ - سورة الزمر : ٣٣ .

والرأي نفسه قاله أمير المؤمنين علي في عمر وعثمان ، وهو كلام جميل كله صدق وأدب ، وهو كلام موثق لا كذب فيه ولا تلفيق .

إن المجتهد الدكتور الموسوي يستعرض الكثير من هذه المواقف ويرددها ثم يقول : لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة ، والكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية ، ويناقض كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده في حقهم ، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين ، وتقدر منزلتهم من الرسول (ﷺ) ، فالنبي (ﷺ) صاهر أبا بكر وعمر ، وعثمان صاهر النبي (ﷺ) مرتين ، وعمر بن الخطاب صاهر علياً وتزوج من ابنته أم كلثوم .

ويستطرد المجتهد الشيعي الجليل قائلاً : ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام علياً أكثر مما قاله الإمام في حقهم ، فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام " علي " لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامي سلام فكري عميق . فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى (١) .

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : " هذا كلام عالم شيعي مجتهد جليل ، يشاركه رأيه في هذا الموضوع كثير من علماء الشيعة وأعيانهم المعاصرين الذين تربطنا بكثير منهم روابط أخوة إسلامية ومودة قلبية وأواصر متينة من الود والمحبة .

وإذا كان العالم المجتهد الدكتور الموسوي قد فصل الأمر في علاقات الحب والاحترام المتبادل بين الإمام علي والخلفاء الراشدين السابقين عليه ، فإننا

١ – الشيعة والتصحيح ص (٤٧ . ٤٨) نقلاً عن : إسلام بلا مذاهب د / مصطفى الشكعة .

نضيف إلي قوله ، إن الإمام علياً لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه قد سمي ثلاثة من أبنائه بأسمائهم ، فلقد سمي أحد أولاده " أبا بكر " وسمي ولدا ثانيا " عمر " وسمي ولداً ثالثاً " عثمان " ، وهذه قرينة كبرى على حب سيدنا علي لإخوانه الراشدين صحابة رسول الله (ﷺ) (١)

وإليك مزيداً من مواقف علي بن أبي طالب من الخلافة وممن سبقه من الخلفاء :

روي الإمام يحيي بن حمزة الزيدي عن سويد بن غفلة أنه قال : مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – فأخبرت علياً عنه ، وقلت : لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك ، فقال علي (رضي الله عنه) : " نعوذ بالله ، رحمنا الله " ثم قام فأخذ بيدي فأدخلني المسجد ، فصعد المنبر ، ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر عليها ، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس ، ثم خطب فقال : " ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله (ﷺ) ووزيريه ، وصاحبيه ، وسيدي قريش ، وأبوي المسلمين ، وأنا مما يذكرون بريء ، وعليه معاقب ، صحبا رسول الله (ﷺ) بالحب الوفاء والجد في أمر الله ، يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان ، ولا يري رسول الله (ﷺ) كرأيهما رأياً ولا يحب كحبها حباً ، لما يري من عزمهما في أمر الله ، فقبض (ﷺ) وهو عنهما راض ، والمسلمون راضون ، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما أمر رسول الله (ﷺ) ورأيه في حياته وبعد موته ، فقبضا على ذلك – رحمهما الله – فو الذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما إلا شقي مارق ، فحبهما قربة وبغضهما مروق ... (٢)

١ – إسلام بلا مذاهب د / مصطفي الشكعة ص (٢١٦) ط الدار المصرية اللبنانية .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية د / مزروعة ص (٢١٠) .

فالله أكبر ... هذا قول علي في الشيخين ورأيه فيهما ، فعلى أي شيء يلعن الشيعة أبا بكر وعمر خاصة ، والصحابة عامة ؟ !!!

هذا .... تزعم الشيعة أن علياً وصي رسول الله وخليفته بنص أو وصية ، فأين هذا النص وتلك الوصية ؟ ولماذا لم يخرجها علي يوماً أو يعلنها على الناس ، ولماذا لم يعرفها أحد من الصحابة فيعلنها في حينها عند مبايعة أبي بكر الصديق أو من قبل ذلك أو من بعده ؟ !!

وماذا نقول في هذا النص الذي يدل على عدم وجود وصية أصلاً ، وهو في ذلك واضح وضوح الشمس في جلاء النهار ، حيث روت كتب السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن علياً خرج من عند النبي (ﷺ) وهو في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟ فقال علي : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده العباس ، وقال : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأري رسول الله (ﷺ) سيتوفى من وجعه هذا ، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، فاذهب إلي رسول الله فاسأله فيمن هذا الأمر ؟ فإن كان فينا علمناه ، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا ، فقال علي : أما والله لئن سألناه فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني لا أسألها "

وواضح من هذه الرواية عن ابن عباس أنه لم يكن هناك نص ولا وصية ولا تعيين على إمامة علي عنه .

وكيف يقال : إن النبي (ﷺ) قد أوصى بالخلافة لعلي عنه ، وهو الذي سارع إلي مبايعة أبي بكر الصديق عنه بمجرد سماعه مبايعة المسلمين بالخلافة ، أو بعد ستة أشهر – كما قيل – حيث كان منشغلاً بزوجه فاطمة رضي الله عنهما .

ومما يدل على أن علياً بايع أبا بكر منذ البداية ، ورضي بخلافته ، ما رواه الطبري من أن أبا سفيان بن حرب جاء إلي " علي " عقب توليه أبي بكر الخلافة ، وقال له : " ما بال الأمر – يريد الخلافة – في أقل حي من قريش ، والله إن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً " فقال له علي : " يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره شيئاً ، وأنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً " .

هذا ... وليس هناك من يقرر وجوب تعيين وصي على الله تعالي ، ولا من يقرر أن الله تعالي قد عين وصياً لكل نبي إلا هؤلاء الشيعة ، وكل ما استدل به في هذا الباب فهو إما أنه صحيح في نفسه ، لكنه وضع في غير موضعه ، وفسر على غير وجهه ، وإما أنه ليس صحيحاً أصلاً .

فزعمهم أن قول الله تعالي : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ (١) لم ينزل إلا بعد أن عين الرسول (ﷺ) علياً عنه إماماً ، حيث لا يكمل الدين ولا تتم النعمة إلا بتعيين الوصي والإمام !! كلام مرفوض ، ودليل متهافت ، ومذهب فاسد ، لا يذهب إليه إلا جاهل ، ولا يقول به إلا سفيه.

وزعموا أن قوله تعالي : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾ (٢) أن الله هو الذي يختار الإمام ، ولا يحق للناس اختياره ، وهو أفسد من سابقه .

وزعموا أن قوله تعالي : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ..... ﴾ (٣) إنما نزلت في علي ، حيث اختاره الله وصيا ، وأبلغ الرسول (ﷺ) بذلك ، وأمره أن يبلغ الناس ذلك ، بل ويقرأ

---

١ – سورة المائدة : ٣ .

٢ – سورة القصص : ٦٨ .

٣ – سورة المائدة : ٦٧ .

بعض فرق الشيعة الآية هكذا (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي) !! وليس الأمر كذلك ، بل هو السفه والجنون وتحريف الكلم عن مواضعه .

وزعموا أن قوله تعالى : ﴿ وكُلَّ شيْءٍ أحْصيْناهُ في إمامٍ مُبِينٍ ﴾ (١) أن المقصود هو الإمام من أئمتهم وأن الله قد أعطي الأئمة فهم كل شيء والإحاطة بكل شيء .

أو قوله تعالي : ﴿ إنَّمَا أنتَ مُنذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (٢) قالوا : المنذر رسول الله (ﷺ) . والهادي هو علي عنه .

وقوله تعالي : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ قالوا مسئولون عن ولاية علي ومشايعته عنه !!!

هذه هي الآيات التي يستدلون بها على أن الله تعالي قد عين الإمام علياً وصياً وولياً بعد رسول الله (ﷺ) .

ومن الواضح أن فهمهم للآيات خاطئ ، وأنهم أولوا الآيات على هواهم ، وليس في الآيات آية واحدة تشهد – من قريب ولا من بعيد – لما ذهبوا إليه (٣)

الإمامة كمنصب إلهي قضية اخترعت في زمن متأخر : يقول الدكتور مصطفي الشكعة : هذا العنوان الجانبي الطويل ليس من عندي ، فإنه من الوضوح بمكان أنني لم أشترك في هذا الموضوع وغيره من موضوعات المذاهب الإسلامية كطرف مباشر ، ولكني استنطق الوثائق والأحداث

---

١ – سورة يس : ١٢ .
٢ – سورة الرعد : ٧ .
٣ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٣٢) بتصرف .

والأشخاص ، وقد حرصت في هذا الباب أن يكون الحوار في شئون المذاهب بين الشيعة وبين أنفسهم (١)

إن العالم المجتهد موسى الموسوي يلغي مبدأ أن الإمامة منصب ديني سماوي إلغاء تاماً ، ويقول ما نصه : " فحتى في أوائل القرن الرابع الهجري ، وهو عصر الغيبة الكبرى ، لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي ، أو أنها حق إلهي اغتصب منه ، أو أن صحابة رسول الله (ﷺ) اشتركوا أو ساهموا في هذا الأمر ، وهكذا تغيرت فكرة الأولوية بخلافة " علي " إلى فكرة الخلافة الإلهية ومخالفة النص الإلهي (٢)

وتبعاً لذلك يستطرد المجتهد الشيعي الموسوي قائلاً : " إذا كانت الإمامة إلهية كما تذهب الشيعة وأنها في أولاد علي حتى الإمام الثاني عشر ، لعيّن علي ابنه الحسن خليفة وإماماً من بعده ، وهو ما لم يحدث ، فقد اتفق الرواة والمؤرخون على أن الإمام عندما كان على فراش الموت بعد أن ضربه " ابن ملجم المرادي " بالسيف المسموم ، وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال : أتركهم كما تركهم رسول الله (ﷺ) ، وبعد وفاة الإمام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة على المسلمين . ولكن الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة . فهل - يا ترى - لو كانت الخلافة منصباً إلهياً ، هل كان يستطيع الإمام الحسن أن يتنازل عنه بذريعة حقن دماء المسلمين (٣)

ويستشهد الدكتور الموسوي بمواقف لأئمة آخرين - مرموقين كعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق فيقول : إننا لم نجد في أقوال الإمام علي بن الحسين الملقب بالسجّاد أية عبارة تدل على كون الخلافة الهية ، وبعد

---

١ - إسلام بلا مذاهب ص (٢١٦) .
٢ - الشيعة والتصحيح ص (٣٨) .
٣ - المرجع السابق ص (٤٤ - ٤٥) .

السجاد يأتي دور الإمام الباقر ، والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب أهل البيت الفقهي ، الذي أكمله ابنه الإمام جعفر الصادق ، فنحن – والكلام للدكتور الموسوي – لا نجد اثرا لفكرة الخلافة الإلهية في عهدهما . ولا في عهد أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى (١)

هكذا ينفي بعض علماء الشيعة الكبار المبدأ الذي اخترعه فريق من الشيعة وهو القول بأن الإمامة منصب إلهي . وأنها إحدى دعائم الإسلام . هذه القضية التي فرقت شمل المسلمين ، وبددت جهودهم ، وجعلتهم فرقا متنافرة متحاربة ، بعد أن كانوا إخوة متحابين ، أشداء على الكفار رحماء بينهم (٢)

١ – الشيعة والتصحيح ص (٤٥) .
٢ – إسلام بلا مذاهب ص (٢١٧) .

الثانية : من عقائد الشيعة : " التوحيد " أو " الإيمان بالله " :

فالتوحيد هو الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة ، أو هو الأصل الأول من أصول الدين لديهم ، وهو المقابل عند أهل السنة للأصل الأول : الإيمان بالله تعالي .

أقول : وإن كان لم ينل من الأهمية ما نالته عقيدة الإمامة عندهم ، لذا قدمتها عليه ، ولكن قلنا إن التوحيد هو الأساس الأول باعتبار يمكن أن نلتقي معهم عليه .

هذا .. وقد آثر الشيعة كلمة " التوحيد " بدلاً من الإيمان بالله ، بسبب أنهم من النافين للصفات – كالمعتزلة – الذين يقولون بأن صفات الله تعالي هي عين ذاته ، فليس لله سبحانه صفات زائدة على الذات ، من هنا فقد آثروا التنصيص على التوحيد في عقائدهم ، لما أنهم يرون أنهم الموحدون بنفيهم الصفات . وأن المثبتين من طوائف الأمة ليسوا موحدين (1)

فحتى " التوحيد " لم يخل عندهم من كفريات تمثلت في إنكار توحيد الصفات الذي لا يجحده إلا كافر .

والتوحيد عندهم له مراتب أربعة : توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وتوحيد الآثار .

وقد يعبرون عن هذه الدرجات الأربعة بما يقابلها من أصناف الخلق فيقولون : توحيد العوام ، وتوحيد الخواص ، وتوحيد خاص الخواص ، وتوحيد أخص الخواص .

فالعوام هم الذين يقتصرون على توحيد الذات ، والخواص يجمعون إلي توحيد الذات توحيد الصفات ، وخواص الخواص يوحدون الذات والصفات

---

1 – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢١٨) بتصرف .

والأفعال ، وأما أخص الخواص فيمتازون عن الأصناف الثلاثة بأنهم يزيدون على توحيد الذات ، والصفات ، والأفعال ، توحيد الآثار .

ويقولون بأن المرتبة الأولي هي مدلول كلمة : لا إله إلا الله ، والمرتبة الثانية هي مدلول كلمة " لا هو إلا هو " والمرتبة الثالثة هي مدلول كلمة " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، والمرتبة الرابعة هي مدلول كلمة " لا مؤثر في الوجود إلا الله " .

وهم يزعمون أن الشيعة وحدهم هم الذين يجمعون في التوحيد هذه المراتب الأربعة ، بخلاف طوائف المسلمين ، فمنهم من يقف عند الدرجة الأولي ، ومنهم من يتعداها إلي الثانية ، ولكن لا يحصل المرتبة الثالثة والرابعة إلا الشيعة [1]

(الصفات) يعتقدون بأن صفات الله – تعالي – الثبوتية عين ذاته ، ليست زائدة عليها وليس وجودها إلا وجود الذات ، فقدرته – من حيث الوجود – هي حياته ، وحياته قدرته ، لا اثنينية في صفاته ، وكذا في سائر صفاته تعالي ، هذا هو الشأن في الصفات الثبوتية الكمالية .

أما الصفات الثبوتية الإضافية مثل : الخالقية والرازقية ، فهي ترجع في حقيقتها إلي صفة واحدة ، هي صفة " القيومية " وهي صفة واحدة ينتزع منها عدد من الصفات تبعاً لاختلاف الآثار والملاحظات .

وأما الصفات السلبية التي تسمي بصفات " الجلال " فهي ترجع جميعاً إلي سلب واحد ، هو " سلب الإمكان " [2]

---

١ – عقائد الإمامية الاثني عشرية ، لمؤلفه السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ص (٢٤) مؤسسة الأعلى للمطبوعات – بيروت نقلاً عن تاريخ الفرق الإسلامية .

٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢١٩) .

الثالثة : (من معتقدات الشيعة) النبوة : يعتقد الشيعة أن النبوة وظيفة ربانية وسفارة إلهية ، يضعها الله تعالي بين يدي إنسان معين من الخلق ، ويعده الله تعالي لهذه المهمة إعداداً خاصاً ، ويمده بملكات وقوي نفسية وجسمية ، بها يستعين على أداء مهمته التي اصطفاه الله لها .

وهؤلاء الأنبياء والرسل يصطفيهم الله – سبحانه – ليكونوا سفراء بينه وبين خلقه ، يبلغوهم تعاليمه وشرائعه وينشروا تلك الشرائع بين الناس ، ويرعوا مصالح الناس ومنافعهم في الدنيا والآخرة .

ويعتقد الشيعة أن الأنبياء أكثر عددا من الرسل ، فالنبي أعم ، والرسول أخص ، فالرسول صاحب شريعة والنبي تابع له في ذلك .

يعتقد الشيعة بأن الأنبياء معصومون عصمة مطلقة ، فهم معصومون من الصغائر والكبائر ، والسهو والنسيان قبل البعثة وبعدها .

ويعتقد الشيعة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالي ، ولهم أدلة على ذلك منها :

١) أنه قد ثبت أن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده ، وليس هناك أصلح من إرسال الرسل والأنبياء إلي العباد .

٢) أن القرآن الكريم صرح بوجوب اللطف على الله بالعباد ، يقول تعالي ﴿ **الله لطيف بعبادة** ﴾ (١) وأعلى درجات اللطف هو إرسال الأنبياء والرسل لرعاية مصالح الناس في المعاد والمعاش.

١ – سورة الشورى : ١٩ .

٣) أن الهدف من إيجاد الخلق هو عبادة الخالق سبحانه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إرسال الرسل إلي الخلق ليعرفوهم أوامر الله ونواهيه ، وإلا كانت العبادة هنا تكليفاً بما ليس في وسع النفس الإنسانية ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

هذه مجمل أدلتهم التي يثبتون بها وجوب إرسال الرسل على الله – سبحانه وتعالى عما يصفون . وهي أدلة متهافتة ، فالله – سبحانه – لا يجب عليه شيء ، فهو المتفضل المنعم ، وكل ما في الوجود إنما هو تفضل ولطف منه – تعالى – والوجوب يعني : الإلزام ، وفيه معنى الجبر والقهر والقسر ، والله – سبحانه – منزه عن كل ذلك ، ومن الذي يوجب ذلك على الله تعالى ؟!!

كما أن الوجوب ينافى المشيئة والإرادة المطلقتين ، ويجعل مشيئة الله وإرادته محدودتين مقيدتين بحدود ما يجب عليه ، وكل ذلك باطل ، نستغفر الله تعالى من مثل هذا القول ونبرأ منه .

كما يعتقد الشيعة أن الأنبياء والرسل منزهون عن كفر الآباء والأمهات والأقارب ذوى الشأن !! فهم يؤمنون بأن أبا إبراهيم الخليل (عليه السلام) كان مؤمناً ، وأن أبوي رسول الله (ﷺ) مؤمنان ، وكذلك يؤمنون بأن أبا طالب عم رسول الله (ﷺ) كان مؤمناً ، بل إنه من أولياء الله الصالحين ، بل هو رأس الأولياء ، وهم يكفرون كل من يدعي كفر أبي طالب ويبرءون منه !!

والشيعة يثبتون للأئمة كل ما أثبتوه للأنبياء – سوى الرسالة .

١ – سورة الذاريات : ٥٦ .

فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى ، وهو معصوم من الكبائر والصغائر والسهو والنسيان منذ ولادته حتى موته ، كما أنه منزه عن كفر الأبوين ، ومن هنا نرى السر في ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب ، فإنهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين ، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالديـــن ، ولما كان أبو طالب هو والد الإمام الأول والوصي الولي " علي " عنه قالوا بإيمانه .، وكفّروا من قال فيه غير ذلك .

الرابعة : (من معتقدات الشيعة) العدل : هو من أركان العقيدة الإيمانيـــة ، أو أصول الدين عند الشيعة .

وعقيدة الشيعة في " العدل " وحديثهم عن هذا الأصل ، يدلنا على الصلة الوثيقة بين الشيعة والمعتزلة ، في العقائد ، إذ الأصل في " العدل " أنه مبدأ من مبادئ الاعتزال ، التي أقام المعتزلة عليها مذهبهم ، وقد أخذ الشيعة الكثير من عقائد المعتزلة ، ومنها القول بالعدل .

والقول بالعدل ترتبت عليه أمور عقدية منها : أنهم أوجبوا على الله – تعالى – إرسال الرسل ، وأن ينص على الأئمة ، وأن يفعل الصلاح والأصلـــح ، وأن يلطف بعباده ، وأن يعوض العباد عما يلحقهم من الآلام ، وأنه يجب عليه أيضا إثابة المطيع وعقاب العاصي .

ويترتب عليه كذلك أن العبد مستقل بأفعاله الاختيارية ، يفعلها بنفسه ، دون أن يكون لله – سبحانه – تأثير في ذلك .

وهذه الأمور كلها أخذها الشيعة عن المعتزلة ، حينما أخذوا مبدأ "العدل " كما أخذوا أموراً أخرى. أهمها :

١ – أن معرفة الله تعالى واجبة على العباد بالعقل ، وليس بالشرع .

٢– أن الحسن والقبح عقليان .

٣– أن الصفات عين الذات ، أو أن الصفات ليست زائدة على الذات .

٤– إنكارهم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة ، وإنكارهم أن ذلك وقع لرسول الله (ﷺ) في الدنيا في حادثة المعراج .

ولسنا نريد أن نطيل الحديث معهم بالرد على كل هذه العقائد التي أشرنا إليها ، والتي تفرعت أساساً عن القول بالعدل ، ولكن نكتفي بأن نشير إلي أن القول بالوجوب على الله – سبحانه وتعالى عما يصفون – بجانب أنه يدل على فهم سقيم ، فإنه يدل على سوء الأدب بجانب الله – تبارك وتعالى – فإن الواجب – كما علمت – يعني الإلزام والإلجاء ، ومن ذلك الذي يلزم الله – تعالي عن ذلك – بأن يفعل كذا ، أو يترك كذا ؟ ومن ذلك الذي يلجئ الحق – سبحانه وتعالي – إلي فعل شيء أو ترك آخر ؟

ثم إن الوجوب يعني قيداً على الإرادة والمشيئة ، فلا يكون الله – سبحانه – فاعلاً لما يشاء ، أو تاركاً لما يشاء ، وإنما يكون فاعلاً لما يجب عليه فعله ، تاركاً لما يجب عليه تركه .

وذلك والجبر سواء ، وفي ذلك نقض لما يجب لله من الكمال ، ورفض لما ورد عن الله سبحانه في كتابه الكريم وعن رسوله (ﷺ) في سنته الشريفة ، من أن الله – تعالي – يفعل ما يشاء ، له الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة ، حين قال تعالي : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ([1]) ويقول سبحانه : ﴿ وربُّك يخْلُقُ ما يَشَاء ويخْتَارُ ما كانَ لَهُمُ الْخيرةُ سُبْحَانَ اللَّه وتَعالى عمَّا يُشْرِكُون ﴾ ([2]) كما قال تعالي : ﴿ إنَّ ربَّك فعَّال لما يُرِيدُ ﴾ ([3]) .

ولهذه القضية مزيد من الرد عند الرد على معتقدات المعتزلة الفاسدة ([4])

---

١ – سورة المائدة : ١٧ .
٢ – سورة القصص : ٦٨ .
٣ – سورة هود : ١٠٧ .
٤ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٥٦ : ٢٥٨) بتصرف .

الخامسة : المعاد : وهو من أركان العقيدة عند الشيعة فيما يوافق معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان باليوم الآخر ، ويراد به أنه يجب على المسلم أن يعتقد بأن الله تعالى سوف ينشر الأجساد بعد فنائها وتفرق أجزائها ، ثم يعيد لكل جسد روحه التي فارقته عند الموت في الدنيا ، وأن ذلك سوف يكون عند قيام الساعة ، ليحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرَّة** ١
خيْرًا يرَهُ * ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذرَّةٍ شرًّا يرَهُ ﴾ (١)

والمعاد يطلق ويراد به معان ثلاثة : الأول : المعنى المصدري من العـود ، أو هو ما يسمي بالمصدر الميمي ، الثاني : زمان العود ، الثالث : مكان العود

والمراد بالمعاد الذي يجب على المؤمن اعتقاده ، ليس المعنى المصدري أي مجرد العود إلى اجتماع النفس والجسد في حياة ثانية ، ولكن المراد اعتقاد ذلك بجانب الاعتقاد بأمور أخرى تتصل بهذا المعاد ، أو بهذه الحياة الآخرة ، وذلك كزمانها ، وأن ذلك يكون بعد فناء هذه الدار ، وقيام الساعة ، ومكانها أو هيئة مكانها ، وأن ذلك يكون في مكان يسع الخلائق جميعاً ويحشرون فيه على هيئة معينة ، فليس المعاد مجرد عود إلى حياه بعد الموت ، ولكنه عود على هيئات زمانية ، وإنسانية معينة ، ورد بها الكتاب والسنة ، فوجب استصحابها ضمن الاعتقاد في المعاد . هذا .. والشيعة يؤمنون بالمعاد كما نؤمن به نحن – أهل السنة والجماعة – على الجملة ، فيثبتون المعاد للنفس والبدن (٢)

---

١ – سورة الزلزالة : ٧ ، ٨ .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٥٩ ، ٢٦٠) بتصرف .

السادسة : القضاء والقدر :

يؤمن الشيعة بالقضاء والقدر ، بمعنى أن الله تعالى قد قضي وقدر كل شيء أزلاً ، لكنهم مع ذلك يؤمنون بأن الله تعالى يغير من قضائه وقدره حسبما يبدو له ، ولذا فهم يضيفون إلى الإيمان بالقدر : الإيمان بالبداء "

والبداء معناه أن الله تعالى بعد أن قدر كل شيء أزلاً ، يبدو له أن يغير من قدره السابق ، فيغير منه حسبما يبدو له تحت اعتبارات الظروف والأحوال

والشيعة يؤكدون على الإيمان بالبداء تأكيداً قويا ، شأن كل القواعد التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ، فإنهم في هذه العقائد يؤكدون عليها ، ويتشددون فيها ، ويعظمون من شأنها .

لذلك يعظمون من عقيدة البداء ، ومن قواعدهم الدينية " ما عظم الله بمثل البداء " .

ويروى عن أئمتهم : " أن الله ما بعث نبيا قط حتى يقول له بالبداء " فالقول بالبداء هو من أفضل العقائد التي يعظم بها الله سبحانه وتعالى عندهم ، لماذا ؟

قالوا : لأن في إثبات البداء ، إثباتا لمشيئته – سبحانه وتعالى – واختياره واستمرارا لإرادته ومشيئته . إذ أن نفى البداء هو نفي لإرادته تعالى ومشيئته ، حيث قد قضى وقدر كل شيء ، ولا يملك بعد ذلك أن يغير أو يبدل ، وإذا كان لا يمكن أن يغير أو يبدل من قدره السابق ، فهو إذن غير مريد ، أو هو قد بطلت إرادته ، وانتفت مشيئته بعد أن قدر كل شيء أزلا. فهذه فلسفتهم .

والشيعة عندهم مثال مشهور يوضحون به المراد بالبداء ، ويفسرون به العلاقة بين القدر والبداء .

فيقولون : إن الله – تعالى – قد قدر عمر " زيد " أزلا بسبعين سنة ، هذا هو القدر ، ولكن يبقى الاختيار والمشيئة لله في أن يزيد من ذلك العمر ، أو ينقص منه ، وهذا هو البداء .

فالبداء يعني أن يبقى لله تعالى الاختيار في مرحله البقاء (١) .

وإنه لعجيب أمر الشيعة ، حين يظنون أنهم بإثباتهم البداء ، إنما يعظمون من شأن الله – سبحانه – ، ويعللون ذلك بأنهم إنما يبقون على صفة الإرادة والمشيئة لله تعالى ، زاعمين أن النافين للبداء ، إنما ينفون عن الله – سبحانه – صفة الإرادة والمشيئة أو يعطلونها .

وهذا خطأ بين : فهم بإثباتهم البداء ، لم يثبتوا لله الإرادة ، فإن الإرادة لله ثابتة وما نفاها أحد ، ولكنهم نفوا عن الله تعالى العلم بما يكون .

ذلك أن قدر الله في الأزل ، إنما هو مبني على علم الله – سبحانه – بكل ما سيكون ، فالله تعالى قد أحاط بكل شيء يكون ، وبذلك قدر كل شيء بناء على علمه تعالى ، فإذا أي شيء بدا له بعد ذلك فإن هذا البداء لا يفهم إلا بناء على احتمالين كلاهما محال بالنسبة لله سبحانه وتعالى :

---

١ – عقائد الإمامية الاثنى عشرية – السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ص (٣٦) بتصرف .

الأول : أن يكون الله – تعالى عن ذلك – قد قدر عن جهل ، فلما علم الأمر حين وقوعه ، بدا له أن يغير من قدره ذلك ، وهذا محال على الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

الثاني : أن يكون الله تعالى عالماً بكل شيء ، ولكنه يقدر بناء على علمه تقديراً لا يتسم بالحكمة ، وقد يبدو له أن يغير من تقديره التماساً لحكمة ومصلحه لم يتحققاً في تقديره السابق ، وذلك محال أيضاً .

وعلى ذلك ونحن ننفي البداء لا ننفي إرادة الله تعالي ومشيئته ، وكيف ؟ وكل شيء في الوجود إنما هو بإرادته ومشيئته مع كامل علمه وحكمته ، سبحانه وتعالي ، وهو العليم الحكيم (١)

١ – تاريخ الفرق الإسلامية د / محمود مزروعة ص (٢٢٠ – ٢٢٤) بتصرف .

رابعاً

أشهر فرق الشيعة

يقول الشهرستاني : وهم خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية .

وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه (١)

وقسمهم غيره إلى ثلاثة أقسام وهي :

١ - الزيدية . ٢- غلاة الشيعة . ٣ - الرافضة

وكل قسم من هذه الأقسام تحته العديد من الفرق (٢)

وهناك من قسم الشيعة تقسيمته أخرى ، وجعل الأساس الذي اعتمده في تقسيمه هذه بين الفرق ، إنما هو موقف كل منها من الإمام علي عنه ، ومن صحابة رسول الله (ﷺ) ، ورضي الله عنهم أجمعين .

وبهذا الاعتبار نستطيع أن نسلك هذه الفرق كلها في ثلاث :

الفرقة الأولى : وهم الشيعة المخلصون ، أو الصادقون ، أو الشيعة الأولى أو الأتقياء . وهذا أصدق وصف لهم ، لأنهم صدقوا في تشيعهم للإمام علي عنه ، وأخلصوا في اتباعه فلم يدعوا فيه ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين . ولم يكونوا أداة في مآرب الحاقدين [illegible] التشيع ستارا يتخفون وراءه للوصول

١ - الملل والنحل للشهرستاني ص ([illegible])
٢ - أضواء على الشيعة ص (٣٠)

إليها ، فهؤلاء هم الشيعة الصادقون ، الذين تتكون منهم الفرقة الأولي ، أو الشيعة الأولى .

وقد كانت نواة هذا الفريق من أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين عاصروا البيعة بالخلافة للإمام . علي عنه ثم من بعد ذلك عاصروا الحرب التي اندلعت بين علي ومعاوية ، وبين علي والخوارج .

هؤلاء الصحابة كانوا يرون أن علياً أولى بالخلافة وأحق بها ، فعرفوا له حقه ، وأنزلوه من الفضل منزلته ، كل ذلك دون أن ينتقصوا أحدا من إخوانه – رضي الله عنهم أجمعين – فضلاً عن أن يسبوهم أو يرموهم بكفر .

الفرقة الثانية : الشيعة التفضيلية : وهم الذين يذهبون إلى تفضيل الإمام علي عنه على سائر الصحابة – رضي الله عنهم – والمفاضلة هنا بين علي والصحابة تأتي على أفعل التفضيل ، على معنى أن هذا الفريق لا يجرد الصحابة من الفضل ولا يسبهم ولا يرميهم بكفر ، بل يعترف لهم بالفضل ، لكنه يرى أن علياً أفضل من سائر الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد صح أن الإمام علياً عنه عندما أحس أيام خلافته بقوم يفضلونه على أبي بكر وعمر وعثمان – رضى الله عنهم – غضب لذلك غضباً شديداً ، وتشدد في النهي عن ذلك حتى قال : " لئن سمعت أحداً يفضلني على الشيخين – رضي الله عنها – لأحدنه حد الفرية "

الفرقة الثالثة : الشيعة الغلاة : وهؤلاء هم الذين غلو في الإمام علي عنه حتى قالوا بألوهيته – نعوذ بالله من ذلك الهذيان – والمصائب فى هؤلاء درجات أو دركات .

فمنهم من مصيبته تفضيل علي (ﷺ) على كل الخلق لا يستثنون محمداً (ﷺ) ، فهو عندهم أفضل من محمد (ﷺ) ، وإنما محمد ممهد له ، أو كان هو صاحب الرسالة ولكن محمداً حجبها لخطأ وقع من جبريل حيث نزل بالرسالة على غير صاحبها – نعوذ بالله من هذا الكفر .

ومنهم من يزعم أنه قد حل فيه جزء إلهي ، أي أن الله – تعالى عما يقولون – قد أفاض على الإمام بعض أسرار الألوهية ، فصار بها صاحب سلطان إلهي ، يخبر عما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

ومنهم من ذهب في الغلو إلى آخر الشوط ، فزعم أنه هو الله – نعوذ بالله من هذا الكفر الصراح – إلى آخر هذه الآراء التي يقول بها فرق الغلاة .

وقد أحصى بعض الباحثين هذه الفرق الغالية فوصل بعددها إلى عشرين فرقة ، كلها مارقة من الإسلام ، وبريء منها الإسلام والمسلمون (١)

هذا ونفصل القول بعض الشيء حول أهم فرق الشيعة فنقول وبالله التوفيق :

١ – **من فرق الشيعة (الزيدية)** : وهم ينسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عنه

وهم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة ، وأكثرهم اعتدالاً ، فلم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ولا إلى مرتبة تساويها ، ولكنهم جعلوا الأئمة أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ) ، ولم يكفروا أحداً من الصحابة ، خصوصاً الذين بايعهم علي عنه

---

١ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٠٨ : ٢١١) بتصرف .

مبادئ الزيدية : تقوم الزيدية على عدة مبادئ هي : -

أولا : الإمامة عندهم في " علي " بالوصف وليست بالاسم ، فعندهم أن الإمام الذي أوصى به النبي (ﷺ) من بعده لم يعينه لا بالاسم ولا بالشخص ، وإنما عرفه بالوصف ، فالأوصاف التي عرفت لم تتحقق في أحد قدر تحققها في علي (ﷺ) .

وأوصاف الإمام عند الزيدية :

١ - أن يكون هاشمياً .
٢ - وأن يكون ورعاً .
٣- وأن يكون تقياً .
٤ - وأن يكون عالماً .
٥- وأن يكون سخياً .
٦- وأن يخرج داعياً لنفسه .

هذا بالنسبة لعلي عنه ، وأما من بعده فيشترط فيه هذه الشروط ، وزيادة شرط آخر وهو :

٧- أن يكون من ذرية فاطمة " رضي الله عنها " فما كان من أخيه محمد الباقر إلاّ أن رد عليه في بعض هذه الشروط قائلاً ، مقتضى مذهبك أن ، والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج ولم يتعرض لخروج (١)

ثانياً : جواز إمامه المفضول مع وجود الفاضل ، بمعنى أن هذه الشروط ليست شروطاً في صحة الإمامة لا تنعقد إلا بوجودها ، بل هي صفات الإمام الكامل ، ويفهم من ذلك إقرارهم بإمامة أبي بكر وعمر ، وقد كان يقول عنهما : أنا لا أقول فيهما إلا خيراً .

وفي شرح هذا المبدأ يقول زيد . كان علي بن أبي طالب عنه أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين تأثره الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التي

---

١ - الملل والنحل ج ١ ص (١٥٦) .

جرت في أيام النبوة كان قريباً ، وسيف أمير المؤمنين علي دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد ، فما كانت القلوب تميل إليه فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن ممن عرف باللين والتقدم بالسن والسبق بالإسلام والقرب من رسول الله (ﷺ) (1)

– ونحن لا نوافق الزيدية في تفضيلهم " علي " وفي دعواهم نصوص التعيين ، وقد سبق أن ناقشنا هذا الزعم حينما تعرضنا لمبادئ الشيعة بصفة عامة .

ثالثاً : جواز مبايعة إمامين في قطرين مختلفين بحيث يكون كل منهما إماماً في القطر الذي خرج فيه ما دام مستجمعاً لشروط الإمامة ، ولكن لا يجوز مبايعة إمامين في إقليم واحد .

رابعاً : أن مرتكب الكبيرة الذي لم يتب من كبيرته مخلد في النار ، وهذا المبدأ أثر من آثار المذهب المعتزلي على الزيدية ، إلا أن مذهب الزيدية قد تطور بعد ذلك ، ووقع فيه الاختلاف وتفرقوا شيعاً وفرقاً .

إلى سليمانية ، وصالحية ، وجارودية ، ونعيمية ، ويعقوبية ، وكل منها اتخذت لها مبادئ خاصة تفرقها تماماً عن فرقة الزيدية ، وتخرجها من الإسلام مثل تقديس الأئمة ، وادعاء العلم الغيبي ، وتكفير الصحابة ، وغير ذلك مما عليه المغالون من الشيعة .

والمذهب الزيدي موجود باليمن الآن وهم أقرب إلى المتقدمين المعتدلين منهم إلى المتأخرين الروافض (2)

---

١ – الملل والنحل ج ١ ص (١٥٥) .
٢ – الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية ص ٩٨ : ١٠١ بتصرف

٢ – (الرافضة) من أكبر فرق الشيعة :

وقد سموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وقد أجمعوا على أن النبي (ﷺ) نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي (ﷺ) .

وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد فى الأحكام ، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، وزعموا أن علياً عنه كان مصيباً في جميع أحواله ، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين ، إلا " الكاملية " أصحاب أبي كامل ، فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به ، وأكفروا علياً بترك الخلافة ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور وقالوا : ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته .

ويؤمنون بجميع ما في القرآن العزيز والسنة الشريفة القطعية في الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها ، وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ومن يعمل مثقال ذره خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة .

وقد تبرأوا ممن قالوا : " من أن الله فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت ، وأنهم لا يُرون أئمتهم إلا من عباد الله المخلصين ، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وعندهم أن كل من قال أو يقول بالتفويض أو يجعل لأي مخلوق صفة من صفات الخالق الخاصة فهو خارج عن ملة الإسلام ، وأما المعاد فيعتقدونه كما يعتقد به سائر المسلمين ولكنهم يخالفونهم بالكيفية وهو عندهم إعادة الخلائق بعد موتهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم .

وهناك أمور كثيرة يعتقدون وجوبها ويفعلونها وهي خمسة : الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله ، وهي المعبر عنها بفروع الدين.

ويلي هذه الفروع في الأهمية فرض الخُمس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهما كما لغيرهما من الأحكام شروط كثيرة وبحوث دقيقة مبسوطة في الكتب الاجتهادية عندهم (١)

وهم سوي الكاملية أربع وعشرون فرقة وهم يدعون " الإمامية " لقولهم بالنص على إمامة " علي بن أبي طالب " (٢) ، ويدخل في عموم الإمامية أكثر مذاهب الشيعة الآن في العالم الإسلامي في إيران والعراق ، وما وراءها من باكستان وغيرها من البلاد الإسلامية ، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلي درجة أن تخالف نصاً من نصوص القرآن الكريم ، أو أي أمر علم من الدين بالضرورة وطوائف أخري اعتقاداتها وأعمالها لا تدخل في الإسلام على انحراف شديد ، والجامع لهؤلاء هو ما تدل عليه التسمية بعبارة الإمامية .

فإنهم يقولون : إن الأئمة لم يعرفوا بالوصف كما قال الإمام زيد بن علي – رضي الله عنهما – بل عينوا بالشخص ، فعُين الإمام علي من النبي (ﷺ) ، وهو يعين من بعده بوصية من النبي (ﷺ) ، ويسمون بالأوصياء ، فقد أجمع الإمامية على أن إمامة علي عنه ثبتت بالنص عليه بالذات من النبي (ﷺ) ، نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين (٣)

---

١ - الشيعة في تاريخ – محمد حسين الزين ص (٤٦ : ٥٠) بتصرف – ط دار الآثار بيروت .

٢ - مقالات الإسلاميين ص (٨٩) بتصرف .

٣ - تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٤٨) بتصرف .

وقد اتفق الإمامية فيما بينهم أن " علياً عنه وصي " النبي (ﷺ) " بالنص ، وأن الأوصياء من بعده هم أولاده من فاطمة : " الحسن والحسين " وهؤلاء هم المجمع عليهم .

وبعد ذلك اختلفوا في الأئمة اختلافاً كثيراً ، بل قيل إنهم اختلفوا بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة ، وأعظمهما فرقتان : الاثنا عشرية ، والإسماعيلية .

وقد كانوا من أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم ، وتمادى الزمان ، اختارت كل فرقة منهم طريقة فصارت الإمامية بعضها معتزلة : إما وعيدية ، وإما تفضيلية ، وبعضها إخبارية ، إما مشبهة وإما سلفية ، ومن ضل الطريق وتاه ولم يبال الله به في أي واد هلك (١)

١ - الاثنا عشرية : يرى هؤلاء الناس أن الخلافة بعد الحسين (ﷺ) لعلي زين العابدين ، ومن بعده لمحمد الباقر ، ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ثم لابنه موسى الكاظم ، ثم لعلي الرضا ، ثم لمحمد الجواد ، ثم لعلي الهادي ، ثم للحسن العسكري ، ثم لمحمد ابنه وهو الإمام الثاني عشر.

أماكن تواجدهم : يتواجد الاثنا عشرية الآن في عدة دول منها : إيران وهم يمثلون الأكثرية ، والعراق وهم يمثلون نصف سكانه ، ومذهبهم في العقائد والأحوال الشخصية والمواريث والأوقاف والزكوات والعبادات كلها هو المذهب الاثنا عشري .

ومنهم من يعيش في سوريا ولبنان ، ودول الخليج ، والبحرين ، وأذربيجان ، وباكستان ، والهند ، وتركيا ، وكذلك توجد لهم أقليات في أنحاء أوربا وأمريكا وأفريقيا ، وجنوب شرق آسيا .

١ - تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٤٩ ، ٥٠) بتصرف ، والملل والنحل ص (١٦٥) .

وهم يتوددون إلي من يجاورهم من السنيين ولا ينفرونهم ([1])

عقائدهم : تقوم عقائدهم على ما يأتي :

١ – الإمامة . ٢ – المهدي . ٣ – البداء

٤ – الرجعة . ٥ – تحريف القرآن .

٦ – زواج المتعة . ٧ – التقية .

ولهذه العقائد تفصيل نذكره – إن شاء الله –

أولاً : الإمامة :

أ – مكانة الإمامة عندهم : إن الإمامة هي حجر الأساس في المذهب الشيعي ، فهي أصل من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها . ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأجداد ، وإنما يجب النظر فيها ، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة ، وأن الإمامة كالنبوة لطف من الله تعالي ، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي (ﷺ) في وظائفه .

ب – النص على الإمام : يعتقدون أن النبي (ﷺ) نص على الخليفه من بعده وهو علي بن أبي طالب ، وقالوا : " إن النبي (ﷺ) بالنسبة لعلي قد نص عليه وعينه ، وأنه ثبتت له الأفضلية " ، وبالنص والعصمة ، والأفضلية ثبتت لبقية الأئمة الاثني عشر .

ج – منزلة الإمام عندهم : إنهم يفرضون للإمام عندهم سلطاناً مقدساً ، لأنه استمد إمامته من النبي (ﷺ) عن طريق الوصاية به ، وأنه قد ولي أمر

---

١ - تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٥٠) .

الأمة بهذه الوصية ، فتصرفاته كلها مشتقة من صاحب هذه الوصاية وهو النبي (ﷺ) فالإمام له السلطان الكامل في اليقين ، وكل ما يقوله من الشرع ، ولا يمكن أن يصدر منه ما يخالف الشرع .

د – عصمة الإمام : وإذ الإمام قد تبوأ هذه المنزلة عندهم في التقنين فقد قرروا له العصمة من الخطأ والنسيان ، ومن جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من الطفولة إلى الموت عمداً أو سهواً ، لأنه الحافظ للشرع والقوام عليه ، حاله في ذلك حال النبي ، فله العصمة كالنبي (ﷺ)

هـ – صفات الإمام وعلمه : ويعتقدون أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ، والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام .

أما علمه : فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام قبله ، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله فيه ، هذه القوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته .

و– طاعة الإمام : وبما أنزلوا الإمام عندهم هذه المنزلة فقد أوجبوا طاعته ويعتقدون أن أمره أمر الله ، ونهيه نهي الله ، وطاعته طاعته ، ومعصيته معصيته (١)

---

١ – انظر : الشيعة في التاريخ ص ٤٦ ، ٤٧ ، عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر من ٨٨ : ٩٧ ، أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥١ ، أضواء على الشيعة ص ١١٤ : ١٢٢ .

ثانياً : المهدي : تعتقد الإمامية بظهور المهدي من أولاد فاطمة – رضي الله عنها – في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجورا ، وهو عندهم شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هـ وهو ابن الحسن العسكري واسمه " محمد " ، وقد تسلم المهدى منصب الإمامة بعد والده وبنص منه ، وبقي مختفياً عن الأنظار طيلة خمسة وستين عاماً ، وكانت الشيعة تتصل به هذه الفترة عن طريق نواب عنهم لهذا الغرض .

وكانت تسمى بفترة الغيبة الصغرى ، ثم ادعوا الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا أن يأذن الله في آخر الزمان .

ولاية الفقيه : إن الإمام عندهم حي غائب ، وهو الإمام الثاني عشر ، وبما أن الإمام حي ولكنه غائب عن الأنظار ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته، فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه ، لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء ([1])

ثالثاً : البداء : عقيدة البداء من الأفكار التي روجها اليهود ، " وعبد الله ابن سبأ " خاصة ، يزعمون أن الله يحصل له " البداء " أي النسيان والجهل ، يقول علي بن موسى (الإمام الثامن عندهم) : " ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر لله بالبداء " ([2])

رابعاً : الرجعة : والرجعة تعني أن الأئمة مبتدئاً بالإمام علي ، ومنتهيا بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي سيظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطا وعدلاً ، ويمهد الطريق

---

١ – الشيعة والتصحيح ص ٦١ بتصرف .

٢ – الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٢٥١ بتصرف .

لرجعه أجداده وتسلمهم الحكم ، ليكون هذا تعويضا لهم عن حقهم الشرعي فى الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة (١)

خامساً : تحريف القرآن : هناك رأيان في هذه المسألة عند الشيعة : الرأي الأول : وهو السائد وعليه الأكثر من فقهائهم هو عدم التحريف ، والرأي الثاني : هو وجود مصحف لعلي يغاير القرآن الموجود . ومن الشيعة من يقول بوجود مصحف فاطمة – رضي الله عنها –

يستدلون بما جاء في كتابهم الكافي : عن أبي عبد الله بن محمد قال : " وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدريك ما مصحف فاطمة ؟ مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم هذا حرف واحد " ولقد أشار بعض علماء الشيعة إلى أن مصحف فاطمة يختلف عن مصحف علي (٢)

سادسا : زواج المتعة : يقصدون بالمتعة الزواج المؤقت ، ويقول فقهاؤهم : إن المتعة كانت مباحة فى عهد الرسول الكريم (ﷺ) وفي عهد الخليفة أبى بكر وفي شطر من خلافة عمر (عهد الخليفة عمر بن الخطاب) حتى حرمها وأمر المسلمين بالكف عنها (٣)

سابعاً : التقية : وهم يعدونها من أصول الدين لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل ذلك فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية .

هذه كانت أهم العقائد عند الشيعة الإمامية (٤)

---

١ – الشيعة والتصحيح ص ١٤١ ، ١٤٢ بتصرف .
٢ – الشيعة والتصحيح ص ٣٢ : ١٣٦ بتصرف .
٣ – المرجع السابق ص ١٠٨ بتصرف .
٤ – المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ بتصرف .

٢ – **القطعية** : وهم الذين يقطعون بدعوة موسى بن جعفر وبموته ، وهم جمهور الشيعة ، يزعمون أن النبي (ﷺ) نص على إمامة علي بن أبي طالب ، واستخلفه من بعده باسمه وعينه ، وأن علياً نص على إمامه ابنه الحسن وأن الحسن نص على إمامة أخيه الحسين ، وأن الحسين نص على إمامة ابنه علي ، وأن علياً بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد ، وأن محمد بن علي نص على إمامة ابنه جعفر بن محمد ، وأن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر ، وأن موسى بن جعفر نص على إمامه ابنة علي بن مُوسى ، وأن علياً ابن موسى نص على محمد بن علي ، وأن محمد بن علي نص على إمامة ابنه علي بن محمد بن على بن موسى ، وأن علياً بن محمد بن علي بن موسى نص على إمامة ابنه الحسن بن علي بن محمد بن موسى وهو الذي كان بسامرا ، وأن الحسن بن علي نص على إمامة ابنه محمد بن الحسن بن علي وهو الغائب المنتظر عندهم الذي يدعون أنه يظهر فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجورا .

ويقال لهم أيضاً الاثناعشرية ، لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى الإمام علي ابن أبي طالب عنه .

وبجانب تسميتم قطعية يسمون الاثنا عشرية ، لأن الإمام المنتظر عندهم هو الثاني عشر ، ومن جماعة محددة ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بموت موسى ، وزعموا أن الإمام بعده من سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا ، ولذلك سموا بالقطعية (١)

---

١ – مقالات الإسلاميين ص ٩٠ ، ٩١ بتصرف ، أضواء على الشيعة ص ١٣٠ ، ١٣١ بتصرف .

٣- **الكيسانية** : وهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عنه ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية عنه ، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس ، وهم يجتمعون على أن الدين طاعة رجل .

وقد حملهم هذا على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك .

فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت ، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره متحر عليه متحيز فيه ، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة ، وكلهم حيارى منقطعون

ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ، ولا رجل له فلا دين .

وهم يقولون إن الإمامة كانت حقاً لمحمد بن الحنفية ، ويفترقون إلى عده فرق :

١ - المختارية ٢ - الكربية ، وفرقة ثالثة ، ورابعة ، وخامسة بغير اسم .

ومنهم الراوندية ، والرزامية ، وقد اختلفوا إلى الحسينية والمحمدية. ولهم فرق دون ذلك (١)

---

١ - انظر بتوسع : أضواء على الشيعة ص ١٣١ : ٠٤١ .

٤ – كما أنه من الرافضة : الناوسية : أتباع رجل يقال له : "عجلان بن ناوس " من أهل البصرة يسوقون الإمامة إلى جعفر محمد بن علي ، وأن أبا جعفر نص على إمامة " جعفر بن محمد " وأن " جعفر بن محمد " حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره وهو القائم المهدى .

ورووا عنه أنه قال . لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فإني صاحبكم صاحب السيف .

وحكى أبو حامد الزوزنى . أن الناووسية زعمت أن علياً باق (١)

١ – مقالات الإسلاميين ص ٩٨ ، ٩٩ بتصرف .

٥ - ومن الرافضة : الإسماعيلية :

وهؤلاء قالوا : إن الإمام بعد "جعفر" هو " إسماعيل " نصاً عليه باتفاق من أولاده .

وقد اختلفوا في موته حال حياة أبيه ، فمنهم من ذهب إلى أنه لم يمت ، إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء العباسيين ، وأنه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة .

ومنهم من قال موته صحيح ، والنص لا يرجع القهقرى ، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل، محمد بن إسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم المباركية .

ومنهم من وقف على محمد بن إسماعيل ، وقالوا برجعته بعد غيبته ، وهؤلاء يسمون الواقفية .

والأئمة عندهم على قسمين : ظاهرين وقد تكون حجتهم مستورة ، ومستورين : وقد تكون دعاتهم وحجتهم ظاهرة .

فالمستورون سبعة أئمة ، والظاهرون مثلهم في العدد .

فالأئمة الظاهرون هم : علي ، والحسن ، والحسين ، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، وإسماعيل بن جعفر .

والأئمة المستورون هم : محمد بن إسماعيل ، وعبد الله بن الرضى بن محمد ، وأحمد بن عبد الله الرضى ، والحسين بن أحمد ، وعلي بن الحسين ، وسعيد الخير ، ومحمد المهدي .

وقد نشأ هذا المذهب في العراق كغيره من مذاهب الشيعة ، وتعرض للاضطهاد (مثل غيره من المذاهب الشيعية) ومن أثر ذلك فر المعتنقون له إلى العديد من البلاد مثل فارس ، وخراسان ، وما وراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند والتركستان ، وهناك خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس القديمة ، والأفكار الهندية ، وتحت تأثير ذلك انحرف كثير منهم ، فقام فيهم ذووا أهواء ، ولذلك حمل اسم الإسماعيلية طوائف كثيرة ، بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية .

فإن هؤلاء قد اتصلوا ببراهمة الهنود والفلاسفة الشرقيين ، والبوذيين ، وبقايا ما كان عند الكلدان والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم وغيرها فبعضهم أخذ من كل هذه المخاوف وأوغل فيه ، وكان بمقدار إيغاله بعده عن الإسلام ، ولقد كانت السرية التي أحاطوا أنفسهم بها مدعاة لانقطاعهم عن جماهير الأمة ، فلم يستأنسوا بما كان عند أهل السنة ، وكلما اشتد الكتمان اشتد معه البعد .

وأنهم قد بلغ بهم الكتمان درجة أن كانوا يكتبون الكتب والرسائل لا يعلنون عن أسماء كاتبها ، فرسائل إخوان الصفا التي اشتملت على علم غزير ، وفلسفة عميقة هم الذين كتبوها ، ولم يعرف العلماء الذين اشتركوا في كتابتها .

وأشهر ألقابهم الباطنية لأنهم يحكمون بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ، وكذلك يسمون القرامطة والمزدكية بالعراق ، والتعليمية والملاحدة بخراسان .

وقد سموا الباطنية أو الباطنيين ، وذلك لاتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس والذي كان وليد الاضطهاد أولاً ، ثم صار حالاً نفسية عند طوائف منهم .

ومن الأسباب لتسميتهم بالباطنية أنهم يقولون في أحوال كثيرة : أن الإمام مستور ، وظل كذلك إلي أن أنشأوا دولة لهم في المغرب ثم انتقلت إلى مصر .

ومن الأسباب أيضاً لهذه التسمية أنهم يقولون : إن للشريعة ظاهراً وباطناً، فالناس يعملون الظاهر ، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الإمام ، والإمام عنده علم الباطن ، وأولوا على هذا ألفاظ القرآن تأويلات بعيدة ، بل أول بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة ، وجعلوا هذه التأويلات وما عند الإمام هي علم الباطن ، وفي الجملة فقد كانوا يسترون الكثير من آرائهم ، ولا يعلنون إلا ما تسمح الأحوال بإعلانه .

ومن الأشياء المتأصلة فيهم أنهم لا يكشفون عما يرتئون حتى في الأوقات التي كانت لهم دولة ولهم القوة .

مقامات الإمامة ودرجاتها عندهم : التي كانت معروفة في دور الستر والتقية هي :

١ – الإمام المقيم . ٢ – الإمام الأساسي .

٣ – الإمام المتم . ٤ – الإمام المستقر .

٥ – الإمام المستودع . ٦ – الإمام القائم بالقوة .

٧ – الإمام القائم بالفعل

وعندهم الهياكل السبعة ، والأدوار السبعة ، والهياكل على نوعين : سبعة مؤتلفة ، وسبعة مختلفة ، والنطقاء سبعة ، وأسسهم سبعة ، والأئمة سبعة.

وقد افترقوا إلي عدة فرق ، وما زالت حتى العصر الحاضر ، وهذه الفرق هي :

أولاً : " الإسماعيلية القرامطة " وسميت بهذا الاسم نسبة إلي حمدان قرمط ابن الأشعث ، الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ .

ثانياً : الإسماعيلية الفاطمية وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية ، وقد مرت بعدة أدوار ما بين الستر وبداية الظهور ودور الظهور .

ثالثاً : الإسماعيلية " الحشاشون " وهم أتباع الحسن بن الصباح لما توفي الإمام المستنصر سنة ٤٨٧ هـ .

رابعاً : الإسماعيلية البهرة ، وهم إسماعيلية مستعلية يعترفون بإمامة المستعلي بن المنتصر وابنه الطيب من بعده ، وقد انقسمت البهرة إلي فرقتين : البهرة السليمانية ، والبهرة الداودية .

خامساً : الإسماعيلية الأغاخانية : وهم أتباع حسن علي شاه ، الذي دعا إلي الإسماعيلية النزارية ، ولقبة الإنجليز " أغا خان " .

سادساً : الدروز : وهي فرقة منبثقة من الإسماعيلية ، وقد نشأت أيام الحاكم بأمر الله .

والإسماعيلية – على خلاف طوائفهم – لهم معتقدات باطلة ، ولا تمت للإسلام بصلة ، فهم قوم ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض .

يدينون بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل ، ويضفون على الإمام صفات ترفعه إلي ما يشبه الإله ، ويخصونه بعلم الباطن ، ويدفعون له خمس ما يملكون ، والإمام عندهم هو محور الدعوة ، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته ، والأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف، أو باطن مستور ، ويؤمنون بالتقية والسرية ، ويقولون بتناسخ الأرواح

، وينكرون صفات الله أو يكادون ، لأن الله في نظرهم فوق متناول العقل ، فهو لا موجود ولا غير موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ... الخ .

ولا يقولون بالإثبات المطلق ، ولا النفي المطلق ، فهو إله المتقابلين ، وخالق المتخاصمين ، والحاكم بين المتضادين ، ليس بالقديم ولا بالمحدث ، فالقديم أمره وحكمته ، والحديث خلقه وفطرته .

ومن مبادئهم : الإباحة المطلقة وإنكار الشرائع ، ويقول عنهم الإمام الغزالي : " المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع ، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم .

ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وقبائح هم لها فاعلون ، فكم أحدثوا في الإسلام بدعاً ، وفتقوا فيه فتقاً ، وكم فتكوا بالحجاج ألوفاً ، واستحلوا البلاد عنفاً ، وهاجموا بلد الله الحرام ، وهدموا زمزم ، ونزعوا كسوة الكعبة ، واختلعوا الحجر الأسود وحملوه إلي الإحساء عشرين عاماً ، وملأوا المسجد الحرام بالقتلى ... الخ .

- ولقد أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع التوارث وعدم احترام الملكية الشخصية .

- ويجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته من إخوانه .

- وقاموا بإلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى .

- واستخدموا العنف ذريعة لتحقيق الأهداف .

ويعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب ، وأن الجنة هي النعيم في الدنيا ، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاء ، وضعاف النفوس ، وبين الذين يميلون إلي عاجل العذاب وأصبح مجتمع القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض .

– ويقولون بالعصمة ، وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ، ويساوي النبي في العصمة ، ومن تأويلهم :

الجنابة : مبادرة المستجيب بإفشاء السر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق

الصيام : الإمساك عن كشف السر .

البعث : الاهتداء إلي مذهبهم .

النبي : عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول بقوة الثاني ، قوة قدسية صافية .

القرآن : هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من مهنته ، وسمي كلام الله مجازاً .

– ويفرضون الضرائب على أتباعهم إلي حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم .

– يقولون بوجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني ، وأن السابق خلق العالم بواسطة الثاني لا بنفسه ، الأول تام والثاني ناقص ، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف .

– يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي وقتلهم الحسين .

– يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب ، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين .

– يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً .

– يدعون إلي مذهبهم اليهود والصائبة والنصاري والمجوس ، والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين ، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه .

إن هؤلاء القوم يظهرون بمظهر محبة آل البيت والانتساب إلي محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وحقيقتهم الكيد للإسلام ، ونشر الفساد ، وإشاعة الضلال والإضلال ، والدعوة إلي الشرك والإلحاد ، والقضاء على الإسلام ([1]) .

والبهرة " وإن كانوا منهم لكنهم أشر منهم ، وأعظم شراً ، وأكثرهم كفراً هؤلاء المسمون " بالدروز " الذين يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ، وينكرون الأنبياء ويصفونهم بالأبالسة ، ويقولون بأن ديانتهم نسخت ما كان قبلها ، ويقولون بقدم العالم ، وإنكار المعاد ، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته ، ويقول بالتناسخ والحلول ، ويزعمون بأن الحاكم غاب عن الأنظار وسيرجع آخر الزمان .

وهم بهذا قد تجاوزوا حدود الإسلام فخرجوا عنه ، وقد حكم عليهم علماء الإسلام – وعلى رأسهم ابن تيمية والغزالي – بالكفر ويُكَفِرَون من شك في كفرهم ، ويعاملون معاملة المشركين لا يؤكل طعامهم ولا تحل ذبائحهم ويحل سبي نسائهم وأخذ أموالهم ([2])

---

١ – انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان ص (٣٩٥ . ٣٩٧) . والملل والنحل ج ١ ص (١٦٧ ، ١٦٨) ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٥٥ . ٥٧) .

٢ – الموسوعة الميسرة في الأديان ص ٤٨ : ٤٨ ص ٢٠٦ . ٢٠٧ . ص ٢٤٣ . ٢٢٦ بتصرف .

ومن الغلاة : " الغرابية " : الذين قالوا "علي " شبيه " محمد " ، أشبه من الغراب بالغراب .

وقالوا : إن الله تعالى أرسل جبريل إلى علي ، فغلط جبريل وأدى الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهة بين علي ومحمد (ﷺ) .

ومنهم فرقة : تزعم أن جبريل (عليه السلام) أزاغ الرسالة عن علي إلى محمد عمداً وقصداً ، لا غلطاً وسهواً ، وهذا باطل منهم وكفر بما أنزل الله من آيات تبين مكانة جبريل (عليه السلام) ، فهو رسول ملكي أمين (ﷺ) .

وقد ذهبوا إلى أن المال كله للبنت ، وعندما ولي عليهم قاض حكم للبنت بالنصف فما كان منهم إلا أن هددوه بالقتل ، وهؤلاء يتضح من مقالاتهم أنهم من شرار الخلق ، ولا شك في كفرهم .

" **العلبائية** " : أصحاب العلباء بن ذراع الدوسى ، وقال قوم : هو الأسدى: وكان يفضل علياً على النبي (ﷺ) ، وزعم أنه بعث محمداً يعني علياً وسماه إلها ، وكان يقول بذم محمد (ﷺ) ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة الذمية .

ويزعمون أن جبريل (عليه السلام) أزاغ الرسالة إلى علي لكن محمداً كان أكبر سناً من "علي" فاستعان "علي" به ، ثم إن محمداً استقل بالأمر ودعي الخلق إلى نفسه ، وهؤلاء يسيئون القول في النبي (ﷺ) ، ويفترقون في أقوالهم ، وعلى حسب القول تطلق التسمية عليهم .

فالعينية : هم الذين يقولون بالإلهية لعلي ومحمد ويقدمون علياً في أحكام الإلهية .

والميميه : هم الذين يقولون بإلهية علي ومحمد ، ويفضلون محمداً فى الإلهية ، ومنهم من قال بالإلهية لخمسة أشخاص وهم أصحاب الكساء : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

وقالوا : خمستهم شيء واحد ، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر ، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث ، بل قالوا : فاطم (١)

" **النصيرية** " : وهم أتباع أبي شعيب محمد بن البصري النميري ، توفى سنة ٢٧٠ هـ ، والنصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري ، وهم يزعمون وجود جزء إلهي في على وألهوه به ، ومن أئمتهم من يدعي النبوة، ومنهم من يدعي الإلهية ، ويعتقدون أن آل البيت أوتوا المعرفة المطلقة ، وأن علياً لم يمت ، وأن الشريعة لها ظاهر وباطن ، والإمام هو الذي يعرف الباطن ، فقد أشرف النور على إمام العصر ، فجعله يفهم حقيقة هذه الشريعة وباطنها لا ظاهرها .

وهذه الفرقة لها أفكار ومعتقدات عبارة عن مزيج من آراء وأفكار الفرق المنحرفة المنسوبة للشيعة ، فقد أخذوا من السبئية القول بألوهية علي ورجعته ، ومن الباطنية القول بأن الشريعة لها ظاهر وباطن ، وقد كثر هؤلاء في بلاد الشام وخاصة في سوريا وفي لبنان وفلسطين ، وهم يتخذون من جبل السمان مقرا لهم ، وهو يسمى الآن " جبل النصيرية " كما أن هذه الفرقة تقف مع أعداء الإسلام ، فكلما رأوا قوه ظهرت تعادي الإسلام وتحاول السيطرة على بلاد المسلمين مالئوهم وجعلوا لهم مكانة عندهم ، ويعادون من يخدم الإسلام ويحيكون ضده المؤامرات ، فعندما جاءت الحملات الصليبية على الشام ومن

---

١ - الملل والنحل ج ١ ص ١٧٥ ، ١٧٦ . اعتقادات فرق المسلمين ص ٩٠ ، ٩١ بتصرف .

ورائها البلاد الإسلامية كانوا يمالئونهم ضد المسلمين ، ولما استولى هؤلاء الأعداء على بعض البلاد الإسلامية قربوهم وجعلوا لهم مكاناً بينهم .

ولما جاء " نور الدين زنكي " ومن بعده صلاح الدين الأيوبي – رحمهما الله – اختفوا عن الأعين ، وقصروا عملهم على تدبير الكيد والفتك بكبراء المسلمين وقوادهم العظماء عندما تسنح لهم الفرصة لذلك .

وعندما جاء التتار إلى الشام كانوا من الموالين لهم ومكنوهم من الرقاب ، فلما انحسرت غارات التتار ذهبوا إلى أماكنهم في الجبال وأقاموا بها انتظاراً لفرص أخرى تسنح لهم .

اسمهم : يعرف هؤلاء تاريخياً باسم النصيرية ، ولكن المحتلين الفرنسيين أقاموا لهم دولة وسموها دولة " العلويين " من سنة ١٩٣٠ – ١٩٣٦ م .

وهم يتواجدون في سوريا بمنطقة جبال النصيريين باللاذقية والمدن المجاورة لهم وفي لبنان وفلسطين .

ويوجد عدد منهم كبير في غرب الأناضول ويسمون " التختجية والحطابون " وفي غرب الأناضول كذلك يوجد عدد منهم ويسمون "الغزل باشيه" ، ويوجد عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم " العلي الهية " ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم " البكتاشية " .

وتقوم أفكارهم ومبادئهم على الاعتقاد بألوهية علي ، وأنه يسكن الأجرام السماوية ، في القمر أو الشمس ، ويحبون " عبد الرحمن بن ملجم " قاتل الإمام علي ويترضون عنه ، لأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يلعنه ، ويعتقدون بأن علياً قد خلق محمداً ، وأن محمداً قد خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة وهم :

المقداد بن الأسود : ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالوعود

وعبد الله بن رواحه : الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

وأبو ذر الغفاري : الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

وعثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

كما أن " ابن نصير " أباح المحارم وأحل اللواط بين الرجال .

وكذلك يعظمون الخمرة ويحتسونها ، ويعظمون شجرة العنب لذلك ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة المسماة عندهم " النور " .

- يصلون في اليوم خمس مرات لكنها تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود ، وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانا .

- لا يصلون الجمعة ، ولا يتمسكون بالطهارة ، من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة .

- ليس لهم مساجد عامة ، بل يصلون في بيوتهم ، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات .

- لهم ثلاثة مساجد : ١ - قداس الطيب لكل أخ حبيب . ٢ - قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور. ٣ - قداس الأذان والله المستعان .

- لا يعترفون بالحج ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام .

- ينكرون الزكاة المعروفة لدينا نحن المسلمين ، ويدفعون ضريبة إلى مشايخهم مقدارها خُمس ما يملكون .

- الصيام عندهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان .

- يبغضون الصحابة بغضاً شديداً ، ويلعنون أبا بكر وعمر .

أما طريقه الدخول في هذه الطائفة : وما لديهم من أسرار فإنه يذكرك بما عليه الجمعيات الماسونية في كثير من الأشكال والأحوال والهيئات .

ولهم - عند الدخول - ثلاث جلسات : جلسة التعليق - جلسة السماع - جلسة المواثيق ، ولهم مراتب ودرجات ، يقسمون فيها العالم إلى علوي ، وسفلي .

والعلوي منه درجات : درجة الممتحن ، فدرجة المختص ، ثم النجيب ، ثم النقيب ، ثم اليتيم ، وأخيراً الباب .

والسفلي منه درجات أيضاً : اللاحقون ، والمستمعون ، والسائحون ، والمقدسون ، والرومانيون ، والكربيون ، والمقربون .

وأعيادهم : خليط بين الفارسية والنصرانية والشيعية ، وأهمها :

١- عيد الغدير . ٢ - عيد الفطر . ٣- عيد الأضحى .

٤ - عيدالفراش . ٥ - عيد عاشوراء . ٦ - عيد الغدير الثاني .

٧ - عيدالنيروز . ٨ - عيدالمهرجان . ٩ - عيدالصليب .

وإلى جانب هذه الأعياد ، الرسمية توجد أعياد شعبية وهي مسيحية خالصه يشارك النصيريون فيها مثل " عيد الغطاس - عيد السعف - عيد العنصرة - عيد القديسة بربارة - عيد الميلاد " .

وأما حكم هؤلاء : فقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا يجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم ، ولا يصلى على من مات منهم ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون ، ويقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - عنهم : " هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية ، أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد (ﷺ) أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد (ﷺ) ، ولا بملة من الملل السابقة ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله - النصارى على ثغور المسلمين ، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم .

وقال أيضا عنهم وعن الدروز : " هؤلاء كفار باتفاق المسلمين ، لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم ، بل ولا يقرون بالجزية فإنهم مرتدون عن ديار الإسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى .

وقال ابن عابدين في رد المختار - في فصل المحرمات - عند قول المصنف : وحرم نكاح الوثنية بالإجماع . ما نصه . قلت : وشمل ذلك الدروز

والنصيرية والنيامنة ، فلا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبيحتهم ، لأنهم ليس لهم كتاب سماوي .

وبهذا تكون النصيرية بكل ما ورد عنهم قد خرجت من دائرة الإسلام . شأنهم في ذلك شأن كل غلاة الشيعة أو الرافضة (١) .

ومن الرافضة أيضاً : " فرقة الشميطية " : وهؤلاء يسوقون الإمامة من علي إلى الحسن ، فالحسين فعلي بن الحسين فابنه محمد بن علي فابنه جعفر ، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر " محمد بن جعفر " ثم هي في ولده من بعده ، وقد نسبوا إلى رئيس لهم يقال له " يحيى بن أبي شميط "

١ - راجع بتوسع : الفتاوي لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٤٩ : ١٦١ ، الموسوعة الميسرة في الأديان ص ٥١٥ ، حولية كلية الدعوة ٢ العدد ١١ سنة ١٩٩٧ م ص ٧٩ مقال للدكتور علي عبد الوهاب .

ومنهم فرقة يسوقون الإمامة من " علي " على ما سبق في الشميطية إلي جعفر بن محمد ، ، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر ابنه " عبد الله بن جعفر " وكان أكبر من خلف من ولده وهي أي الإمامة في ولده .

ويسمون بهذا الاسم نسبة إلى رئيس لهم يعرف " بعياد " ويدعون " الفطحية " لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين .

ومن العيادية جماعة الزراعية " التميمية " تدعي أنه أي زرارة بن أعين، وزرارة لقبه ، واسمه عبد ربه ، وكنيته أبو الحسن ، كان على مقالتها ، وأنه لم يرجع ، وزعم بعضهم أنه رجع عن ذلك حين سأل " عبد الله بن جعفر " عن مسائل لم يجد عنده جوابها وصار إلى الائتمام بموسى بن جعفر بن محمد (١)

ومن الروافض أيضاً " فرقة الواقفة " وسموا بذلك لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ، ولم يجاوزوره إلى غيره ، وهم الممطورة أيضاً .

ومنهم " **الموسائية . المفضلية** " وهم القائلون بإمامة " موسى بن جعفر يدعون " الموسائيه " ويدعون "المفضلية" لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له " المفضل بن عمر " وكان ذا قدر فيهم .

ومن الموسوية فرقة وقفوا في أمر " موسى بن جعفر " فقالوا : لا ندرى أمات أم لم يمت ، إلا أننا مقيمون على إمامته حتى يتضح لنا أمر غيره ، وإن وضحت لنا إمامة غيره كما وضحت لنا إمامته قلنا بذلك وانقدنا له ، وقد توقف هؤلاء في موت موسى بن جعفر ، ومنهم من قطع بموته وهم القطعية ، ومنهم من توقف عليه ، وقال : إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفة .

---

١ - مقالات الإسلاميين ص ١٠٢ . ١٠٣ بتصرف .

ومن الروافض أيضاً فرقة تسوى الإمامة من علي إلي موسى بن جعفر . كما حكينا من قول المتقدمين غير أنهم يقولون : إن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه " أحمد بن موسى بن جعفر ".

ومن الروافض كذلك فرقة تزعم أن النبي (ﷺ) نص على " علي " وأن علياً نص على " الحسن بن علي " ثم انتهت الإمامة إلى " محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر " كما عند القطعية ، ويزعمون أن محمد بن الحسن بعده إمام هو القائم الذي يظهر فيملأ الأرض عدلاً ، فيقمع الظلم . (١)

ومنهم آخرون ، مما يجعلك تقول : إن الشيعة ليست فرقة واحدة ، بل هي إلى السبعين أقرب ، وإنها إلى الأديان أقرب من المذاهب ، وإلى النحل أقرب من الملل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١ - المرجع السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ بتصرف ، والملل والنحل ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩

خامسا

أبرز كتبهم ورجالهم قديماً وحديثاً

قديما : أصحاب كيسان مولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وأتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأتباع بيان بن سمعان التميمي ، وأتباع رزام بن رزم ، وأتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ، وأصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، وأصحاب سليمان ابن جرير ، وأصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وأصحاب كثير النوي الأبتر.

ومن رجال الزيدية : أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي ، والحسن بن صالح بن حي ، ومقاتل بن سليمان ، والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي ، والداعي الآخر صاحب طبرستان: الحسين بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، ومحمد بن نصر .

وأتباع محمد بن الباقر بن علي زين العابدين ، وابنه جعفر الصادق وأتباع رجل يقال له : ناووس ، " وابنه عبد الله الأفطح " ، وأتباع يحيي بن أبي شميط .

وأصحاب عبد الله بن سبأ ، وأصحاب أبي كامل وأصحاب العلباء بن ذراع الدوسي ، وأصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وأصحاب أبي منصور العجلي ، وأصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي ، وأتباع أحمد بن الكيال ، وأصحاب الهشامين : هشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي ، وأصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول ، وأصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي (١)

يقول الشهرستاني : رجال الشيعة ومصنفو كتبهم من المحدثين

---

١ - انظر بتوسع : الملل والنحل للشهرستاني ص (١٤٦ - ١٩٠) .

فمن الزيدية : أبو خالد الواسطي ، ومنصور بن الأسود ، وهارون بن سعد العجلي " جاروديه " ووكيع بن الجراح ، ويحيي بن آدم ، وعبيد الله بن موسى ، وعلي بن صالح ، والفضل بن ركين ، وأبو حنيفة (بترية) وخرج محمد بن عجلان مع محمد الإمام ، وخرج إبراهيم بن سعيد ، وعباد بن عوام ، ويزيد بن هارون ، والعلاء بن راشد ، وهيثم بن بشير ، والعوام بن حوشب، ومسلم بن سعيد مع إبراهيم الإمام .

ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة : سالم بن أبي الجعد ، وسالم بن أبي حفصة ، وسلمة بن كهيل ، ونوبر بن أبي فاختة ، وجيدب بن أبي ثابت ، وأبو المقدام ، وشعبة ، والأعمش ، وجابر الجعفي ، وأبو عبيد الله الجدلي ، وأبو إسحاق السبيعي ، والمغيرة ، وطاووس والشعبي ، وعلقمة ، وهبيرة بن برين ، وحبة رلعرني ، والحارث الأعور .

ومن مؤلفي كتبهم : هشام بن الحكم ، وعلي بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن ، والشكال ، والفضل بن شاذان ، والحسين بن إشكاب ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وابن قبة ، وأبو سهل النوبختي ، وأحمد ابن يحيى الرواندي .

ومن المتأخرين : أبو جعفر الطوسي (١)

(١) - الملل والنحل ص (١٩٠) .

سادسا أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على الشيعة

أصل الشيعة وأصولها محمد الحسين آل كاشف الغطاء

تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة

تطهير الجنان واللسان عن الحظور والتفوة بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان للمحدث أحمد بن حجر الهيثمي المكي

تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة

لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكتماني

جامع الرسائل لابن تيمية

الذريعة إلي تصانيف الشيعة أغا برزك الطهراني

ذو النورين عثمان بن عفان محب الدين الخطيب

الرسالة للإمام الشافعي

السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة للسيد محمد رشيد رضا

الشيعة في التاريخ محمد حسن الزين العاملي

عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية علي أحمد السالوس

فرق الشيعة الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي

الفرق بين الفرق أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي

الفضل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد حزم

فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة

د / أحمد علي السالوس

الملل والنحل	للشهرستاني
منهاج السنة النبوية	لابن تيمية
الوشيعة في نقد عقائد الشيعة	موسى الجار الله

مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع

د / علي أحمد السالوس

بطلان عقائد الشيعة	محمد عبد الستار التونسوي
حقيقة الشيعة	عبد الله بن عبد الله الموصلي
الشيعة والقرآن	إحسان إلهي ظهير
الشيعة والسنة	إحسان إلهي ظهير
الشيعة وآل البيت	إحسان إلهي ظهير

وبادئ ذي بدء نوضح ما هي فكرة التقريب ؟ حتى ننبه المسلمين المخدوعين . والغافلين من أهل السنة والجماعة ، ومن يحسنون الظن بأعدائهم ولا يحتاطون لأمر نجاتهم . وإلي من جهل مذهب الشيعة فانخدع وهو سليم القلب ، وإلي المتعاطفين مع الشيعة وضحاياهم ، ومن يجهلون الأمر والموقف الحقيقي للشيعة من أهل السنة . وإلي كل الداعين إلي التقريب بين أهل السنة والشيعة نقول:

يجب أن نعلم أن هناك دارا في القاهرة تسمي دار التقريب بالزمالك ، تعمل لصالح الشيعة . كذا ما يسمي بالمذهب الجعفري ، أو الجعفرية ، ولم يقف الأمر عند هذا ، بل تم إنشاء جمعية أهل البيت سنة ٧٣ ، ٧٤ اتخذت مركزا لها بالمعادي بالقاهرة، واستخدمت أساليب متنوعة لنشر عقيدة الشيعة بين أهل السنة

هذا وإن الذين تعاطفوا منا مع الشيعة لم يكونوا على علم بمعتقدات الشيعة ، وإن عدم العلم بالشيء لا يعني عدمه . وعدم العلم هذا هو الذي أوقع كثيراً من علمائنا ومفكرينا في الدعوة إلي التقارب معهم ، وهذا هو الذي حدا بالشيخ محمود شلتوت أن يقول فتواه بجوار التعبد بالمذهب الاثنى عشر . إن التقية الخبيثة التي يؤمن بها الشيعة ديناً هي التي ذهب ضحيتها الشيخ شلتوت رحمه الله . وكذا الشيخ الغزالي رحمهُ الله ، ومن قبل شيخ الأزهر الأسبق محمد الفحام ، وأيضاً الشيخ حسن البنا رحمهم الله تعالي ، وغيرهم من حسني النية الذين دعوا إلي التقريب بين المذاهب الإسلامية ، أو بين الشيعة وأهل السنة ، وما ذلك إلا بسبب التقية المبالغ فيها وهي التي تأمر الشيعة بأن يظهروا عكس ما يبطنون من عقائد ، وعليه فإن الشيعي قد يقر ظاهرا ما يقر به باطنا ، وقد ينكر ظاهرا ما يعتقده باطناً .

وبسبب هذه العقيدة وقع من أهل السنة ، وصدق كلام الشيعة ، بل وأفتي بجواز التعبد بمذهبهم ، فمن أجل التقية والخداع يكتبون ويقولون ما لا يعتقدونه أصلا .

إن هدف الشيعة من التقريب هو نشر مذهبهم بين أهل السنة ، وقد نجحوا في العراق وغيرها حيث تمكنوا من إدخال عدد من القبائل السنية في التشيع فأصبح أولئك عددا يُضاف إلي أعداء الأمة يطعنون فيمن حمل هذا الدين ، أعني الصحابة رضي الله عنهم ، ويتربصون بالأمة الدوائر .

ولذلك فدعوة التقريب التي نراها أو نسمع عنها في مصر تحتاج إلي نظر ، وإلا كانت دعوة إلي المذهب الشيعي ، إنها لعبة مكشوفة ، وبواسطة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية نفذت خدعة مذهبية مدروسة بانتزاع فتوى من الشيخ شلتوت المخدوع بجوار التعبد بالمذهب الشيعي ، حتى فهم منها أن مذهب الشيعة متفق عليه ، ومذهب أهل السنة مشكوك فيه ، فلاحظ أن القوم يحيطون ويعملون من أجل نصرة مذهبهم ونشره بين أهل السنة والجماعة باستغلال من ليس على علم بمعتقداتهم أو باغرائهم .

ودليل ذلك أنه أنشئت دار التقريب في مصر ، ينفق عليها من الميزانية الرسمية لدولة الشيعة ، وهذه الدولة الشيعية إذ آثرتنا بهذه المكرمة ، واختصتنا بهذا السخاء الرسمي ، وضنت – في نفس الوقت – بمثلها على نفسها وعلى أبناء مذهبها . فلم تنشئ دارا للتقريب في طهران أو في النجف أو غيرها من مراكز الدعاية الشيعية – في السنين الأخيرة – من الكتب التى تهدم فكرة التفاهم والتقريب ما تقشعر منه الأبدان .

ومن ذلك كتاب اسمه " الزهراء " - في ثلاثة أجزاء نشره علماء النجف - وقالوا فيه عن أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " إنه كان مبتلى بداء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال !!

فالروح النجسة التي يصدر عنها مثل هذا الفجور المذهبي هي أحوج الى دعوه التقريب من حاجتنا نحن أهل السنة إلى مثل ذلك .

وبعد إعطاء فكرة مبسطة عن التقريب نذكر رأينا في فكره التقريب بصفة عامة فنقول :

إن التقريب بين المسلمين في تفكيرهم واقتناعاتهم واتجاهاتهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام ، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح ، وهو من الخير لشعوبهم وجامعتهم في كل زمان ومكان . والدعوة إلى هذا التقريب إذا كانت بريئة من الغرض ، ولا يترتب عليها في تفاصيلها ضرر يطغى على ما يرجى من نفعها ، فإن على كل مسلم أن يستجيب لها ، وأن يتعاون مع المسلمين على إنجاحها ، وأول ما نلاحظه في هذا الأمر - وفي كل أمر له علاقة بأكثر من طرف واحد - أن من أقوى أسباب نجاحه أن يكون هناك تجارب بين الطرفين ، أو الأطراف ذات العلاقة به .

لكن أن يكون المقصود هو الانتصار لفكرة واحدة ، ونشر مذهب واحد ، يعتقد في نفسه أنه على الحق وما سواه على الباطل ، فكيف يتحقق التقارب ، أو يتم التفاهم ؟!

ويتحقق هذا مع الوسطية والإنصاف ، فيقتضي الأمر مثلاً أن يبدءوا بتخفيف إحنتهم وضغينتهم عن أئمة الإسلام الأولين ، وأن يشكروا لأهل السنة موقفهم النبيل من آل البيت وعدم تقصيرهم بشيء من واجبات الإجلال والتكريم لهم ، إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت في أننا لم نتخذهم آلهة

نعبدهم مع الله !! كما هو المشاهد فى مشاهدهم القائمة في الناحية الأخرى التي يراد التقريب بيننا وبينها.

إن التجاوب لا بد منه بين الطرفين المراد تفاهمهما والتقريب بينهما ، ولا يكون التجاوب إلا إذا التقى السالب بالموجب ولم يقتصر نشاط الدعوة إليه ، والعمل لتحقيقه ، على جهة واحدة دون الأخرى كما هو حاصل الآن .

وثانيا : لا يجوز أن يكون التقريب مبتدئا بالفروع قبْل الأصول كالفقه والسياسة ونحو ذلك ، فالفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلمة عند الفريقين ، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة ، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها فلن يتحقق تقريب إيجابي

والان تستطيع ان نقول : ما هو حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة ؟

إن حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة على نحو ما هم عليه من التمسك بمذهبهم مستحيل بكل المقاييس .

وذلك لأن واضعي أسس الدين الشيعى لم يتركوا في أصولهم أي وسيله لهذا التقريب ، بعد أن أقاموه على دعائم منافية لما جاء به النبي (ﷺ) ، ودعا اليه اصحابه . وتركهم على المحجة البيضاء الواضحة لا ينحرف عنها منحرف الا هلك .

وهؤلاء القوم قد بنوا مذهبهم على الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله (ﷺ) الذين قام الإسلام على أكتافهم لدرجة أنهم كفروا الصحابة عدا عن نفر قليل يعدون على أصابع اليد أو اليدين !!

وقد سمعت نموذجا لمثل الكلام القذر الذي قالوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب !!

هذا ومما يمنع التجاوب الصادق بيننا ويستحيل التقارب بين أهل السنة والشيعة . اعتقادهم بمبدأ أو عقيدة " التقية " فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون ، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ، ولا يرضون به ، ولا يعملون له ، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد ، مع بقاء الطرف الآخر في عزلته مؤمنا بعقيدته . متمسكا بمذهبه . لا يتزحزح عنه قيد شعرة .

هذا وكيف يكون التقارب بيننا وبينهم مع عدم وجود المرجع الذى نرجع إليه ، ويجمع بيننا ؟

فإن ربنا يقول ﴿ وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمهُ إلى اللَه ﴾ (١) كما قال : ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ فردُّوهُ إلى اللَه والرّسُول إن كُنتم تؤمنون باللّه واليومِ الآخرِ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا ﴾ (٢) .

وهؤلاء القوم لا يؤمنون بالقران الذى نؤمن به نحن المسلمين ، أهل السنة والجماعة ، فهم يؤمنون بمصحف فاطمة الذي هو أضعاف هذا القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه من القرآن حرف واحد ، والذى هو مع الإمام الغائب .

وقد ألفوا كُتباً أثبتوا فيها تحريف القران، مثل كتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " لأحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النورى الطبرسي، وقد جمع فيه مئات النصوص عن

١ - سورة الشورى آية رقم ١٠ .

٢ - سورة النساء آية رقم ٥٩ .

علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القران قد زيد فيه ونقص منه !!

وهذه النصوص الشيعية المكذوبة على أئمة أهل البيت قديمة العهد ، ورحم الله أبا محمد بن حزم كان يتناظر مع قسس أسبانيا في نصوص كتبهم

ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها ، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن محرف أيضاً ، فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القران ولا على المسلمين ، لأن الشيعة غير مسلمين (1) .

هذا وعند اعترافهم بهذا القرآن . فإن أصول الدين عندهم قائمه من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها الى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي (ﷺ) ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القران. وهناك فتوى عندهم بأنه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلم الناس من المصحف العثماني !!

هذا وكيف يتم التقريب والشيعة تزعم – خاصة الإمامية الاثنى عشرية وهي تسمى بالجعفرية أيضا – أن جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي (ﷺ) ، وإلى هذه الساعة – عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب – حكومات غير شرعية.ولا يجوز لشيعي أن يدين لها بالولاء والإخلاص من صميم قلبه . وإنما يتقيهن تقاه .

(1) انظر كتاب – الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٧٨ ، ج ٤ ص ٢٠٢ ط القاهرة .

ولذلك يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان ، وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي ، وقد كذبوا على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بأنه أقر شيعته على تسمية أبي بكر وعمر بالجبت والطاغوت ، وتعبدهم بالدعاء الذي يسمونه "دعاء صنمي قريش" وهو دعاء مطول وفي غاية القبح !!

وقد بلغ من كراهيتهم لعمر بن الخطاب أن سموا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي بابا شجاع الدين !

واعتبروا يوم قتله يوم العيد الأكبر ، ويوم المفاخرة ، ويوم التبجيل ، ويوم الزكاة العظمى ، ويوم البركة ، ويوم التسلية !!

ومن عقائدهم الأساسية أنه عندما يقوم المهدى "وهو إمامهم الثاني عشر" الذي هو حي الآن وينتظرون خروجه – أي ثورته – وإذا ذكروه قالوا : عجل الله فرجه ، عندما يقوم هذا المهدي من نومته الطويلة التي زادت على ألف ومائة سنه ، وسيحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين السابقين مع الحكام المعاصرين لقيامه ، وعلى رأس الجميع " الجبت والطاغوت – أبو بكر وعمر " فمن بعدهما . فيحاكمهم على اغتصابهم الحكم منه ومن آبائه الأحد عشر إماما .. ويسمي هذا الإحياء بالمحاكمة والقصاص ، وهي عقيدة " الرجعة " وهي من عقائدهم الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد .

وإن أعلام الشيعة وأحبارهم في جميع العصور واقفون هذا الموقف المخزي من صاحبي رسول الله (ﷺ) ووزيريه أبي بكر ، وعمر ، ومن سائر أعلام الإسلام وخلفائه وحكامه وقادته ومجاهديه وحفظته .

إن قوما نفوا الإيمان عن أبي بكر وعمر . كما كفروا الصحابة عدا عن علي وعمار بن ياسر وسيمان الفارسي،وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود . كيف يتم التقريب معهم . أو التقارب منهم !!

وفي الوقت الذي ينزل الشيعة بأصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعين لهم بإحسان إلى هذه الدركة المخزية ، فإنهم يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة أنفسهم ، فقد نعتوهم نعوتا ترفعهم عن منزلة البشر ، بل والأنبياء ، وترفعهم إلى مصاف الآلهة . ولو شئت لاكتفيت بنقل عناوين الأبواب فقط بنصها وبالحرف عن كتاب "الكافي" للكليني ، وهو عندهم بمنزلة "البخاري" عند السنيين . فهم لا يتفقون معنا في قرآن ولا سنة . فضلا عن غيرهما !! ومن هذه العناوين : باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء ، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها ، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم يعلمون علمه كله ، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء ، باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود ، وآل داود !! ولا يسألون البينة ، باب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة ، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل ، وباب أن الأرض كلها للإمام !!

وبينما يدعون لأئمتهم الاثنى عشر ما لا يدعيه هؤلاء الأئمة لأنفسهم من علم الغيب ، وأنهم فوق البشرية ، فإنهم – أى الشيعة – ينكرون على النبي ﷺ ما أوحى الله إليه من أمر الغيب كخلق السموات والأرض وصفة الجنة والنار.

وهذا .. وكيف يتم التقريب بين أهل السنة والشيعة ونحن نخالفهم في عقيدة الولاء والبراء . فالولاء – عندهم – للأئمة من آل البيت ، وليس آل البيت جميعهم ، والبراء ممن سواهم من أصحاب رسول الله (ﷺ) وعلى رأسهم الخلفاء " أبو بكر وعمر وعثمان " وكذا بقية العشرة الذين بشرهم النبي (ﷺ) بالجنة . عدا عن علي . ولو لم يكن للشيعة من أسباب التكفير إلا مخالفتهم النبي (ﷺ) بأن هؤلاء العشرة من أهل الجنة ، لكفى ، في حين أن ولاءنا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعلى رأسهم سائر الصحابة الذين قام الإسلام على أكتافهم ، ونبت الحق والخير في العالم بدمائهم ، وعداؤنا لمن عاداهم من سائر الضالين والمارقين وملل الكافرين .

وكيف يطالبنا الشيعة بالبراءة من أصحاب رسول الله ﷺ ثمنا للتقريب بيننا وبينهم – في حين ان امامهم الأول علي (ﷺ) كان يحبهم ، ومن أمثلة ذلك انه سمى أولاده – بعد الحسنين وابن الحنفية – أبا بكر وعمر وعثمان ، وزوج ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر بن الخطاب ، وبعد شهادته تزوجها ابن عمها محمد بن جعفر . فمات عنها فتزوجها أخوه عون بن جعفر . !!

ان الثمن الذي يطالبنا به الشيعة للتقرب منهم ثمن باهظ . نخسر معه كل شيء ولا ناخذ به شيئا . والاحمق من يتعامل مع من يريد منه ان يرجع عنه بصفقه المغبون .

ان الولاء والبراء الذى قام على أساسه الدين الشيعي – على ما قرره النصير الطوسي وأيده نعمة الله الموسوي والخونساري – لا معنى له إلا تغيير دين الإسلام الحق . والعداوة لمن قام على اكتافهم بنيان الإسلام .

هذا والشيعة – الاثنى عشرية – يدعون العصمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وأحد عشر رجلا من سلالته . وان لم يدعها علي لنفسه ولا

لأحد من بنيه ! ويرى الشيعة أن هؤلاء الاثنى عشر مصدر التشريع !! وفى نفس الوقت زعموا أن أبا بكر وعمر قد انتزعا الخلافة من علي ، وإنهما أئمة جور ولا يجوز أن ننفذ أحكامهما . مع أن عليا نفسه قد نفذ أحكامهما يوم أن اخذ جارية من سبي بني حنيفة ، وقد سباهم أبو بكر (ﷺ) ، ثم تولدها - أي على - وولدت له محمد بن الحنفية . وكذلك لما زوج علي (ﷺ) ابنته أم كلثوم من عمر ابن الخطاب . هذا ولقد صرح الشيعة بردة أكابر الصحابة الذين وردت الآيات والأحاديث الكثيرة فى الثناء عليهم . مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وقد ردوه وأنكروه .

وقصد الرافضة من وراء الدعوة إلى ارتداد كبار الصحابة نسف الشريعة التي نقلوها إلينا ، وزرع الشك في نفوسنا في نقلهم ما داموا قد ارتدوا ، وكذلك من أغراضهم التي يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على فقدان الثقة في الأجيال المسلمة بسلفهم ، وحرمانهم من الاقتداء بالجيل المثالي الفذ العظيم ، الذى تربى في مدرسة محمد (ﷺ) ، فيصبحون هملا ، لا تاريخ لهم . ولا قدوة صالحة يقتدون بها . وقد حاول الرافضة تحقيق مأربهم ، فدسوا في تاريخنا الإسلامي ما يريدونه من تشويه تاريخ الصحابة ، وتضليل الناشئة مئات السنين ، مما رأينا من نماذج أكاذيبهم وأضاليلهم .

وكيف رد عليها الأئمة الأعلام أمثال القاضي أبو بكر بن العربي ، وابن تيمية وابن كثير ، والشيخ محيي الدين الخطيب ، ومما يؤسف له أن جميع هذه الردود بقيت حبرا على ورق ، حبيسة الكتب ، ولم تدخل مدارسنا ولا جامعاتنا ، ولم توضع بين أيدي المؤلفين والأساتذة والطلاب الذين ما زالوا في فتنة عمياء ، وفي ضلال مبين .

ومن مكائد الرافضة التى تخفى على الكثيرين أنهم يلجئون إلي الكتب التي تفضح مؤامراتهم ، فيجمعونها من الأسواق ، ويحضون أتباعهم على حرقها !

وكل هذا يدعونا إلي المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التخريف والتضليل . ومعرفة الحقيقة جلية ، ورحم الله القاضي أبا بكر بن العربي إذ قال : ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسي ما رضيت الروافض في أصحاب محمد (ﷺ) حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل . فما يرجى من هؤلاء . وما يستبقي منهم ؟

هذا وكيف يتم التقريب مع الشيعة وهم الذين يعتقدون في أهل السنة والجماعة أنهم كفار . ويسمونهم نواصب . ومعناه أنهم نصبوا العداوة لأهل البيت . أو من هو قدم على "علي ﷺ" غيره .

ولأن أهل السنة يقدمون الخلفاء الثلاثة على "علي" فهم نواصب عند الشيعة وقد صرحوا بذلك فى قولهم : ولا كلام فى أن المراد بالناصية هم أهل التسنن . والنواصب من أنكروا خلافة الوصى

ثم قالوا بنجاسة أهل السنة . فذكروا في عدد الأعيان النجسة وهى عشرة - العاشر منها : هو الكافر وهو من لم ينتحل دينا أو انتحل دينا غير الإسلام أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنه من الدين الإسلامي بحيث رجع جحده إلى إنكار الرسالة ، أو إنكار المعاد الذي يوجب الكفر مطلقا ، ولا فرق بين المرتد والكافر الاصلى والحربى والذمى والخارجي والغالى والناصب ...

وقالوا : لا اشكال فى نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب . كما قالوا : والخوارج والغلاة والناصب وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت - عليهم السلام - انجاس .

وقال آيه الله الخميني . وأما النواصب والخوارج لعنهما الله تعالى فهما نجسان من غير توقف .

واسمع شيئا يكشف لك خبثهم ودهائهم ، روى شيخهم ابن بابويه القمي في كتابه : علل الشرائع ، عن داود بن فرقد قال : قلت لأبي عبد الله (ﷺ) : ما تقول في قتل الناصب ؟ قال . حلال الدم ، ولكني أتقي عليك ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء كيلا يشهد به عليك فافعل ، قلت : فما ترى في ماله ؟ قال : تود ما قدرت عليه .

ولو ألقينا نظرة تاريخية ، فالدولة العباسية دولة سنية ، ولحسن نية أهل السنة عين الخليفة العباسي وزيرا شيعيا هو الخواجة نصير الطوسي . فغدر هذا النصير الطوسي الشيعي بالخلافة وتحالف مع التتار فوقعت مجزرة بغداد والتي راح ضحيتهما مئات الآلاف من المسلمين بسبب خيانة هذا الشيعي

ويأتي الخميني ليبارك فعل هذا الحاقد في كتابه " الحكومة الإسلامية " فيقول ما نصه : وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدا منا الدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله "

فلاحظ كيف عد مجزرة بغداد التي دبرها النصير الطوسي نصرا للإسلام والمسلمين ، وهؤلاء الذين يدخلون في سلك سلاطين أهل السنة لا يتورعون عن قتل أهل السنة إن سنحت لهم الفرصة كما فعل علي بن يقطين هذا الذى أثنى عليه ، عندما هدم السجن على خمسمائة من السنيين فقتلهم ، نقل لنا هذه الحادثة العالم الشيعي الذي وصفوه بالكامل الباذل ، صدر الحكماء ، ورئيس العلماء ، نعمه الله الجزائرى في كتابه المعروف " الأنوار النعمانية "

فذكر القصة بنصها ، فقال : وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة ، فأمر غلمانه وهدوا سقف السجن على المحبوسين ، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبا . فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم ، فكتب (ﷺ) إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم ، وحيث إنك لم تتقدم إليّ فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس ، والتيس خير منه .

فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد ، فإن ديته عشرون درهما ، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم ، وما لهم في الآخرة أخس وأبخس !!

كما ثبت أن الحروب الصليبية التي قام بها الصليبيون ضد الأمة الإسلامية ليست إلا حلقة من الحلقات المدبرة التي دبرها الشيعة ضد الإسلام والمسلمين كما يذكر ابن الأثير وغيره من المؤرخين .

وإقامة الدولة الفاطمية في مصر ومحاولاتها تشويه صور السنيين وإنزالها العقاب على كل شخص ينكر معتقدات الشيعة . وقتل الملك النادر في دلهى من قبل الحاكم الشيعي أصف خان على رؤوس الأشهاد ، وإراقة دماء السنيين في ملتان من قبل الوالي أبي الفتح داود الشيعي . ومذبحة جماعته للسنيين في مدينة لكناو الهند وضواحيها من قبل أمراء الشيعة على أساس عدم تمسكهم بمعتقدات الشيعة بشأن سب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم .

ثم الاجراءات الصارمة التى اتخذتها حكومة الامام الخمينى ضد أهل السنة والجماعة فإنها ليست غريبة عليهم حيث إن التاريخ يشهد بأن الشيعة كانوا وراء تلك النكسات والنكبات التى تعرضت لها الأمة الإسلامية على مر

التاريخ ، ولا زلنا نسمع في هذه الأيام عن المذابح التي تقام لأهل السنة في إيران .

وعلى الجملة فإن الشيعة يكنون البغض والعداء والكراهية لأهل السنة . ولكنهم لا يجاهرون بهذا العداء بناء على عقيدة التقية الخبيثة ! فمجاملة الشيعة لأهل السنة وإظهار المودة الزائفة التي تحثهم عليها عقيدة التقية جعلت أهل السنة لا يفطنون إلى موقف الشيعة الحقيقي .

وذلك لأن التقية التي هي الكذب وإخفاء الحقيقة ليست رخصة عندهم فحسب ، بل هي ركن من أركان دينهم . وقد رووا فيه الكثير عن أئمتهم . فقد روى الكليني في التقية أخبار كثيرة ، فروى عن أبي عبد الله أن تسعة أعشار الدين في التقية . ولا دين لمن لا تقية له . وعن أبي جعفر قال : التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقيه له .

ورووا عن بعض أئمتهم أنه قال : من صلى وراء سني تقية فكأنما صلى وراء نبي ، ثم في وجوب قضاء هذه الصلاة عندهم خلاف . وقد فسروا كثيرا من أعمال الأئمة أنهم فعلوها تقية ، فسكوت عليّ على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كانت تقية ، ومصالحة الحسن مع معاوية كانت تقيه أيضاً ، فإذا كان هذا دين القوم فكيف يستطيع المرء أن يأمنهم أو يثق فيهم ؟

وفي الخلاصة أن الشيعة قوم يدينون بدين هو غير دين الله الذي جاء به محمد بن عبد الله، نبي الله وصفيه ، صلوات الله وسلامه عليه . ويؤمنون بقرآن غير القرآن الموجود في أيدي الناس ، والمنزل من الله على قلب المصطفى ، نزل به الروح الأمين (ﷺ) ، ولهم عقائد لا تمت إلى الإسلام بصلة ، والإسلام منها بريء ، هذا وللقوم خطرهم ومكرهم وما يكتمون من وراء دعوتهم أهل السنة إلى التقريب والتقارب من التزوير والتمويه على أهل

السنة ما في ه، مستعملين في ذلك "التقية" اللازمة لمذهبهم والأكاذيب التي هي أكبر وسيله للقوم

ولذلك فالقوم أنفسهم وخاصة العوام منهم لا يعرفون مذهبهم الحقيقي ، ومعتقداتهم الأصلية ، فهم في جهل كامل وغفلة عميقة عن حقيقة مذهبهم الذي اعتنقوه وراثة ، أو مخدوعين باسم حب أهل بيت النبي (ﷺ) والولاء لهم . وهم لا يعرفون حتى أهل البيت ، لأن القوم ما أرادوا من أهل البيت أهل بيت النبي (ﷺ) بل يقصدون اهل بيت علي ، وحتى علي لا يعدون جميع اولاده من أهل البيت ، مع أن فيهم بناته اللاتي أنجبتهم فاطمة رضى الله عنها بنت النبي (ﷺ) ، بل يقصدون من ذلك أشخاصا معدودين يعدون على أنامل يد واحدة ، ومن العجيب أن القوم لشدة بغضهم أصحاب رسول الله (ﷺ) ، ورضوان الله عليهم أجمعين ، نبذوا تعليمات أئمتهم الذين يزعمونهم معصومين ، لا يصدر عنهم الخطأ والزلل ، والثابتة في كتبهم أنفسهم لا في كتب مخالفيهم أو معانديهم

فما الشيعة إلا كاليهودية ، ضغائن قديمة ، وأحقاد متوارثة ، وجهل سائد موروث من جيل إلى جيل باسم أهل البيت وعلى حسابهم

اهل البيت الذين كانوا هم اخلص المخلصين لرفاق رسول الله عليه الصلاة والسلام واصحابه والمتوادين والمتعاطفين المتراحمين المتحابين فيما بينهم .

واما الشيعة فقد تجاوزوا ذلك إلى إهانة أهل البيت أنفسهم ، والطعن والنقد والجرح فيهم واستصغارهم واحتقارهم ، ووصلوا إلى حد الإساءة والسباب والشتيمة فى حقهم ، كما تجراوا على أنبياء الله ورسله ، وتطاولوا على خير الخلق وسيد البشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كذبوا عليهم

ونسبوا إليهم مسائل يمجها العقل ويزدريها الفكر ، وتأباها الفطرة السليمة وينكرها الذوق ، وكل هذا من كتبهم الموثوقة ، المعتبرة المعتمدة لديهم ، والتي طبعوها بأنفسهم أيضا. (١)

وبذلك نرى أن الشيعة لا يريدون دينا أنزله الله ، قائما على العقل والمنطق والحكمة ، وإنما يريدون دينا من صنع أيديهم ، وهم واليهود في ذلك سواء ، ولا تعجب فاليهود أصل المذهب وأساسه ، وصدق قول الله فيهم

﴿ وإن يروْا سبيل الْغيّ يتّخذوهُ سبيلاً ذلك بأنّهُمْ كذّبوا آياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (٢) لقد جاء الإسلام صافيا نقيا سهلا ، فأبى الشيعيون إلا أن يجعلوه أحاجي ومعميات وأساطير وخرافات ، فغالوا بدعوى الإمامة ، وتغنوا بها على مدى العصور ، وبعد أن ابتدعوها ألبسوا الإمام ثوبا يختلف كل الاختلاف عما عليه كل البشر ، واخترعوا له شروطاً مضحكة ومبكية ، يخجل العاقل من أن يسمعها ، فكيف له أن يعتقدها أو يتفوه بها ، ولكن الشيعة لم يتركوا سخافة إلا نسبوها للأئمة ظنا منهم أنهم بهذه السخافات يرفعون من شأن أئمتهم ، فكان الأمر عكس ما أرادوا ، إذ أنهم حطوا من قدرهم ، فتارة يزعمون أن الأئمة آلهة ، وأخرى أنهم أنوار تحت ظل العرش ، وثالثة ورابعة من أمثال هذه السخافات .

هذا فضلاً عن أن المذهب الشيعي مبني على الكذب على رسول الله ﷺ وتكذيب الأحاديث الصحيحة ، ولا يوجد في الخلق أكذب منهم .

وبعد وضوح هذه الفروق الأساسية بين طريقة أهل السنة وطريقة الشيعة في النظر إلى الإسلام ، وتعيين الأسس التي يقوم تشريعه عليها ، يجب

١ - راجع في ذلك كتاب: الشيعة وأهل البيت. للشيخ إحسان إلهي ظهير، وبقية كتبه عن الشيعة
٢ - سورة الأعراف آية ١٤٦ .

أن يعلم المسلم أن أهل السنة يجتمعون مع الشيعة في اسم الإسلام وفي الولاية له بالجملة

ويتبين استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول ، كما اعترفوا بذلك ، ويقره كل شيعي ، ومما لا ريب فيه أن الشيعة الإمامية هى التي لا ترضى بالتقريب ، ولذلك ضحت وبذلت لتنشر دعوه التقريب في ديارنا ، وأبت وامتنعت أن يرتفع له صوت أو نخطوا في سبيله أية خطوة فى البلاد الشيعية ، أو أن نرى له أثرا في معاهدها العلمية ، ولذلك بقيت الدعوة إليه من طرف واحد ، ولذلك فإن كل عمل في هذا السبيل سيبقى عبثا كعبث الأطفال ولا طائل تحته إلا إذا تركت الشيعة لعن أبي بكر وعمر ، والبراءه من كل من ليس شيعيا منذ وفاة النبي (ﷺ) وإلى يوم القيامة . وإلا اذا تبرءوا من عقيدة رفع أئمة آل البيت عن مرتبة البشر

ولذلك يجب أن يعلم كل مسلم إمكان التقريب بين أبناء الطوائف والمذاهب الأخرى ، واستحالته مع الشيعة على الخصوص ، وذلك باعترافهم الصريح الآتي بيانه : نقل الخونساري مورخ أعلام الشيعة في كتابه روضات الجنات عند ترجمته المطولة للنصير الطوسي ، أن من جملة كلامه : الحقيق الرشيق . والصادر عن مصدق الحق والتحقيق ، قوله في تعيين الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين . وأنها الإمامية ، قال : إني اعتبرت جميع المذاهب ووقفت على أصولها وفروعها . فوجدت من عدا الإمامية مشتركة فى الاصول المعتبرة فى الإيمان . وان اختلفوا فى أشياء يتساوى اثباتها ونفيها بالنسبة إلى الإيمان.ثم وجدت أن الطائفة الإمامية يخالفون الكل في اصولهم . فلو كانت فرقة ممن عداهم ناجية لكان الكل ناجين . فدل على ان الناجي هو الامامية ولا غير.

ثم قال : أما هذه الفرقة الإمامية فهم مجمعون على أن النجاة لا تكون الا بولاية اهل البيت إلى الإمام الثانى عشر . والبراءة من أعدائهم . أى أبى بكر وعمر . الى آخر من ينتمي إلى الإسلام من غير الشيعة !

فهي مباينة لجميع الفرق في هذا الاعتقاد الذي تدور عليه النجاة!!!

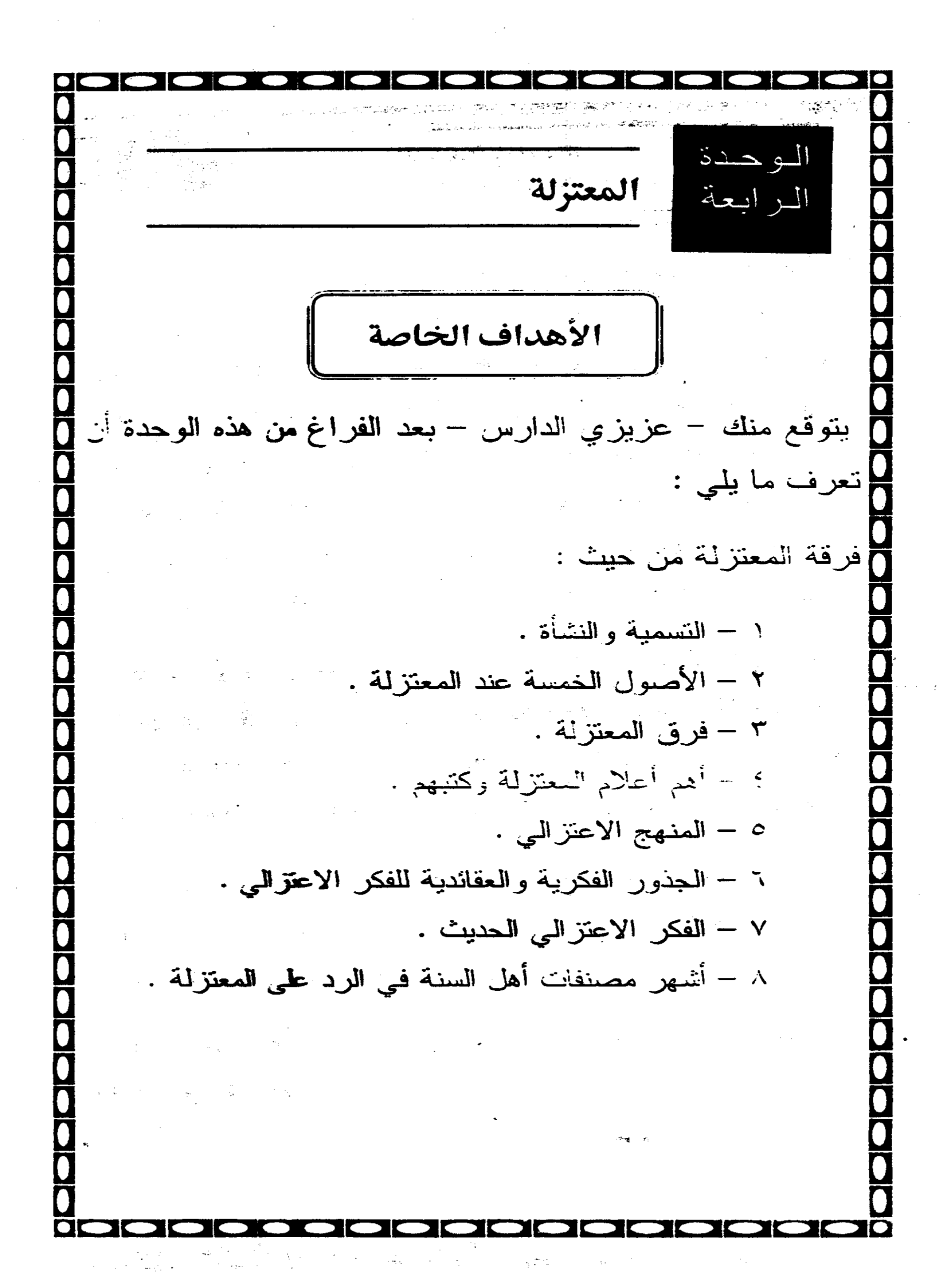
إن الشيعة يشترطون علينا للتفاهم معهم ولرضاهم عن اقترابنا منهم أن نلعن معهم أصحاب رسول الله (ﷺ) وأن نبرأ من كل من ليس على دينهم حتى بنات رسول الله (ﷺ) وزوجاته والصفوة المباركة من ذريته وآل بيته . وفي طليعتها زيد بن زين العابدين ، ومن على قدمه في استنكار منكرات الرافضة .

كما يريدنا الشيعة أن نصدق بوجود إمامهم الثاني عشر ، وهو شخصية موهومة نسبت كذبا للحسن العسكري الذي مات عن غير ولد ، وزعموا أنه بقي في السرداب ، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى ، إلى آخر هذه الأسطورة التي لم يسمع بمثلها ولا في أساطير اليونان !

ويريدون من جميع المسلمين الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل أن يصدقوا هذه الأكذوبة ليتسنى التقريب بينهم وبين الشيعة،وهيهات، هيهات ، إلا أن يتحول العالم الإسلامي كله إلى مستشفى لمعالجه الأمراض العقلية،والحمد لله على نعمة العقل فإنها مناط التكليف ، وهي بعد صحة الإيمان من أجل النعم وأكرمها(١) .

---

١ - راجع بتوسع : حقيقة الشيعة - عبد الله بن عبد الله الموصلي . بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للشيخ / محمد عبد الستار التونسوي . بروتكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين د / عبد الله الغفاري . العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي .



الوحدة الرابعة

المعتزلة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد الفراغ من هذه الوحدة أن تعرف ما يلي :

فرقة المعتزلة من حيث :

١ – التسمية والنشأة .
٢ – الأصول الخمسة عند المعتزلة .
٣ – فرق المعتزلة .
٤ – أهم أعلام المعتزلة وكتبهم .
٥ – المنهج الاعتزالي .
٦ – الجذور الفكرية والعقائدية للفكر الاعتزالي .
٧ – الفكر الاعتزالي الحديث .
٨ – أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على المعتزلة .

أولا التسمية والنشأة

يطلق هذا الاسم (المعتزلة) على جماعة من المفكرين المسلمين الذين ظهروا في الدولة الإسلامية في اواخر القرن الأول الهجري ، على يد رئيسهم وأستاذهم الأول " واصل بن عطاء الغزالي " ٥٠ – ١٣١ هـ ، وإن كان بعض الباحثين يري أن اسم المعتزلة قد أطلق قبل (واصل بن عطاء) على جماعات من المسلمين ، يسمونهم أسلاف المعتزلة ، وهم الذين اعتزلوا الفتنة التي وجدت بين علي بن ابي طالب وبين معاوية – رضي الله عنهما – فقد ابتعد عن علي بن ابي طالب ﷺ بعض الصحابة بعد أن بايعوه ، وبايعه الناس ، فقد امتنعوا عن محاربته ، أو المحاربة معه ، وهم " سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بين زيد بن حارثة الكلبي .

يقول الشهرستاني في الملل والنحل : " والذين اعتزلوا إلي جانب ، فلم يكونوا مع علي ﷺ في حروبه ، ولا مع خصومه ، وقالوا : لا ندخل في غمار الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم : عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولي رسول الله ﷺ " (١)

والبعض يري نسبتهم إلي الشيعة من أتباع الامام " محمد بن الحنفية " من البيت . ولكن المشهور انهم ينتسبون إلي (واصل بن عطاء) تلميذ الحسن البصري – كما سيأتي بيان ذلك .

وقد قالت المعتزلة بآراء في الدين خالفوا بها مذهب السلف وجماعة الإسلامية في ذلك الحين .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٢٤ .

سبب تسميتهم بهذا الاسم (معتزلة) :

وقد كان سبب **تسميتهم بهذا** الاسم (المعتزلة) أن رئيسهم **وأستاذهم** الأول (واصل بن عطاء) **كان تلميذاً** " للحسن البصري " **يتلقى العلم** على يديه ، يحضر دروسه **ومجلس علمه** ، **ليتزود** بالعلم والمعرفة **وأمور الدين ولكنه** ترك مجلس أستاذه (الحسن **البصري**) واعتزله إلي سارية أخري **في** مسجد البصرة ، يعلم الناس مذهبه **ورأيه الجديد** في حكم مرتكب الكبيرة ، **وكان** سبب ذلك أن رجلاً دخل على " الحسن **البصري** " في مجلس علمه **بالمسجد** ، **وقال** : يا إمام الدين : لقد ظهرت في **زماننا جماعة** يكفرون أصحاب الكبائر ، **والكبيرة** عندهم كفر يخرج صاحبه بها من **الملة** ، وهم وعيدية الخوارج . **وجماعة** يرجئون أصحاب الكبائر ويؤخرون **الحكم** عليهم ، والكبيرة عندهم **لا تضر** مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم **ليس** ركناً من الإيمان . **ولا يضر مع الإيمان معصية** ، كما **لا ينفع مع الكفر طاعة،وهم** مرجئة الأمة، **فكيف تحكم لنا في ذلك** اعتقاداً ؟

فتفكر " الحسن **البصري** " في ذلك ، وقبل أن يجيب **الحسن البصري** على سؤال السائل قال **"واصل"** : **إن** مرتكب الكبيرة ليس **بمؤمن مطلق** ، وليس بكافر مطلق ، إنه ليس مؤمناً **لارتكابه** الذنب ، وليس لأنه **ينطلق بالشهادتين** وإنما هو في منزلة بين المنزلتين ، **أى** بين الإيمان والكفر ، وكان **هذا الرأي يخالف** رأي الإمام البصري ، الذي **كان يري** أن مرتكب الكبيرة ، مؤمن **عاص أو** (فاسق) فهو مؤمن لاعتقاده أن **الله** عز وجل واحد لا شريك له ، **ولنطقه** بالشهادتين ، وهو عاص فاسق لتعديه **حدود الله** وارتكابه ما نهي **الله عنه من المعاصي** .

فلما رأي الحسن **من واصل** ما حدث . قال : قد **اعتزلنا** " واصل " ، فسمي هو وأتباعه لذلك **بالمعتزلة** .

وقيل : إنهم سموا معتزلة لأنهم قالوا : إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين . فهو ليس مؤمناً ، وليس كافراً ، فهم قد عزلوا مرتكب الكبيرة بهذا الحكم عن الإيمان والكفر ، فمرتكب الكبيرة في نظرهم ليس مؤمناً وليس كافراً ، فسموا لذلك (معتزلة) لأنهم عزلوا مرتكب الكبيرة عن الفريقين .

ويظهر من هذا أن الاسم (معتزلة) أطلق عليهم تحقيراً لهم ، وسخرية بهم ، وأن الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم هم أعداؤهم .

أما المعتزلة فإنهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد والعدل ، وذلك لأنهم بالغوا في إثبات هاتين الصفتين لله – تعالي – وذلك على الرغم أنهما سبب ضلالهم .

قيل : إنهم هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب (معتزلة) ، ويؤيد هذا ما قاله الرازي نقلا عن القاضي عبد الجبار – وهو مفكر معتزلي – وكل ما ورد في القرآن الكريم من لفظ الاعتزال ، فإن المراد به الاعتزال عن الباطل ، فعلم أن اسم الاعتزال مدح (١)

أقول : ولعله أطلق عليهم " المعتزلة " أرادوا تحسين اللفظ الذي أطلق عليهم . وتبرير ذلك أمام الآخرين ، بأن القرآن ذكره في مجال المدح .

وكذلك يطلق بعض العلماء على المعتزلة اسم (القدرية) لأنهم يقولون : إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، ويثبتون قدرة للعبد بها يوجد فعله ، ويريدون ذلك أن يدخلوهم تحت الأثر القائل : القدرية مجوس هذه الأمة وإن كان المعتزلة يذكرون تلك التسمية ، أو يدفعون عن أنفسهم ويقولون : نحن قدرية لأننا نقول : إن ما يحدث في الكون من البلاء والعافية والشدة والرخاء والمرض والشقاء ، والموت والحياة ، وغير ذلك ، فهو من الله تعالي وخلقه

١ – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي ص ٣٩ .

وهو الموجد له ، أما الخير فهما صادران من العبد ، ومنسوبان إليه ، وناشئان عن قدرته وإرادته ، وذلك حتي يمكن مساءلة العبد ، وإثباته او تعاقبته على أفعاله .

وكما نسبت المعتزلة إلي " القدرية " تارة ، فقد نسبت مرة أخري إلي " الجهمية " وذلك لنفيهم الصفات عن الله تعالي ، ومشابهتهم " جهم بن صفوان " في ذلك .

هذا والمعتزلة فرق متعددة ، وجماعات مختلفة عدها بعض المؤرخين وأوصلها إلي عشرين فرقة . وهذه الفرق وإن اختلفت في بعض المسائل ، فإنها تتفق في أمور لابد لهم من القول بها ، أنهم جميعاً يتفقون على القول بأمور يسمونها " الأصول الخمسة " التى من لم يقل بها أو بواحد منها لا يسمي معتزلياً . وسنبين هذه الأصول الخمسة ونوضحها فيما يأتي إن شاء الله .

الأصول الخمسة المتفق عليها بين المعتزلة هي :

١ – التوحيد .　　　　　　　　　　٢ – العدل .

٣ – القول بالمنزلة بين المنزلتين .　　　　٤ – وجوب الوعد والوعيد .

٥ – وجوب العلم والنظر ، وفرعوا عليه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإليكم بيانها بالتفصيل :

المبدأ الأول : التوحيد :

هذا هو الأصل الأول من أصولهم ، والذي اشتهروا به بين الفرق الإسلامية مع أن المسلمين جميعاً يقولون بوحدانية الله تعالي .

ولكن المعتزلة يقولون : إن الله واحد في ذاته ، بمعني أنه غير مركب من أجزاء ، وأنه لا شريك له في ذاته ، بمعني أنه غير متعدد ، وهو واحد في أفعاله فلا شريك له فيها .

ومن هنا ذهبوا إلي أن الله تعالي لا يتصف بصفات زائدة عليه من العلم والقدرة والإرادة وغيرها ، ويرون أن الله تعالي عالم بذاته لا بعلم ن وقادر بذاته لا بقدرة ، ومريد بذاته لا بإرادة،ومتكلم بمعني أنه خالق الكلام في غيره .

وذلك لأنهم يرون أن الله عز وجل قديم ، ولا قديم سواه ، وأن القدم أخص صفات الذات الإلهية ، فلا يشاركه فيه أحد من خلقه .

ولذلك نفوا الصفات القديمة ، وزيادتها على الذات الإلهية ، خوفاً من تعدد القدماء ، وتعدد القدماء كفر ، ولأن الصفات لو شاركت الله تعالى في القدم لشاركته في الإلهية والمشاركة في الألوهية تتنافي مع الوحدانية ، والله عز وجل واحد باتفاق المسلمين .

أقول : وهذا عين الخبل عندهم ، لأنه إذا قيل بقدم الصفات كقدم الذات ، فهل هذا معناه أن العلم إله ، والقدرة إله ، والإرادة إله ؟ !! هذا هو التوحيد عند المعتزلة ؟ ! سبحان الله كيف وقد أثبت الله تعالي هذه الصفات لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ . وقد علم أنها تتعارض مع التوحيد في شيء ، بل هي التوحيد ذاته .

وبناء على فهمهم لمعني التوحيد – بطريقتهم خاطئة – قالوا بنفي رؤية الله تعالي بالأبصار في الآخرة ، لأن ذلك يؤدي في نظرهم إلي التجسيم ، والجسمية تؤدي إلي التركيب ، وكلاهما منفي عن الله تعالي ، والله عز وجل منزه عنه . لأنه يؤدي إلي التشبيه ، والله عز وجل منزه عن المشابهة بخلقه من كل وجه ، فهو ليس في جهة ن وليس في مكان . وليس صورة ن ولا جسماً . ولا متميزا ، ولا يتغير (١) .

ولذلك أوجبوا تأويل الآيات الواردة فيها . وسموا هذا النمط توحيداً ولم يعلموا أن زيادة الصفات على الذات لا يلزم منه تعدد القديم بالذات ، لأن الصفات لا تقوم بنفسها ، وإنما تقوم بغيرها ، فهي محتاجة إلي الذات الإلهية للقيام بها . كما أن ثبوت المشتق (عالم وقادر ومريد) وغيرها . وقد ورد ذكره في القرآن الكريم وصفاً لله تعالي ، وثبوت المشتق يؤدي إلي ثبوت ما منه الاشتقاق ، وهو العلم والقدرة والإرادة ، وهي الصفات .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٩ بتصرف .

كما أن رؤية الله تعالي بالأبصار في الآخرة جائزة عقلاً ، وواقعة فعلاً كما رد ذلك في القرآن،قال تعالي:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (١) ، ولا يلزم من ذلك التحيز والجسمية ، إذ أنه رؤية تليق بذات الله تعالي .

وأما ما احتجوا به من قوله تعالي : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) ، قال أبو محمد بن حزم ، وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن الله تعالي إنما نفي الإدراك ، والإدراك عندنا في اللغة معني زائد على النظر والرؤية ، فالإدراك منتف عن الله تعالي على كل حال في الدنيا والآخرة . لأن في الإدراك معني من الإحاطة ، وليس ذلك في الرؤية ، فالإدراك غير الرؤية ، والحجة لقولنا هو قول الله عز وجل ::﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

وفي ردنا على المعتزلة نقول :

هذا والتوحيد عند المعتزلة ليس توحيداً ، لقد شذ المعتزلة ، وشقوا عصا الجماعة وفارقوا الأمة في زعمهم أن تنزيه الله سبحانه وتعالي عن الشريك لا يمكن أن يتحقق غلا بنفي صفات البارئ جل وعلا ، وتعطيل كمالاته ، وجحد أسمائه الحسني .

ولذا كان التوحيد عندهم يعني نفي الصفات عن الذات ، وتجريدها وتعطيلها عن الأسماء ، والأصل التي اتفقت عليه الأمة أن الله تعالي وصف ذاته بصفات ، وأن هذه الصفات ليست عين الذات ، وغنما هي معان قائمة بذاته - سبحانه وتعالي - وثبوت هذه الصفات لله - سبحانه - ثابت بالصريح من الكتاب والصحيح من السنة ، كما أجمعت عليه الأمة في صدرها الأول ، يقول

١ - سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ .
٢ - سورة الأنعام آية ١٠٣ .

الله تعالى : واصفاً ذاته بالإرادة : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (١) ويقول عز وجل : ﴿ فعّال لما يريد ﴾ (٢) .

كما وصف الله سبحانه ذاته بالعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحياة . قال سبحانه : ﴿ يبيّن الله لكم أن تضلّوا والله بكلّ شيء عليم ﴾ (٣) . ويقول عز وجل : ﴿ والله على كلّ شيء قدير ﴾ (٤) ، وقال سبحانه وتعالي : ﴿ ليس كمثله شيءٌ وهو السّميعُ البصيرُ ﴾ (٥) .

وقد اتفقت الأمة – عدا المعتزلة ومن سار معهم – على ان هذه الصفات التي وصف الحق – تبارك وتعالي – ذاته بها ، ليست عين الذات ، وغنما هي معان قائمة بذاته تعالي،كما قال تعالي: ﴿ اللهُ لا إله إلاّ هو الحيُّ القيّومُ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ لّهُ ما في السّماوات وما في الأرض من ذا الّذي يشفع عنده إلاّ بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء مّن علمه إلاّ بما شاء وسع كرسيّه السّماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العليُّ العظيم ﴾ (٦) . فقد أضاف الله – سبحانه – العلم إلي ذاته ، والمضاف غير المضاف إليه ، أو ليس عينه .

وصفات الله – تعالي – قديمة ، ولا يمكن أن تكون حادثة،وذلك لأمرين :

الأول : أن صفاته – تعالي – صفات كمال ، وتجريده – سبحانه – عنها في وقت يعني تجريده – تعالي – عن صفات الكمال ، وتعرية الذات عن صفات

---

١ - سورة يس آية ٨٢ .
٢ - سورة البروج آية ١٦ .
٣ - سورة النساء آية ١٧٦ .
٤ - سورة البقرة آية ٢٨٤ .
٥ - سورة الشوري آية ١١ .
٦ - سورة البقرة آية ٢٥٥ .

كمال يثبت لها النقص ، والله – سبحانه – منزه عن النقص ، فإذا قلنا إن صفة قدرة حادثة ، فهذا يعني أن الله – جل عن ذلك – لم يكن قادراً ثم صار قادراً ، وفي هذا اثبات العجز لله – جل الله عن ذلك – قبل أن يصير قادراً ، وذلك نقص ، والنقص محال بالنسبة لله – عز وجل – ومثل ذلك يقال في الصفات كلها .

الثاني : أن القول بحدوث الصفات يجعل الذات الإلهية محلاً للتغير ، وطروء حال بعد حال ، وذلك يؤدي إلي وصف الله – سبحانه – بالنقض ، وهو محال ، وذلك لأن الله – تعالي – إن طرأ عليه حال أو صفة لم تكن ، فإما أن تكون الصفة الطارئة صفة كمال أو صفة نقص ، فإن كانت صفة كمال ، فهذا يعني أن الله – سبحانه – قبل طروء الصفة كان ناقصاً – جل الله عن ذلك – لأن صفة الكمال هذه لم تكن ضمن صفاته،والنقص محال على الله – تعالي – .

وإن كانت الصفة الطارئة صفة نقص ، استحال اتصاف الله تعالي بها ، لأن الله سبحانه لا يتصف بالنقص ، يتضح من هذا أن الله – سبحانه – موصوف بصفات ، وأن صفاته – عز وجل – ليست عين الذات . وغنما هي معان قائمة به،كما يتضح – أيضاً – أن صفاته – تعالي – قديمة،وليست حادثة .

لكن المعتزلة جردوا الذات الإلهية عن الصفات . وعطلوا عن أوصاف الكمال ، وذهبوا إلي أن الله – تعالي – عليم بذاته لا بعلم ، مريد بذاته لا بإرادة ، قدير بذاته وليس بقدرة ، وهكذا في كل الصفات .

وقد أشتهر عنهم في هذه المسألة مذهبان أو مقالتان :

الأولي : قالوا إن الله سبحانه عليم بعلم ، وعلمه ذاته ، وقدير بقدرة قدرته ذاته ... وهكذا .

الثانية : يقولون : إن الله تعالي عليم بذاته ، سميع بذاته ، قدير بذاته ، يس بعلم ولا سمع ولا قدرة .

وهذان المذهبان أو هاتان المقالتان على الرغم من محاولة التفرقة بينهما نهما لدينا بمعني واحد ، أو مآل الأمر فيهما شيء واحد ، ولا يوجد بينهما ير فرق ، فإن الذي يقول عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، مثل الذي يقول : عالم ته ، وأي فرق بين الذي يثبت صفة هي والذات شيء واحد — وبين الذي ت الذات فقط ؟ ! المآل واحد ، وهو الإقرار بوجود ذات لا صفة لها . أو جردة ومعطلة عن صفات الكمال ، وإذا كان ثمة فرق فهو الوضوح والخفاء ، ن الذي يقول : عالم بذاته ، أكثر وضوحا ودلالة على مذهب القوم الذي يقوم ى نفي الصفات ، ومن الذي يقول : عالم بعلم وعلمه ذاته !!

وغنما دفع المعتزلة إلي اعتناق هذا المذهب الغريب ، والبعيد عن الشرع تابا وسنة ، ما توهموه من أن إثبات الصفات القديمة لله — تعالي — فيه تعدد قدماء ، فإن الصفات الكثيرة وهي قديمة ، قالوا : إن ذلك يؤدي إلي إثبات دماء كثيرين ، ولما كان القدم أخص صفات الألوهية ، فكان القول بالصفات قديمة ، وإثباتها فيه شرك بالله — سبحانه وتعلي !!

ومن هنا فقد اتهم المعتزلة غيرهم من الفرق التى تثبت الصفات ، بالأخص أهل السنة ، اتهموهم بأنهم جعلوا لله شركاء في القدم ، وأن القول هذا يشبه ما ذهب إليه المشركون .

وقال المعتزلة : إننا حكمنا بكفر النصاري بسبب أنهم أثبتوا ثلاثة قدماء ، انتم — يقصدون أهل السنة — أثبتم أضعاف ذلك العدد من القدماء حين أثبتم الله - تعالي — الصفات القديمة !!!

فالمعتزلة نفوا الصفات ، وعطلوا الله — تعالي — عن صفات كماله واجبة له ، بسبب ما توهموا من أن إثبات الصفات القديمة يؤدي إلي تعدد

القدماء ، وبالتالي إلى تعدد الآلهة ، فيكون في ذلك شرك يزيد على شرك النصارى الذين حكمنا بكفرهم لقولهم بثلاثة قدماء. !!!

وللسبب نفسه ذهب المعتزلة إلى القول بأن القرآن كلام الله مخلوق حادث ، وليس قديماً ، فإنه لو كان قديماً لتعدد القدماء ، ولشارك الرب في صفة القدم ، فيكون القدماء أكثر من واحد ، وذلك يؤدي – كما يزعمون – إلى الشرك. !!!

هذا مذهب المعتزلة ، وهذا ما يقصدون من معنى وراء كلمة "التوحيد" الذي هو المبدأ الأول ، أو الأصل الأول من أصولهم الخمسة.

وواضح أن القوم قد أخطأوا خطأ بيناً فيما ذهبوا إليه ، ولا يعفيهم من تبعة هذا الخطأ حسن نواياهم ، وتحريهم تنزيه الله – تعالى – عن الشرك ، وبالأخص في صفة "القدم" والخطأ الذي وقع فيه القوم بين وواضح ، فهم قد خلطوا بين الذوات والصفات ، أو بين الذات والمعنى ، فالصفات معان قائمة بالذات ، وليست ذواتاً ، فالقول بقدم الصفات لا يترتب عليه أبداً تعدد في ذوات القدماء ، ولا يترتب على تعدد الصفات القديمة شرك بالله – سبحانه وتعالى –.

ذلكم أن إثبات الصفات القديمة هو إثبات لمعان قائمة بالذات القديمة الواحدة ، هو إثبات لمعان كمالية قائمة بالله الواحد الذي لا تثبت الألوهية إلا له ، لا إله إلا هو رب العالمين. وتعدد الصفات التي هي معان لا يعني تعدداً في ذوات قديمة ، وإنما هو إله واحد – سبحانه – له صفات قائمة به – تعالى – وليست قائمة بنفسها ، فإن المعاني لا تستقل بنفسها ، ولا تستغني عمن تقوم به ، وتستند في تحقق وجودها عليه.

ومن البديهي أن الشرك – عياذاً بالله – لا يكون بالقول بتعدد معان قديمة ، أو صفات قديمة ، وإنما يكون بالقول بذوات قديمة ، والنصارى كفروا ، ليس لأنهم وصفوا الله الواحد بصفات قديمة ، ولكن لأنهم أثبتوا ثلاثة آلهة هم –

.. يزعمون – ذوات قائمة بنفسها ، كل واحد من الثلاثة – في زعمهم – ذات قائمة بنفسها ، متصفة بصفات الكمال والجلال.

القول بالصفات القديمة – إذن – لا يؤدي إلى القول بآلهة كثيرة ، ولا بتعدد في المعبود – سبحانه – وإلا ، فمن ذا الذي يتخذ لنفسه معبوداً هو عبارة عن صفة ، أو معنى قائم بغيره ؟ !!

ثم إن كل موجود لا يخلوا – ضرورة – من صفات تلحقه ، ولا يوجد موجود بلا صفة ، وكل موجود بصفاته يعده الناس واحداً ، ولا يجعلون منه كثرة بعدد ما له من صفات.[1]

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص١١٤ : ١٢٠ بتصرف.

رأي المعتزلة أن الاعتقاد بقدم القرآن إلي جانب قدم الله شرك ، فقد مر بنا أنهم لا يقولون بصفات الله ، فإذا كان الكلام صفة قديمة لله كان القرآن – باعتباره كلاماً إلهياً – قديماً ، وهو ينكرون القدم إلا على الذات الإلهية وحدها .

المهم أن بطل فتنة خلق القرآن كان الخليفة المأمون الذي تأثر بالمعتزلة وقربهم ، لأنه كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاف أحد رؤسائهم ، وتبني المأمون هذه القضية ، يدفعه إليها دفعاً رجال المعتزلة وفي مقدمتهم كبير قضاته أحمد بن أبي دؤاد .

ومن العجيب أن يكون الولد على نقيض أبية ، فقد كان الرشيد ينكر على من يقول بذلك ، ولما نادي بشر المريسي بذلك في عهد الرشيد ، وهدده بالقتل ، الأمر الذي اضطر بشراً للاختفاء عشرين سنة .

وكان المريسي تلميذاً لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة ، وقد غضب عليه شيخه لمقالته وطرده من مجلسه ، ونادي المعتزلة أن الكلام مخلوق لله تعالي ، وأن القرآن كلام الله فهو بالتالي مخلوق ، وتبني المأمون الفكرة ، وأصدر منشوراً صور فيه انزعاجه لما أصاب الدين وما حل بالإسلام من ضر .

" فتبين عظيم خطره وجليل ما يرجع في الدين وكفر وضرر ما ينال المسلمين بينهم من القول في القرآن ، وبخاصة اشتباهه على كثير منهم حتى حسن عندهم وتزين ألا يكون مخلوقاً فيتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عما خلقه وتفرد بجلالته من اتباع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاها ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه ، وحدثاً هو المحدث له ، وإن كان القرآن ناطقاً به ودالاً عليه وقاطعاً للاختلاف فيه .. وليس يري أمير المؤمنين لمن قال هذه المقالة حظاً في

الدين ولا نصيباً من الإيمان واليقين . وبدأ المأمون بقضاته وعماله وجعل يطلب إليهم الإيمان بخلق القرآن ، ومن لا يؤمن بذلك يعزل فوراً ، إذ أنه يصبح غير موثوق بدينه " حتى لا تنفذ أحكام الله تعالي إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص في التوحيد "

كان المأمون في الرقة حينما أرسل إلي نائبه في بغداد " إسحق بن إبراهيم " أن يجمع القضاة والفقهاء والمحدثين والمفتين ، وينذرهم بالعقوبة إن لم يستجيبوا للقول بخلق القرآن ، فعمد بعضهم إلي المكر والحيلة والمراوغة في القول هرباً مما ينتظرهم من الأذى ، وكان ممن وقع عليهم الأذى حتى استشهد في قيده الفقيه " محمد بن نوح " ، وقد وقع على الإمام " أحمد بن حنبل " من جزاء تلك الفتنة أذى شديد ، إذ سيق في القيود الحديد لكي يقابل المأمون في طرسوس ، ولكن المأمون مات قبل أن يصل الفقيه العظيم إليه ، وظن المسلمون أن الفتنة قد ماتت بموت المأمون ، غير أنه كان قد أوصي أخاه وخليفته المعتصم بالسير في طريق الفتنة فمزق جسم الإمام بالسياط .

وظل الأمر كذلك في عهد المعتصم ثم في عهد ابنه الواثق الذي قتل بعض معارضي فكرة خلق القرآن ، وصلبهم ، وظل الأمر على هذا الاضطهاد الذي وقع على فقهاء المسلمين حتى جاء المتوكل ، ففك قيود الفقهاء وانتصر لهم ضد المعتزلة ، فقويت بمساندته شوكة أهل السنة .

وهكذا انتهت هذه المحنة التي كانت – ولا شك – ضرباً من الهوس المذهبي الذي لا يستحق كل هذا الغلو ، والذي لا يقدم ولا يؤخر في صلب عقيدة الإسلام ([1])

---

١ – إسلام بلا مذهب ، د / مصطفي الشكعة ص (٣٩٨ ، ٣٩٩) .

المبدأ الثاني : العدل

وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، والله عز وجل عادل فلا يصدر منه إلا ما فيه خير ومصلحة للعباد، ومن هنا كان لا يصح أن يضاف الظلم والشر إلى الله تعالى خلقاً، فلا يخلق الظلم ولا يوجده، ولا يضاف إليه فعل هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما أنه لو خلق العدل كان عادلاً.

وفرعوا على هذا القول أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، خيرها وشرها حتى يستحق العبد عليها الثواب أو العقاب في الآخرة. وسموا هذا النمط عدلاً. وسموا أنفسهم بناء على ذلك "أهل العدل والتوحيد" لأنهم يقولون بهذين المبدأين.

وقد نسوا أن الله تعالى خالق كل شيء كما قال جل شأنه ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(١) وأنه خالق لأفعال العباد كما قال جل شأنه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢)

وإنما العبد يكتسب الفعل بقدرة أوجدها الله فيه. والعدل في رأي أهل السنة هو وضع الشيء في موضعه والتصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، وأن الظلم ضده، ولا يتصور من الله تعالى جور في الحكم، ولا ظلم فيه.(٣)

---

١ - سورة الزمر آية ٦٢

٢ - سورة الصافات آية ٩٦

٣ - محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله جاد حجازي ص ٣١ ، ٣٢

"فالله إذا فعل شيئاً فعله عدل.. وإذا ترك شيئاً فتركه عدل ، والناس ملك من ملك الله تعالى ، فيما يجري عليهم من تدبير الله – سبحانه – وتصريفه حق وعدل.

ولأن تدبير الله – تعالى – شئون الناس حق وعدل ، وجب على الإنسان أن يرضى بقضاء الله فيه ، وقدره الذي يجري عليه ، ولا يجوز للإنسان أن يعترض أو يتبرم من قضاء قضاه الله أو قدر قدره ، لأنه – في هذه الحال – إنما يعترض ويتبرم من عدل العادل ، وتصرف المالك في ملكه ، وهذا أمر قبيح لا يصدر من عاقل ، فضلاً عن الإنسان المؤمن.

هذا معنى "العدل" عند أهل السنة ، وهو عقيدة السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين.

ويترتب على هذا المعنى أنه لا يجب على الله – سبحانه – شيء .. ولا يقبح من أفعاله شيء – جل الله عن ذلك ، فكل فعله – سبحانه – حق وعدل ومحمود.

أما المعتزلة فقد جروا في معنى "العدل" على مقتضى نزعة عقلية عجيبة تقيس الغائب على الشاهد ، وتخضع الحق – سبحانه – لمقاييس البشر ، ومن ثم فقد أوجبوا على الله – تعالى – أمور ألزموه بها ، ومنعوا عنه أموراً – تعالى الله عما يقولون –.

فقالوا : يجب على الله أن يفعل كذا ، ويمتنع عليه أن يفعل كذا ، ومع كون هذا المنهج خطأ فإن فيه بالغ الإساءة بجانب الله – فسبحان الله رب العرش عما يصفون.[1]

قال ابن حزم يوضح منهجهم ذاك : " .. وقد علم المسلمون أن الله – تعالى – عدل لا يجور ولا يظلم ، ومن وصفه – عز وجل – بالظلم والجور

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢ بتصرف.

فهو كافر ، ولكن ليس على ما ظنه الجهال – يقصد المعتزلة – من أن عقولهم حاكمة على الله – تعالى – في أن لا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم ، وأنه يقبح منه ما قبحت عقولهم ، وهذا تشبيه مجرد لله – تعالى – بخلقه ، إذ حكموا عليه بأنه – تعالى – يحسن منه ما حسن منا ، ويقبح منه ما قبح منا ، ويحكم عليه بالعقل بما يحكم علينا"[1]

ومبدأ العدل عند المعتزلة ينضوي تحته عدد من أهم قضايا الاعتزال ، نبينها فيما يلي:–

١– الفصل في الملل والأهواء والنحل ص٣ ، ص٩٨ بتصرف.

أولاً : أفعال العباد :

فالمعتزلة لهم موقف خاص بالنسبة لأفعال العباد ، فهم يرون أن العبد هو فاعل فعله ، وهو خالق عمله ، مستقلاً عن إرادة الله – تعالى – وقدرته ، وليس لله – تعالى – صلة بأفعال العباد من قريب أو بعيد ، وليس له فيها تأثير في قليل أو كثير. !!!

ولما ذهب المعتزلة إلى القول بأن العبد هو مريد فعله ، وليس الله – تعالى – ، وأن العبد هو خالق فعله وليس الله ، شعروا بأن كلامهم هذا قد يوهم أنهم ينسبون العجز إلى الله – تعالى – فكأنهم أرادوا أن يبعدوا عن أنفسهم هذا الوهم أو هذا الاتهام ، فنصوا على أن العبد إنما يخلق أفعاله بالقوة التي أودعها الله فيه ، ولولا تلك القوة التي أودعها الله – تعالى – في العبد ما استطاع أن يفعل أو يخلق شيئاً من أفعاله.

هذا مذهب المعتزلة في أفعال العباد ، وهو يلتقي مع قول القدرية الذين قالوا : "لا قدر والأمر أنف" أي أن الله – تعالى عما يقولون – لم يعلم الأشياء أزلاً ، وبالتالي لم يقدرها ، وأن علم الله – تعالى – بالأشياء والأحداث مستأنف ، لا يعلمها إلا بعد وقوعها ، شأنه في ذلك شأن المخلوقين – جل الله عن ذلك – هذه مقالة القدرية.

وأما ما تظاهرت عليه النصوص ، واجتمع عليه سلف الأمة إنما هو أن العبد يفعل أفعاله جميعها في إطار من مشيئة الله – سبحانه – وأن مشيئات العباد مرتبطة بمشيئة الله تعالى ، يقول الله سبحانه ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [1] فالعبد لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا إذا أراد الله له أن يفعله ، ولو أراد الله تعالى أن يمنعه لمنعه ، فكل أفعال العباد مرادة لله – تعالى – ولو أراد منعها أو أراد غيرها لكان ما أراد. والقاعدة عند أهل السنة

١- سورة الإنسان آية ٣٠

"أن الوجود كله ملك لله – سبحانه – وأنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد الله ، ومحال أن يقع في ملك الله – تعالى – ما لا يريد".

وعقيدتنا تقوم على أن الله تعالى قد علم أزلاً ما يقع من العباد ، وقد علم الصالح ، وعلم الفاسد ، والمؤمن والكافر ، فالله – سبحانه – علم كل شيء قبل أن يخلق أي شيء ، يقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (1)

فهو – سبحانه – علم المعصية تقع من العاصي ، والكفر يكون من الكافر ، ولو شاء الله – تعالى – أن يمنع ذلك لمنعه ، ولكن الله – سبحانه – لم يمنع كافراً من كفره ، ولا عاصياً من معصيته ، وترك كلا يفعل ما يختار لنفسه ، وشاء لكل أن يكون حراً فيما يختار ، حتى تصح قضية الجزاء على الأعمال ، ولو منع الله – تعالى – الكافر من كفره ، وحجز العاصي عن المعصية ، لتحول الناس جميعاً إلى فريق واحد هو فريق الجنة ، ولم يكن هناك للسعير فريق ، ولكان الناس أمة واحدة ، ولبطلت قضية الجزاء ، والجنة والنار ، ولكن الله – تعالى – لم يشأ ذلك مع قدرته عليه.(2)

١- سورة الحديد آية ٢٢

٢- تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢٢ : ١٢٥ بتصرف.

ثانياً : الصلاح والأصلح :

من القضايا التي تقع تحت الأصل الثاني من أصول المعتزلة وهو "العدل" قضية "الصلاح والأصلح" والمراد بالصلاح هو ما قابل الفساد كالإيمان في مقابلة الكفر ، والغنى في مقابلة الفقر ، وأما المراد بالأصلح فهو ما قابل الصلاح كالغنى الكثير في مقابلة الغنى القليل ، وكأعلى الجنة في مقابل أدناها.

وهل المراد بالصلاح والأصلح ما يعم الدين والدنيا ، أو ما يخص الدين فقط ؟ خلاف بين معتزلة بغداد ، ومعتزلة البصرة ، قال المعتزلة في بغداد المراد بالصلاح والأصلح ما يعم الدنيا والدين ، وذهب معتزلة البصرة أن المراد الصلاح والأصلح في الدين فقط.

وهل المراد الصلاح والأصلح بالنسبة إلى الفرد أو الشخص فقط ، أو المراد الصلاح والأصلح بالنسبة إلى المجموع ؟ اتفق المعتزلة على أن المراد بالصلاح والأصلح ما يخص الشخص في نفسه فقط ، وليس ما يعم الكل أو المجتمع.

والمعتزلة يقولون : إذا كان هناك بالنسبة إلى شخص ما أمران : أحدهما صلاح والآخر فساد ، وجب على الله – تعالى – أن يفعل الصلاح وأن يترك الفساد.

وإذا كان هناك بالنسبة لشخص ما أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح ، وجب على الله – تعالى – أن يفعل الأصلح ويترك الصلاح.

وقد استدل المعتزلة على صحة مذهبهم بقولهم : إن فعل الصلاح والأصلح يحتوي على حكمة وكرم ولطف ، والحكيم الكريم اللطيف يستحق الثناء والمدح ، لأن هذه صفات كمال. وهذا ما يليق بجلال الله سبحانه. وأما ترك الصلاح والأصلح ففيه سفه وبخل وقسوة ، وهذه صفات نقص ويستحق

صاحبها الذم ، والله منزه عن ذلك. وإذن فقد وجب على الله تعالى فعل الصلاح وترك الفساد ، أو فعل الأصلح وترك الصلاح.

هذه عقدية المعتزلة ، انطلاقاً من مبدأهم في القول بأنه يجب على الله أمور ويمتنع عليه أمور ، وهو – كما ذكرنا – مبدأ غريب على الإسلام والفكر الإسلامي.

وقد بينا أن الله – سبحانه – لا يجب عليه شيء – تعالى الله عما يصفون – فإن الله – تعالى – له الإرادة الكاملة والمشيئة المطلقة ، والقول بالوجوب نقض لهذا لأن القول بالوجوب يتنافى مع الإرادة الكاملة والمشيئة المطلقة فإن الإيجاب قيد على الإرادة وحد من كمالها ، ومن ذا الذي يملك أن يحد من إرادة الله –سبحانه – أو يقيد مشيئته ، وهو سبحانه يقول : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1] ويقول عز وجل : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [2]

كما أن الله – تعالى – لا يستحق الثناء ، لأنه يفعل الصلاح والأصلح ، ولا يستحق عكس ذلك – عياذاً بالله – لأنه لا يفعل الصلاح والأصلح ، ولكن الله – سبحانه – مستحق للثناء لذاته ، وهو – سبحانه – لا يستمد الكمال من أفعال يفعلها ، ولكنه تعالى له الكمال المطلق . فكماله تعالى لذاته وليس لأفعاله.

كما أن لله تعالى أفعالاً ، لها حكمة ، لا تستقيم مع قاعدة الصلاح والأصلح التي يقول بها المعتزلة ، وإلا فأين الصلاح والأصلح في خلق إبليس ، وتسليطه على آدم وبينيه ، وإبقائه الزمن الطويل أو إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم ، وتمكينه من إضلال العباد – عدا عن المخلصين ؟!

١- سورة القصص آية ٦٨

٢- سورة البروج آية ١٦

وقد جرت مناظرة بين شيخ المعتزلة في عصره "الجبائي" و "أبي الحسن الأشعري" حول الصلاح والأصلح وهل يجب على الله أو لا يجب ، فقال الأشعري للجبائي : حدثني عن ثلاثة نفر ، طفل أماته الله – تعالى – صغيراً ، لو سأل ربه يوم القيامة قائلاً : لم أمتني صغيراً ولم تتركني حتى أكبر فأومن بك وأعبدك ؟ ماذا يقول له الرب ؟ فقال الجبائي : يقول له الرب قد علمت أنك إن كبرت فستكون كافراً عاصياً ، فوجدت الصلاح لك أن أميتك صغيراً قبل أن تبلغ وتكلف فيكون جزاؤك جزاء الكافرين.

فقال الأشعري : فحدثنا عن رجل كبير مؤمن ، لو سأل ربه قائلاً : لمَ لمْ تمتني صغيراً ، وتركتني حتى أكبر وأعاني مشاق الحياة ؟ فماذا يقول له الرب ؟ قال الجبائي : يقول له الرب إني علمت أنك حين تكبر سوف تكون من المؤمنين ، وهذا أصلح لك.

فقال الأشعري : فحدثنا عن رجل أماته الله كبيراً كافراً ، لو سأل ربه قائلاً : لقد علمت يا ربي أنني لو كبرت فسأكون كافراً ، فلماذا لم تمتني صغيراً قبل أن أكبر وأكلف وأكفر ؟ فماذا يقول له الرب ؟ قالوا : فانقطع الجبائي ولم يحر جواباً.

وقبل أن نترك الكلام على الصلاح والأصلح نلفت النظر إلى أن هناك فرقاً بين الحكمة من أفعال الله – تعالى – وبين الصلاح والأصلح لدى المعتزلة ، فإن الأمة مجمعة على أن وراء كل فعل من أفعال الرب – سبحانه – حكمة ، ولا يخلوا فعل من أفعاله – سبحانه – من حكمة.

وقد نفى – سبحانه – عن فعله اللهو واللعب ، وبين أن كل أفعاله لحكم يعلمها هو – سبحانه وتعالى – يقول عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فالحكمة ثابتة في كل أفعاله – سبحانه – وهو العليم الحكيم ، والحكيم الخبير. وأما الصلاح والأصلح الذي يقول به المعتزلة فشيء آخر.(٢)

١- سورة الدخان آية ٣٨ ، ٣٩

٢- تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢٧ : ١٣٠

ثالثاً : إرسال الرسل :

يري المعتزلة أن إرسال الله – تعالي – رسله إلي الناس واجب عليه – سبحانه – ويقولون : يجب على الله إرسال الرسل ، ويسوق المعتزلة أدلة على صحة عقيدتهم هذه ملخصها :

١ – أنه قد ثبت أن الله يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده ، وليس هناك أصلح من إرسال الرسل والأنبياء إلي العباد .

٢ – أن القرآن المجيد قد صرح بوجوب اللطف على الله – سبحانه – بالعباد ، بقول تعالي : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١) وأعلي درجات اللطف هو إرسال الرسل لرعاية مصالح الناس في المعاش والمعاد .

٣ – أن الهدف من إيجاد الخلق عبادة الخالق – سبحانه – كما قال تعالي : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إرسال الرسل إلي الخلق ليعرفوهم أوامر الله – تعالي – ونواهيه ، وإلا كانت العبادة تكليفاً بما ليس في وسع الإنسان ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

هذه مجمل أدلتهم التي يثبتون بها وجوب إرسال الرسل على الله – سبحانه وتعالي عما يصفون – وهي أدلة متهافتة ، وكما ذكرنا سابقاً ، فإن الله – سبحانه – لا يجب عليه شيء ، فهو المتفضل المنعم ، وكل ما في الوجود انما هو تفضل ولطف منه – تعالي – والوجوب يعني الإلزام ، وفيه معني الجبر والقهر والقسر ، والله – تعالي – منزه عن ذلك .

كما أن الوجوب ينفي المشيئة والإرادة الكاملتين المطلقتين ، ويجعل مشيئة الله وإرادته محدودتين بحدود ما يجب عليه ، وكل ذلك باطل ، ونستغفر الله تعالي منه . (٣)

---

١ - سورة الشورى : آية (١٩) .

٢ - سورة الذاريات : آية (٥٦) .

٣ - تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣٠ ، ١٣١) .

رابعاً : اللطف :

من عقائد المعتزلة التي تندرج تحت " العدل " قضية " اللطف بالعباد " . فهم يقولون : يجب على الله تعالي فعل اللطف بالعباد .

والمراد باللطف كما عرفه العلامة " الحلي " : " وهو ما يكون معه أقرب إلي فعل الطاعة ، وأبعد عن فعل المعصية ، ولم يكن حظ في التمكين ، ولم يبلغ حد الإلجاء " .

قال : واحترزنا بقولنا : " ولم يكن له حظ التمكين " عن الآلة فإن لها حظاً في التمكين وليست لطفاً ، واحترزنا بقولنا : " ولم يبلغ حد الإلجاء " لأن الإلجاء ينافي التكليف واللطف لا ينافيه ، فاللطف هو الفعل الذي علم الرب – سبحانه – أن العبد يعطيه عنده ، أو هو الفعل الذي إذا أوجده الله – تعالي – للعبد – فإن العبد يكون في أوفق حالاته مع الرب سبحانه .

فالمعتزلة يقولون : إنه يجب على الله – سبحانه وتعالي – أن يفعل أقصي ما في مقدوره من لطف للعباد كي يعينهم على الطاعة ، ولذلك يقول المعتزلة : " إنه ليس في مقدور الله – تعالي – لطف لو فعله بالكفرة لآمنوا " وهم يعنون بذلك أن الله – تعالي – فعل كل ما يستطيع من لطف للكفار ولكنهم ظلوا على كفرهم ، ولو كان في مقدوره ما يجعلهم يؤمنون لفعل – سبحان الله تعالي عما يصفون .

ويذهب المعتزلة إلي أن اللطف لا يختص بفعل معين ، بل يختلف باختلاف الناس ، فرب فعل هو لطف بعبد وليس لطفاً بعبد آخر ، فاللطف يختلف من إنسان لآخر .

أما اللطف عند أهل السنة فهو تفضل من الله – سبحانه وتعالي – ورحمة بعبادة ، يفعله الله تعالي بعبادة تفضلاً ورحمة ، وليس وجوباً أو إلزاماً – عياذاً بالله – فليس يجب عليه – سبحانه – شيء – تعالي الله عما يقولون علواً كبيراً (١)

١ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣١ ، ١٣٢) .

خامساً : الأعواض :

"من المبادئ الخاصة بالمعتزلة ، والتي تندرج تحت أصلهم الثاني العدل" مبدأ "الأعواض" ويقصدون بهذا المبدأ : أنه يجب على الله – تعالي – أن يعوض العباد إذا أنزل بهم مصيبة ، أو فوت عليهم منفعة ، أو أوقع بهم ألما أو حزناً ، يقولون : يجب على الله – تعالي الله عما يقولون – أن يعوضهم عن هذه المصائب التي أنزلها بهم أو الآلام التي حدثت لهم" .

وأنواع الأعواض عندهم ثلاثة :

١ – أعواض عن الآلام الجسدية ، كالمرض ونحوه ، فإذا أنزل الله المرض بالعبد وجب على الله – تعالي – أن يعوضه عما أنزله به ، وإلا لزم عن ذلك أن يكون الله – جل عن ذلك – ظالماً .

٢ – أعواض عن تفويت المنافع ، ليس عن آلام جسدية ، ولكن عن تفويت المنافع ، وتفويت المنفعة هو من جهة أخري جلب للضرر ، قالوا : فلو أمات الله – تعالي – ابناً لزيد ، وكان في معلومه – تعالي – أن هذا الابن لو عاش لانتفع به زيد ، فإن زيداً يستحق على الله – تعالي – العوض عن تفويت المنفعة على زيد بإماتة ابنه ، ومثل ذلك لو أهلك ماله ، أو أحرق زرعه ، وما هو من هذا القبيل .

٣ – الأعواض التي يستحقها العبد بسبب الآلام النفسية ، ليست الآلام الجسدية ، ولكن الآلام النفسية .

وذلك كأن ينزل الله تعالي بالعبد أسباب الهموم والغموم فيصيب الله – سبحانه – العبد بالهم والغم ، فهذا الغم والهم وهذه الآلام النفسية تجعل العبد مستحقا عند الله الأعواض عن هذه الآلام .

وفي كل هذه الحالات التي ذكرناها من الآلام الجسدية ، أو النفسية ، أو تفويت المنافع وإصابة الإنسان في ماله أو أولاده ، في كل ذلك يقول المعتزلة : يجب على الله – سبحانه وتعالي عما يقولون – أن يعوض العباد ، وإلا كان ظالماً – تعالي الله عن ذلك .

وهذا مبدأ عجيب أن يطلب من مالك الملك ومدبره ، ومصرف شئونه أن يعوض العبد عن شيء هو مانحه ، أو يعوضه عن مال أو ابن أو منفعة ما ، مع أنه – سبحانه – هو مالك الملك ، خالق العبد ومالكه ، وهو – سبحانه – الذي منح العبد كل ما في يده . فكيف نطلب من المالك أن يعوضنا عن شيء هو مالكه ، وهو الذي منحنا إياه ، وهو – سبحانه – فعال لما يريد ، لا أحد يملك شيئاً سواه ، ولا مدبر للوجود إلاه . والعباد من خلقه ، وما يملكون من نعمه وفضله ، فإن أخذ شيئاً فقد أبقي أشياء . وإن سلب نعمه فقد أفاض من النعماء آلاء (1)

---

1 – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣٣ ، ١٣٤) .

المبدأ الثالث : القول بالمنزلة بين المنزلتين :

يري المعتزلة أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، لأنه لم يفعل الطاعات التي هي جزء من الإيمان في نظرهم ، وليس بكافر لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإنما هو في حالة متوسطة بين المؤمن والكافر ، إنه في منزلة بين المنزلتين " الكفر والإيمان " ويسمونه فاسقاً .

ولكنهم مع ذلك يرون أنه مخلد في النار مستمر فيها إن مات قبل أن يتوب من معصيته ، ويقلع عن ذنبه ويعود إلي ربه ، ولكن عذابه في النار يكون أخف من عذاب الكافرين وأقل منه .

وهذا القول منهم ابتدعه رئيسهم " واصل بن عطاء " وأخذه عنه تلاميذه ، وآمن به جمهور المعتزلة . يقول (واصل) : إن الإيمان عبارة عن خصال خير ، إذا اجتمعت في الشخص سمي المرء مؤمناً . وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق المدح ، فلا يسمي مؤمناً ، وليس كافراً أيضاً ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها ، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة ، من غير توبة فهو من أهل النار ، ويكون مخلداً فيها ، إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان " فريق في الجنة وفريق في السعير " ولكنه تخفف عنه النار ، وتكون دركته فوق دركه الكفار .

وهذا القول من المعتزلة ، وهو أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر ، لم يقل به أحد قبلهم ، فهو قول مبتدع ، ذلك أن الأمر لا يخلو عن حالين : إما الإيمان ، وإما الكفر ، وأما الحالة الثالثة فليست متصورة ولا

معقولة ، ثم ما هي الفائدة من التسمية (منزلة بين المنزلتين) مع قولهم بأنه مخلد في النار ، فإن مرتكب الكبيرة عندهم مخلد في النار [1]

والمعتزلة مع قولهم بأن مرتكب الكبيرة لا يسمي مؤمناً ، إلا أنهم يرون أنه – من باب المصلحة – يجوز أن يسمي مسلماً ، وليس من باب المدح والثناء ، ولكن من باب التفرقة والتمييز بينه وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى وأصحاب الملل الأخرى .

أما حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا فإنه يعامل معاملة المسلمين اسماً وحكماً ، لأن الأمل في توبته إلي الله – تعالي – قائم ، والرجاء في هداية الله تعالي إياه وقبوله توبته قوي [2]

أما أهل السنة فيقولون : مرتكب الكبيرة مؤمن لعقدة الإيماني الصحيح وإيمانه بالله ورسوله ، ولكنه فاسق وعاص بعمله ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان .

وأما " واصل " فسماه فاسقاً أيضاً ، ولكنه اعتبر الفسق منزلة بين المنزلتين ، وإذا خرج من الدنيا على كبيرته من غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها ، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، وإذا قيل له : فما الفرق بينه وبين الكافر المشرك المخلد في النار ؟ قال : يخفف عنه العذاب فتكون دركته فوق دركة الكفار

أراد " واصل " بهذا الرأي الجديد أن يتوسط بين الآراء فأخذ بما اتفقوا عليه وهو وصف الفسق ، ثم أراد أن يجامل الخوارج الذين وصفوه بالكفر ،

١ – محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص (٣٢ ، ٣٣) .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٤٣) .

فأخذ من مذهبهم جانباً وهو الحكم بخلود الفاسق في النار ، ولهذا سماهم خصومهم " بمخانيث الخوارج " لأن الخوارج لما قرروا لأهل الذنوب الخلود في النار اعتبروهم كفرة وحاربوهم ، أما المعتزلة فقد قدروا لهم الخلود في النار ، ولكنهم لم يسموهم كفاراً ولم يوجبوا قتالهم . (١)

وقد تكرر هذا الموقف من واصل بن عطاء في محاولة أن يمسك بالعصا من المنتصف عندما سأله البعض عن الخلاف السياسي بين علي وأعدائه ، فبينما كان موقف الخوارج محدداً ، وهو تكفير علي وخصومه من الأمويين معاً ، وكان موقف أهل السنة : إسلام الفريقين وإيمانهم غير أنهم قالوا : إن علياً كان على حق ، وأعداءه قد اجتهدوا ، ولا يلزمهم كفر أو فسق .

جاء واصل بن عطاء فاعتبر أحد الفريقين فاسقاً لا بعينه . ولا تقبل شهادة واحد منهما قياساً على المتلاعنين ، فلا يجوز عنده قبول شهادة علي وطلحة والزبير ومعاوية ، حيث قال بأن أحدهما فاسق لا بعينه (٢) ، وهذا حكم جائر على صحابة رسول الله (ﷺ) خاصة وأن حكم الفسق عنده الخلود في النار

وهكذا يعتبر موقف واصل في المنزلة بين المنزلتين موقفاً ضعيفاً لا سند له من العقل أو النقل ، إذ أن المؤمن العاصي أو الفاسق لا يخلد في النار ، بل يعذب على قدر معصيته ثم يخرج منها إلي الجنة ، وإلا لما كان هناك فرق بين من أنكر وجود الله وأنكر رسالاته ، وبين من آمن بهما ، ولكنه قصر في بعض الواجبات ، وما دام الكل مخلداً في النار (٣)

---

١ – الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٩٩) .

٢ – الملل والنحل للشرستاني ج ١ ص (٤٩) .

٣ – الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية د / سعد الدين السيد صالح ص (١٤٧١ ، ١٤٢) بتصرف .

يقول إن الله تعالي قد وعد الطائعين بالثواب على فعل الطاعة ، وأنه أوعد العصاة والمذنبين بالعقاب على ارتكاب الذنب ، قال تعالي : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) وقال تعالي : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٢) وقال تعالي : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (٣)

فيجب عليه – تعالي – أن يفي بوعده ووعيده ، فالمؤمن في نظرهم إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة وتوفيق للعمل الصالح استحق الثواب ودخول الجنة ، والعرض عما تقدم به من عمل صالح في الحياة الدنيا ، وقد يتفضل الله عليه بأزيد من طاعته وهو معني زائد وراء الثواب .. وإذا خرج العبد من الدنيا من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق العقاب عليها والخلود في النار ، ولكن عقابه فيها يكون أخف من عقاب الكافرين .

أما أهل السنة فيقولون : الوعد والوعيد هو كلام الله تعالي الأزلي ، وعد على ما أمر به من الطاعات، وأوعد على ما نهي عنه من المعاصي ، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده ، وكل من خالف وارتكب المنهيات واستوجب العقاب فبوعيده ، ولا يجب عليه تعالي شيء من الثواب أو العقاب ، غاية الأمر أن وعده تعالي بالثواب لا يتخلف ، لأنه وعد من جواد كريم ، قال تعالي : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ ، أما الوعيد فيجوز تخلفه في جانب العصاة

---

١ – سورة الزلزلة آية (٧ ، ٨) .
٢ – سورة القمر آية (٥٤ ، ٥٥) .
٣ – سورة البقرة آية (٢٨٦) .

لا في جانب الكافرين والمشركين ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (1). أ.هـ(2)

إن الله تعالى أرسل رسله – صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين – إلى الناس يأمرونهم بالطاعات ، وينهونهم عن المعاصي ، وقد وعد الله – سبحانه – الطائعين المثوبة على الطاعة ، كما أنه – تعالى – قد أوعد العاصين العقوبة على المعصية.

وإن الله تعالى لا يجب عليه شيء ، لأن الطاعة وعمل الصالحات من العباد لا يلزم عليها المثوبة ولا يجب على الله – تعالى – أن يدخل صاحبها الجنة ، فإن الطاعات هي في مقابل النعم التي أنعم الله – تعالى – بها على العبد ، من نعمة الحياة ثم السمع والبصر والعقل وسائر النعم ، فالعبد لا يدخل الجنة بعمله ، ولكن يدخلها بفضل الله ورحمته ، وهذا الذي نص عليه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي قال فيه لأصحابه – رضوان الله عليهم أجمعين – ﴿ لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ (3)

وكما أنه لا يجب على الله – سبحانه – إدخال الطائعين الجنة ، فكذلك لا يجب عليه – سبحانه – إدخال العصاة النار ، وإنما يدخل النار من يشاء ، فلا وجوب عليه – تعالى – في هذين الأمرين ولا في غيرهما ، بناء على ما نؤمن به من أنه سبحانه وتعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (4) ولقوله سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ

١– سورة النساء آية ٤٨ ، ١١٦

٢– محاضرات في نشأة علم الكلام ص٣٣ ، ٣٤

٣– رواه مسلم.

٤– سورة البروج آية ١٦

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] فالآية الكريمة علقت المغفرة والذنب ليس على الأعمال ، ولكن على مشيئة الله – سبحانه وتعالى – والأمران : المغفرة والعذاب كلاهما للمذنب ، فالكلام في الآية عن أصحاب الذنوب ، لأن المغفرة لا تكون إلا من ذنب ، والآية الكريمة لم تقل : فيغفر لمن فعل كذا ، ويعذب من فعل كذا ، ولكنها علقت الأمرين على مشيئة الله – عز وجل – وأغفلت الأعمال.

وكقوله تعالى في بيان عموم مغفرته لمن يشاء من أصحاب الذنوب : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [2] لكن هذا العموم في مغفرة الذنوب قد خصصته آيات أخر ، فقد ورد قول الله تعالى في تخصيص مغفرته العامة وحجبها عن المشركين : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [3] فالآية أخرجت الشرك من دائرة المغفرة ، ثم وضعت جميع الآثام والمعاصي سوى الشرك في دائرة المغفرة ، لا يخصص شيئاً دون شيء بعد الشرك إلا مشيئة الله – سبحانه – وحتى الشرك ليس المانع من مغفرته أن الله – سبحانه – يجب عليه ألا يغفره ، بل المانع أن الله تعالى شاء ألا يغفره ، ولو شاء غير ذلك لكان ما يشاء – عز وجل – والرسول ﷺ يقول : ﴿ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴾

فالحاصل أن الأمر كله بيد الله – سبحانه – يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، فإذا شاء أن يعفو عن مذنب عفا عنه مهما عظم ذنبه ، وإذا شاء عاقبه مهما صغر ذنبه.

١- سورة البقرة آية ٢٨٤

٢- سورة الزمر آية ٥٣

٣- سورة النساء آية ٤٨

وكذلك في الطاعات ، إنما يدخل الناس الجنة بعفو الله ولطفه وفضله ورحمته ، وليس لأنه يجب عليه – جل الله عن ذلك – أن يدخلهم الجنة.

فثواب الله للطائعين واقع ، لأن الله تعالى وعد ، وإذا وعد فإنه لا يخلف الميعاد ، والكريم إذا وعد لا يخلف والله أكرم الأكرمين فوعد الله الطائعين واقع لأنه ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ (1) ، وأما وعيده للعاصين فلا نقول بوقوعه ، فإن الله – تعالى – قد يوقعه بهم عدلاً ، وقد يعفو عنهم فضلاً ، فقد يرفع عنهم العقوبة كاملة ، أو يخفف منها ، وليس في ذلك إخلاف للميعاد ، فإن الكريم إذا وعد أوفى وقد يزيد ، وإن أوعد وفى أو عفا.(2)

ولذلك يقول الله تعالى – لأهل الجنة – : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ... ﴾ (3) أي أنه ينبغي أن يكون فرحكم بفضل الله عليكم ، لا بأعمالكم ذلك أن الطائع قد اختار الطاعة على المعصية بتوفيق الله له وإنعامه عليه ، وكان من الممكن أن يخذله الله فيقع في المعصية ، فكيف يستحق العبد بنعمة من الله عليه في الدنيا ، نعمة منه في الآخرة ، وقد قال تعالى لمن يمنون على رسول الله ﷺ بإسلامهم ﴿ قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ .. ﴾ (4) كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ (5)

كما أنهم بهذا الفهم يجعلون المذنب يائساً من رحمة الله ، لأنهم يوجبون عليه العذاب ، مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ

١- سورة التوبة آية ١١١
٢ تاريخ الفرق الإسلامية ص١٣٥ : ١٤٠ بتصرف
٣- سورة يونس آية ٥٨
٤- سورة الحجرات آية ١٧
٥- سورة آل عمران آية ١٦٤

مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [1] إنهم بهذا يتحجرون رحمة الله الواسعة ، وينكرون شفاعة رسول الله ﷺ التي ادخرها لأهل الكبائر من أمته.[2]

١- سورة يوسف آية ٨٧
٢- الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة ص١٤٤

المبدأ الخامس : وجوب العمل والمعرفة بالنظر والاستدلال:

اتفق المعتزلة على أن أصول المعرفة ، وشكر المنعم على النعمة واجب على الإنسان قبل ورود السمع بذلك ، وأن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل ، كما يجب اعتناق الحسن والعمل به ، واجتناب القبيح والبعد عنه ، وورود التكاليف الشرعية ألطاف من الله تعالى ، كلف الله بها عباده امتحاناً واختباراً ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (1) وإذا كان الأمر كذلك فإن الأمر بالمعروف حسن ، والنهي عن المنكر وإزالته محمود وخير ، لذلك وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند جمهور المعتزلة ، لأن حسن ذلك ذاتي.

ويصور الأشعري هذا الأصل عند المعتزلة بقوله : "وأجمعت المعتزلة – إلا الأصم – على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقدرة باللسان واليد والسيف كيف ما قدروا على ذلك"(2)

ويصوره المسعودي بقوله : "وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهو الأصل الخامس ، فهو أن ما ذكر عن سائر المؤمنين واجب على استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه ، وإن كان كالجهاد ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق"(3)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان على المسلم ، حضاً على الطاعة ، ومنعاً من المعصية ، ودعوة إلى دين الله – سبحانه وتعالى – وهاتان الفريضتان لا تختص بأحد دون آخر من المسلمين ، ما دام شروط القيام بها

1- سورة الأنفال آية ١٤٠

2- مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٧٨ ج١ ص٢٧٨

3- مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص١٥٤ نقلاً عن : محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٣٤ ، ٣٥

متوفرة في المسلم ، وقد قيل : "لا أحد أصغر من أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا أحد أكبر من يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر" ورغم هذا التعميم في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنها لا تجوز من كل أحد ، بل إن ثمة شروطاً يجب توافرها فيمن يقوم بهذه الفريضة ، وأهم هذه الشروط ثلاثة:

أولاً : أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على علم بما هو معروف ، وما هو منكر ، وأن يكون على معرفة بالحكم الشرعي لما يأمر به أو ينهى عنه ، وإلا فإنه إن كان جاهلاً فيمكن أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

ثانياً : أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على علم بأن أمره ونهيه سوف يؤثران ويأتيان بالنتيجة المرجوة ، أما إذا عرف أن أمره ونهيه لن يؤثر في المأمور أو المنهي ، فإنه في هذه الحالة لا يجب عليه ذلك ، وإن كان يندب له القيام بهما إعذاراً إلى الله سبحانه وتعالى. أي أنه في هذه الحالة ينتقل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مرتبة الفرضية إلى مرتبة الندب ، وقد حكى القرآن الكريم قصة قوم من بني إسرائيل كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهم يدركون أن فعلهم هذا لا يؤثر في أقوامهم الفاسقين : ولما سئلوا عن ذلك أخبروا أنهم يفعلون هذه معذرة إلى الله ، ولعل الله يجعل لفعلهم هذا ثمرة.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١)

١- سورة الأعراف آية ١٦٤

ثالثاً : أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على معرفة بأن أمره أو نهيه لن يؤدي إلي ضرر أكبر ، فإن علم أنه إن أمر أو نهي سوف ينتج عن ذلك مفسدة أو مضرة فوق ما هو حادث فعلاً ، فإنه في هذه الحالة يسقط وجوبها ، ويصبح تركها أولي دفعاً للمفسدة ، ومنعاً للضرر .

والأمر بالمعروف هو الحمل على الطاعة ، أو القول الذي من شأنه أن يحمل على الطاعة ، أو تمني وقوع الطاعة ، والنهي عن المنكر هو منع وقوعه ، أو القول الذي من شأنه أن يمنع وقوعه ، أو تمني عدم وقوعه ، فإذا وجدت إنساناً لا يخرج زكاة ماله ، فهو محتاج إلي من يأمره بالمعروف ، والأمر بالمعروف هنا إما بأن أحمله على الطاعة فأجبره على إخراج الزكاة ، أو آخذها منه بالقوة ، فإذا لم أستطع أن أنفذ ذلك بالقوة لجأت إلي القول ، فآمره وأنصحه وأعظه بإخراج الزكاة ، فإذا لم أستطع أو أتمكن حتى من الأمر والنصيحة ، تمنيت في قلبي أن يخرج هذا الإنسان زكاة ماله .

ومثل ذلك إذا وجدت إنساناً عاكفا على منكر ، كأن أجد إنساناً يشرب خمراً ، فإما أن أمنعه من الشرب ، وإما أن أنصحه وأعظه ، فإذا لم أستطع النصيحة ، تمنيت من قلبي أن يمتنع هذا الإنسان عن شرب الخمر .

وهذه الحالات أجمعت الأمة عليها ، حيث اتفقت الأمة على أن تغيير المنكر قد يكون باليد ، فإذا عجز الإنسان لجأ إلي تغييره باللسان ، فإذا لم يستطع لم يبق أمامه إلا أن يغيره بقلبه ، وهذا أضعف الإيمان (1)

ولكن الإمام الغزالي قَسَّم درجات الأمر بالمعروف عن المنكر إلي – الأقسام التالية :

---

١ – تاريخ الفرق الإسلامية د / مزروعة ص (١٤٤ ، ١٤٦) .

- التعريف ، ثم النهي بالوعظ أو النصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب ، ثم شهر السلاح .

والدرجة الأولي والثانية واجبة علي الجميع ، أما السب والتعنيف والتغيير باليد فيكون في حدود من له الولاية عليهم مثل أولاده وأسرته ، أو من يوليه الحاكم لهذا الأمر مثل المحتسب ، وهكذا فالتغيير باليد والضرب والقتال لا بد فيه من إذن الحاكم حتى لا يتحول المجتمع إلي غابة يصنع فيها كل إنسان ما يريد تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأما حديث ﴿ **من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه** ﴾ فيدل على حالات معينة ، ولكل حالة شروطها ، فهناك حالة لا بد فيها من التغيير باليد قبل التعريف أو اللسان ، إذا ما وجدنا شخصاً يقتل شخصاً آخر أو يعتدي عليه ، فإن التغيير باليد في هذه الحالة يكون مقدماً ، لأننا لو بدأنا بالوعظ لفات المقصود ، ولوقع المنكر وهو القتل (1)

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول المتفق عليها بين جميع المسلمين عملاً بقوله تعالي : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (2) وقوله تعالي : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ......** ﴾ (3)

---

١ - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د / السيد السيلي .
٢ - سورة آل عمران آية : (١٠٤) .
٣ - سورة آل عمران آية : (١١٠) .

إلا أن المعتزلة كان لهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتجاهاً خاصاً خالفوا فيه أهل السنة والجماعة من حيث مفهومه ، وطريقته ، وحكمه ، وغير ذلك من وجوه الخلاف . وقد عرف المعتزلة الأمر بالمعروف بقولهم ، الأمر هو قول القائل لمن هو دونه في الرتبة افعل ، والنهي هو قول القائل لمن هو دونه في المرتبة لا تفعل ، والمعروف هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه ، وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه (1)

وأما حكمه عندهم ، فهم الوجوب ، وقد ذهبوا على وجوبه بالعقل لا بالشرع ، بناء على أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع ، وهذا من منطلق ثقتهم المطلقة في عقولهم التي حاولوا أن يجعلوا منها مصدراً للتشريع يكون بديلاً عن الوحي والرسالات .

ويقسم المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلي قسمين : **أحدهما** : ما لا يقوم إلا الأئمة به والحكام أو من ينوب عنهم ، وهو إقامة الحدود ومد الثغور وتسير الجيوش لحرب الكفار . **والثاني** : ما يقوم به كافة الناس كالنهي عن شرب الخمر والزنا والسرقة ، لكن إذا كان هناك إمام مفترض الطاعة ، فالرجوع إليه أولي .

ويري المعتزلة أنه في حالة الأمر بالمعروف لا يحمل تارك المعروف على فعله جبراً ، أما في النهي عن المنكر ، فإن مرتكب المنكر يحمل على الكف ، ويلزم بالانتهاء إلزاماً حتى لو أدي ذلك إلي مقاتلته .

وإن كان هذا الرأي يتناقض مع رأيهم السابق في ضرورة إرجاع الأمر إلي الحاكم ، ومعارض لحديث رسول الله (ﷺ) ﴿ **من رأي منكم منكراً فليغيره**

---

١ - شرح الأصول الخمسة للعبد الجبار ص (١٤١) .

بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ فهذه درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويري أهل السنة أنه يجب على الأمة أن تنصح الحاكم ، وأن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، إلا أن هناك درجات معينه بالنسبة للحاكم وتقف تلك الدراجات عند حدود التعريف بالمعروف والمنكر ثم الموعظة الحسنة ، أما التعنيف والتغيير باليد والتهديد بالقتل والضرب والاستعانة بالغير ، فلا يجوز بالنسبة للحاكم دفعاً للفتن ودرءاً للمفاسد .

أما المعتزلة فقد أوجبوا قتال الحاكم ، وقالوا : بأن سل السيوف جائز إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك ، وأوجبوا على الناس ضرورة الخروج على السلطان إذا أمكنهم ذلك .

ومن هنا يتضح لنا خطورة مبدأ المعتزلة الذي يؤدي إلي الفوضى والفتن والمفاسد التي لا يعلم مداها إلا الله ، إذاً فالتغيير يكون بالإرشاد والموعظة الحسنة وبكلمة الحق تقال للظالمين بهدوء وحكمة ، ومن الجدير بالذكر أن نقول : إن المعتزلة لم يحققوا ما نادوا به واقعياً ، فقد مالئوا الحكام ، ولم يخرجوا عليهم برغم فسادهم (١)

وإن المعتزلة خالفوا الأمة حين جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً من المفروض العينية ، فجعلوا ذلك فرضاً على جميع المؤمنين وجعلوا المؤمن الذي يترك ذلك اكتفاءً بما قام به الأخرون آثماً ، تاركاً لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

---

١ – الفرق والجماعات المعاصرة وجذورها التاريخية ص (١٤٤ : ١٤٨) بتصرف .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٤٦) بتصرف .

لقد ربط المعتزلة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضية التحسين والتقبيح والعقليين ، وهذا مخالف لأصول الكتاب والسنة ، فالحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، ولولا الوحي والنبوات لما كان هناك تكليف ، لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (1)

وبالتالي فالمعروف عند أهل السنة هو : اسم جامع لكل ما أمر به الله من خلال وحيه ، والمنكر : هو اسم جامع لكل ما نهي الله عنه من خلال وحيه.

وباختصار فالمعروف هو طاعة الله ، والمنكر معصيته ، فالأمر بالمعروف هو الدعوة إلى طاعة الله ، والنهي عن المنكر هو النهي عن معصية الله ، وهو واجب على كل مسلم يمتلك القدرة وتجتمع فيه شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، وخصوصاً عند قلة الدعاة وكثرة المنكرات ، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم . ولكن إذا وجد من يقوم به ويؤدي واجبه ، فإنه يكون فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين . وإذا لم يقم به أحد من الناس أثم الجميع .

وأما شروط الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة فهي : الإسلام والتكليف ، والعلم بأحكام الشرع ، حتى لا يأمر بمنكر أو ينهي عن معروف ، والورع والنزاهة ، والتعفف لقوله تعالي : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ (2) إلا في حالة المحتسب والموظف من قبل الدولة لهذا الأمر ، والبصيرة ، وهي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل لقوله تعالي : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (3) ، وعدم التجسس

---

١ - سورة الإسراء آية (١٥) .
٢ - سورة الفرقان آية (٥٧) .
٣ - سورة يوسف آية (١٠٨) .

لقول الرسول (ﷺ) ﴿ من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليسترها ﴾ [1] والحلم والرفق لقوله : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.... ﴾ [2] لأنه بدون الحلم والرفق يكون الداعية فظاً غليظ القلب منفراً من دعوته فلا يستمع إليه الناس ، والصبر لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يلحق بالداعية بعض الأذى أو السخرية منه ، ولذلك نجد لقمان الحكيم بعد أن وصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال له : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [3]

وهناك بعض الشروط المختلف فيها ، مثل الذكورة فلا يجب على النساء ، وقال بذلك الشرط " القرطبي وابن العربي " وهو شرط فاسد ، لأن المرأة يجب عليها أن تأمر وتنهي أيضاً ، وباب الدعوة إلي الله مفتوح للرجال والنساء ، وذلك لقوله تعالي : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [4] أ . هـ [5]

---

١ - رواه مسلم .
٢ - سورة النحل آية : (١٢٥)
٣ - سورة لقمان آية : (١٧)
٤ - سورة التوبة آية : (٧١) .
٥ - الفرق والجماعات الإسلامية وجذورها التاريخية ص (١٤٨ : ١٥٠) بتصرف .

ثالثا فرق المعتزلة

اتفقت فرق المعتزلة على الأصول الخمسة ، وقالوا بها ، ومن لم يقل بها فليس معتزلياً لكنهم اختلفوا في أمور أخرى فرقت كلمتهم وجعلتهم فرقاً ، اختصت بها كل فرقة ، بحيث صاروا عشرين فرقة.

وسنذكر هنا أهم هذه الفرق مع إجمال القول في ذلك:

١- الواصلية:

إنها الفرقة الأولى من فرق المعتزلة ، والتي تنسب إلى زعيمهم ورئيسهم الأول "واصل بن عطاء الغزال" وقد سبق قوله في القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والتوحيد الذي من خلاله نفى الصفات ، والعدل الذي من خلاله نفى القدر ونسب خلق الأفعال إلى العبد وسائر الأصول الخمسة ، وأضاف إلى ذلك بدعته التي ابتدعها ورأيه في الصحابة الذين اشتركوا في حرب الجمل وصفين ، حيث وقع الخلاف في الحكم عليهم ، فقد كان الخوارج يكفرونهم ، وكان الباقون من المسلمين يعتقدون أن كلا الفريقين مؤمنون مسلمون ، وأنهم مجتهدون ، وأن علياً على حق ، وأن الآخرين مجتهدون ومخطئون ، ولا يلزم من خطئهم كفر ولا فسق ، ولا يلزم التبرى ولا العداوة.

ولكن (واصلاً) يخالف الفريقين ويزعم أن أحدهما مخطئ لا بعينه ، وأنه فاسق لا محالة ، وأقل درجة أنه لا تقبل شهادتهما ، وقد رتب على هذا قوله : لو شهد عندي رجلان من هذا المعسكر ، ورجلان من هذا المعسكر لم أقبل شهادتهم ، فقيل له : يشهد من هذا المعسكر "علي والحسن والحسين وابن عباس" ، ومن ذلك المعسكر : "عائشة وطلحة والزبير" هل تقبل شهادتهم ؟ فقال : لو شهدوا جميعهم على باقة نصل ، لم أقبل. !!!

هذا قول رئيس المعتزلة في أعيان الصحابة ، وليس العجب أن يتبع المعتزلة رأيه ، ويؤمنون بقوله ، وإنما العجب من بعض الشيعة الذين يدينون بمذهب المعتزلة وبأصولهم مع عقيدة (واصل) هذه في علي ﷺ وفي أولاده ، ذلك أن الاثناعشرية من الشيعة – كما يقرر ابن أبي الحديد – يأخذون بآراء المعتزلة في العقائد.[1]

١- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص٣٥ : ٣٩ بتصرف. والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٦ : ٤٩ بتصرف.

٢- الهذيلية :

الهذيلية فرقة من فرق المعتزلة ، تنسب إلى زعيم من زعمائهم هو "أبو الهذيل محمد بن الهذيل" المعروف بالعلاف فيلسوف المعتزلة الأول ، ومقرر الطائفة والناظر عليها.

وأبو الهذيل وإن كان من المعتزلة ، ويقول بالأصول الخمسة التي سبق الكلام عليها إلا أن له آراء أخرى ، خالف بها جمهور المعتزلة ، كفره المعتزلة ببعضها ، ولقد ألف "المردار" من المعتزلة كتاباً في تكفيره ، كما ألف أبو علي الجبائي كتاباً آخر في تكفيره كذلك ، وذكرا في كتبهما أن قوله يؤدي إلى قول "الدهرية" كما أن لجعفر بن حرب من المعتزلة كتاباً يسمى "توبيخ أبي الهذيل"

ومن آرائه التي انفرد بها ما يأتي:

١- رأيه في الصفات : يقول أبو الهذيل : إن الله عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة ، وقدرته ذاته ، حي بحياة ، وحياته ذاته ، ومعنى ذلك أن الصفة نفس الذات ، وليست زائدة عليها ، وإنما أخذ هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيه بوجه ، وأن الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته ، بل هي ذاته.

وهذا القول باطل ، لأنه يؤدي إلى أن يكون العلم والقدرة - مثلاً - بمعنى واحد ولا يوجد فرق بينهما ، وهو باطل بداهة ، كما يؤدي إلى نفي أسماء الله تعالى الحسنى وتعددها ، ما دام يرى أن الصفات نفس الذات.

٢- ويقول أبو الهذيل : إن مقدورات الله تعالى تتناهى ، بمعنى أن لها حداً ونهاية ، وأنه إذا وجد ذلك الحد ، وتلك النهاية ، لا يقدر الله على شيء بعد ذلك - تعالى الله عن قوله علواً كبيراً -

ويقول : إذا دخل الوقت في نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار ، لا يقدر الباري عز وجل على أو يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة ، وأن يزيد في عذاب أهل النار ذرة ، حتى إن العبد في الجنة لو مد يده إلي ثمرة من ثمارها ثم دخل ذلك الوقت لم يقدر العبد أن يوصل يده إليها ، ولم يقدر الباري أن يوصل الثمرة إلي يده ، وفي ذلك الحين يصير أهل الجنة جموداً ، وهموداً ، ساكنين ، لا يقدرون على الحركة ، كما سقطع عذاب أهل النار أيضاً في ذلك الوقت .

ويري الشهرستاني في الملل والنحل أن أبا الهذيل التزم القول بهذا الرأي ، لأنه قال " بحدوث العالم " ومنع حوادث لا نهاية لها في جانب الماضي ، فقيل له : فما بالك بالحوادث التي لا نهاية لها آخراً ؟ فقال : إني لا أقول بحوادث لا نهاية لها آخراً . بل أقول : يصير أهل الجنة والنار إلي سكون دائم .

وهذا القول باطل ، لأنه يؤدى إلي الحد من قدرة الله تعالي ، التي تتعلق بجميع الممكنات ، كما يؤدى إلي القول بفناء الجنة والنار ، وهو مما يخالف نصوص القرآن الكريم التي تدل على أبدية الجنة والنار وبقائهما .

٣ – رأيه في كلام الله تعالي : يري أبو الهذيل أن كلام الله تعالي نوعان ... بعضه عرض لا في محل ، وهو قوله " كن " وبعضه عرض في محل كالأمر والنهي والخبر ، وكأن أمر التكوين عنده غير أمر التكليف .

٤ – وفي موضوع المعرفة : يري أبو الهذيل أنه يجب على المكلف أن يعرف الله تعالي بالدليل من غير خاطر ، وقيل ورود الشرع بذلك ،

وأن الواجب على العاقل أن يعلم حسن الحسن ويفعله ، وقبح القبيح ويتركه ، وإلا استحق على ذلك المؤاخذة والعقوبة.

٥- ويرى في القدر مثل ما يقوله المعتزلة من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه ، إلا أنه يقول : إن حركات أهل الخلدين في الآخرة ، كلها ضرورية ، لا قدرة للعباد عليها ، وكلها مخلوقة لله تعالى إذ لو كانت مكتسبة لكانوا مكلفين بها.

ومن هنا قال المؤرخون : إنه قدري الأولى ، جبري الآخرة.

٦- ومما وافق فيه "أبو الهذيل" أهل السنة ، وخالف فيه جمهور المعتزلة : رأيه في الآجال أنه يرى أن الأجل واحد ، لا يزيد ولا ينقص ، وأن العبد لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت ، ولا يجوز أن يزاد في العمر أو ينقص منه.

مخالفاً بذلك جمهور المعتزلة ، الذين يقولون : إن المقتول لم يمت بأجله ، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى الأجل الذي قدره الله له.

٧- قوله في الأرزاق : يرى "أبو الهذيل" أن "الأرزاق" على وجهين : أحدهما : ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز أن يقال إن الله خلقها رزقاً للعباد ، فعلى هذا من قال : إن أحداً أكل أو انتفع بما لم يخلقه الله رزقاً له فقد أخطأ ، حيث إنه يدل على أن في الأجسام شيئاً لم يخلقه الله تعالى ، وهذا غير صحيح. وثانيهما : ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد ، فما أحل منها فهو رزقه ، وما حرم فليس رزقاً ، أي ليس مأموراً بتناوله.[1]

١- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٤١ : ٤٤ بتصرف ، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٩ : ٥٣ بتصرف.

٣ – النظامية :

فرقة من فرق المعتزلة ، تنتسب إلي زعيمهم : أبي إسحاق ابراهيم بن سيار بن هاني النظّام ، المتوفى عام ٢٣١ هـ في عصر الدولة العباسية ، وهو ابن أخت (أبي الهذيل العلاف) عاصر من الخلفاء الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم . ويعد (النظام) من أذكياء المعتزله ، وقد قرأ كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزله ، وكان من الذين ذهبوا إلي القول بنفي القياس والإجماع ، وانخدع برأي الكثيرين من الخوارج والشيعة .

آراء النظام الكلامية :

١ – نفي " النظام " الجزء الذي لا يتجزأ ، وقال : إن كل جزء يمكن انقسامه إلي أجزاء لا تتناهى ، وأنه لا يزال من الممكن أن يفصل من الخردلة الواحدة شيء بعد شيء إلي ما لا يتناهى ، وهذا القول منه باطل ، لأنه يؤدى إلي محالات منها :

أ – أن هذا القول يؤدى ؟إلي وجود حوادث لا نهاية لها ، وهذا يؤدى إلي القول بقدم العالم ، وأنه لا أول له زماناً ، وهذا باطل .

ب – وهذا القول يؤدى إلي مساواة الخردلة للجبل العظيم ، إذ يمكن تقسيم كل منهما إلي ما لا يتناهى من الأجزاء ، وحينئذ يبطل الفرق بينهما ، وهذا غير صحيح .

٢ – رأيه في الكون : يري النظام أن العالم كله ، خلق دفعة واحدة على ما هو عليه الآن : معان ، ونبات ، وحيوان ، وإنسان ، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده ، بل إنهم جميعاً خلقوا معاً دفعة واحدة ، غير أن الله أكمن بعضها في بعض،فالتقدم والتأخر

يقع في ظهورها من مكامنها ، دون حدوثها ووجودها ، فالحدوث : ظهور عن كمون ، والعدم : كمون بعد ظهور.

وهذا قول أخذه عن أحد فلاسفة اليونان ، وهو "أنكسا غوارامي" الذي وجد في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو قول يبطله العقل الصريح ، ولا يصدق به.

٣- ومما شذ فيه قوله : إن القرآن غير معجز في نظمه ، وإنما عجز العرب عن الإتيان بمثله كان بالصرفة وأن الله هو الذي صرفهم عن ذلك.

وإنما إعجاز القرآن كان في إخباره بالمغيبات فحسب ، وقد فاته أن من وجوه إعجاز القرآن : معانيه الرائعة ، وبلاغة أسلوبه ، وانسجامه الذي عجز بسببها العرب عن أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بأقصر سورة منه ، مع أنهم كانوا أهل الفصاحة والبلاغة ، وقد حاولوا ذلك جاهدين ثم قعدوا عاجزين مأخوذين برائع لفظه ، وبدائع أسلوبه ، وسمو معانيه.

٤- ومما شذ به النظام قوله : إن الخير والشر واقعان من العبد بفعله هو ، وهذا هو قول المعتزلة ، ولكنه زاد عليهم بقوله : إن الله لا يوصف بالقدرة على فعل الشرور والمعاصي ، وليست مقدورة لله تعالى ، وذلك خلافاً للمعتزلة الذين يقولون : إن الله تعالى قادر عليها لكنه لا يفعلها ، لأنها قبيحة ، والله تعالى لا يفعل القبيح.

وأهل السنة لا يرتضون هذا القول ، ويقولون : إن الله تعالى هو الفاعل للخير والشر معاً ، وإلا لزم نسبة العجز إليه – تعالى – ، ولكنهم يرون نسبة الخير إلى الله تعالى ، ونسبة الشر إلى فاعله تأدباً فقط ، كما قال سبحانه ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا

أصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (١) ثم راعي الحقيقة في الآية الأخرى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ (٢)

٥ – ويري النظام : أن الله تعالي يجب أن يفعل بالعبد ما فيه صلاحه ، لأنه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان بخيلاً . والبخل على الله تعالي محال .

وقد ترتب على هذا قوله : إن ما فعله الله بالكافرين فيه صلاحهم . ولم يكن في مقدوره أن يفعل أصلح مما فعله بهم .

وهذا الرأي باطل لما يأتي :

أ – أن الله تعالي لا يجب عليه شيء ، إذ الوجوب يستدعى موجباً . ولا موجب على الله تعالي من أعلى ، إذ هو تعالي العلي الأعلى ، والخالق والمدبر لكل شيء .

ب – أن كل عاقل يعلم أنه لا صلاح للكافر في كفره ، ولا صلاح له في العقاب الذي سيحل به في الآخرة ، فمن ذا الذي يقول : إن الكفر فيه مصلحة للكافرين ؟ !!

٦ – ويري (النظام) أن الإنسان في الحقيقة هو " النفس " و " الروح " أما " البدن " فهو آلة لها ، وهذا بعينه قول الفلاسفة ، غير أنه يري أن النفس مادية ، فيقول : إنها جسم لطيف مشابك للبدن ، ومداخل له مداخلة المائية في الورد ، والدهنية في السمسم ، والسمنية في اللبن .

وقال : إن الروح هي التي لها قوة واستطاعة ، وهذا يخالف رأي جمهور الفلاسفة الذين يرون أن النفس مجردة عن المادة .

١ – سورة النساء آية (٧٩) .

٢ – سورة النساء آية (٧٨) .

٧- ومما شذ به (النظام) ميله إلى الرفض ، ووقيعته في كبار الصحابة وتسليطه لسانه عليهم ، واتهامه لأبي بكر وعمر باتهامات لا يرضى عنها جماعة المسلمين ، قال : أولاً : لا إمامة إلا بالنص والتعيين ، قد نص النبي ﷺ على "علي" ﷺ وأظهره إظهاراً ، إلا أن "عمر" كتم ذلك ، وهو الذي تولى بيعة "أبي بكر" يوم "السقيفة" ونسبه إلى الشك يوم الحديبية ، ووقع في أمير المؤمنين "عثمان" ﷺ لإسناد بعض الإمارات في الأقاليم إلى أقاربة ، وغير ذلك.

٨- وقال (النظام) : إن الجواهر مؤلفة من أعراض اجتمعت ، ووافق "هشام بن الحكم" في قوله : إن الألوان والطعوم والروائح أجسام ، فتارة يقول : إن الأجسام أعراض ، وتارة يقول : إن الأعراض أجسام ، وهو تناقض ظاهر.[1]

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٥٣ : ٥٩ بتصرف ، ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص٤٤ : ٤٩ بتصرف.

٤ – الجاحظية :

فرقة من فرق المعتزلة ، تنسب إلي زعيمهم ورئيسهم (الجاحظ) وهو عمرو بن بحر المعني بأبي عثمان ، والملقب " بالجاحظ " وذلك بسبب جحوظ وبروز عينيه .

كان الجاحظ من علماء المعتزلة والمصنفين لهم ، تتلمذ على يد " إبراهيم النظام " وكان من الأدباء المعدودين ، والمعروفين بأسلوبهم الجيد الرصين ، يدل على ذلك مؤلفاته الأدبية ، قرأ كثيراً من كتب الفلاسفة ، ومن كتب الأدب العربي ، وتأثر بما قرأ ، وله مؤلفات عديدة منها : كتاب الحيوان للجاحظ في أربعة مجلدات ، وكتاب البيان والتبيين في جزأين كبيرين ، وكتاب الدلائل والاعتبار ، وكتاب فضيلة المعتزلة ، وكتاب " خلق القرآن " .... وغيرها .

وقد عاش الجاحظ في عصر المعتصم ، والمتوكل . لقد آمن الجاحظ بالأصول الخمسة للمعتزلة ، وانفرد عنهم ببعض الآراء منها :

١ – رأيه في المعرفة : يقول الشهرستاني عن الجاحظ : إنه يري أن المعارف كلها ضرورية طبعا ، وظاهر هذا التعبير : أن المعرفة ضرورية للعارف ، وليس للعبد فيها اختيار ، ولا كسب .

ويقول الشهرستاني : إن الجاحظ يري أن العبد ليس له في المعرفة سوي الإرادة ، أي الميل والرغبة ، وأن المعرفة تنشأ في الإنسان طبعاً .

ويظهر أن هذه القول من الشهرستاني بعيد عن الصواب ، بأن مؤلفات الجاحظ تدل على أنه يري أن المعارف نوعان : بديهية ضرورية ، وأخري كسبية ، والأولي لا تحتاج إلي كسب ونظر ، والثانية تحتاج إلي كسب ونظر . وإذا كان النوع الثاني يحتاج إلي كسب ونظر فليست المعارف كلها ضرورية

كما رأي الشهرستاني ، اللهم إلا أن يقال : إنها ضرورية طباع ، بمعني أنها ناشئة من الإنسان نفسه ، إن الإنسان من غرائزة حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة ، وأن المعرفة مخلوقة للعبد ومن كسبة كما هو مذهب المعتزلة في خلق الأفعال الاختيارية .

٢ – رأيه في أهل النار : إنه يري لأنهم لا يخلدون فيها معذبين ، وإنما يصيرون إلي طبيعة النار ، فلا يحسون بها ، وكان يري أن النار تجذب أهلها إلي نفسها ، من غير أن يدخل أحد فيها .

٣ – ويري الجاحظ : أن الجواهر لا تفني ولا تنعدم ، وإنما الأعراض هي التي تتبدل ، وأما الجواهر فإنه لا يجوز أن تفني . وهذا القول قريب الشبه بقول الفيلسوف اليوناني " ديمقريطس " الذي يقول بأن المادة قديمة ولا تفني ، وإنما الفناء هو تحلل الجسم إلي عناصره الأولي ، فالعناصر باقية والأعراض فانية .

٤ – يري الجاحظ أن الخلق كلهم عقلاً من العقلاء ، عالمون بأن الله تعالي خالقهم ، وعارفون بأنهم يحتاجون إلي النبي (ﷺ) ، وهم محجوجون بمعرفتهم ، ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد ، وجاهل به : فالجاهل معذور ، والعالم محجوج .

ومن انتحل دين الإسلام ، بأن اعتقد أن الله تعالي ليس بجسم ولا صورة ولا يري بالأبصار ، وهو عدل لا يجوز ، ولا يريد المعاصي ، فهو مسلم حقاً ، وإن عرف ذلك كله ، ثم جحده وأنكره ، وقال بالتشبيه والجبر ، فهم مشرك كافر حقاً (١)

١ – محاضرات في نشأة علم الكلام ص (٤٩ ، ٥٠) ، بتصرف ،، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص (٧٥ ، ٧٦) بتصرف .

وهناك فرق أخرى كثير مثل : الخابطية ، والحدثية ، والبشرية ، والمعمرية ، والمروادية ، والثمامية ، والهشامية ، والخياطية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ... [1]

١- انظر بتوسع : الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٦٠ : ٨٥ ، وكذا الفرق بين الفرق للبغدادي ، وغيرهما.

رابعاً : أهم أعلام المعتزلة وكتبهم

أعلام مفكري المعتزلة كثيرون ، ولكل واحد منهم أفكاره المتميزة عن أفكار سالفيه ومعاصريه حتى أصبح لكل واحد من هؤلاء المفكرين مذهب ينسب إليه. وعلى رأسهم:

١- واصل بن عطاء : أستاذ المعتزلة ورئيسهم الأول ، كان تلميذاً للحسن البصري في مدينة البصرة ، يتلقى العلم على يديه ، يحضر دروسه ، ومجلس علمه ، ليتزود بالعلم والمعرفة وأمور الدين حتى ترك مجلس أستاذه واختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة – كما ذكرنا.[١]

٢- عمرو بن عبيد : من أشهر مفكري المعتزلة السابقين ، هو أبو عثمان عمر بن عبيد بن رباب ، مولى بن عقيل ، ولد عام ٨٠هـ وتوفي حوالي عام ١٤٤هـ.

كان متكلماً ، وزاهداً ، وكان ممن يتردد على مجلس الحسن البصري ، وقد كرهه حسن البصري قبل اعتزاله ، وكانت له صلات بخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين ولكنه لم يستغل ذلك لمصلحته ولا لمصلحة أحد من أصدقائه. لقد كان عمرو معتزلياً يغالي في إيمانه بالعقل ، ويعقد الصلة بينه وبين الدين على أساس "أن الدين هو تقرير حجة الله في عقول المكلفين".[٢]

٣- أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف : فيلسوف المعتزلة الأول ، ومقرر الطائفة والمناظر عليها. ولد حوالي عام ١٣٥هـ ، وتوفي حوالي عام ٢٢٧هـ ، بعد أن عمر طويلاً أخذ الاعتزال عن

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٦ بتصرف.

٢- نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغل ص٢١٠ ، ٢١١ بتصرف.

"عثمان بن خالد الطويل" أو عن بشر بن سعيد ، وأبي عثمان الزعفراني ، صاحبي واصل بن عطاء.

ولأبي الهذيل مؤلفات كثيرة نحواً من ستين كتاباً في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله.

ومنها : كتاب الحجج – الأصول الخمسة – الحجة في أصول الفقه – الأعراض والإنسان والجزء الذي لا يتجزأ.(١)

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام ، المتوفى عام ٢٣١هـ في عصر الدولة العباسية ، وهو ابن أخت "أبي الهذيل العلاف" عاصر من الخلفاء : الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم.

ويعد "النظام" من أذكياء المعتزلة ، وقد قرأ كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وكان من الذين ذهبوا إلى القول بنفي القياس والإجماع ، وانخدع برأي الكثيرين من الخوارج والشيعة. وتعتبره المعتزلة أعظم رجال الفكر الإنساني ، وكان عالماً بالفقه والكلام ، والكتب المنزلة والأشعار والأخبار ، والاختلاف ، كما كان حسن الكلام في النظم والنثر.(٢)

٥- الجاحظ وهو عمرو بن بحر ، المكنى بأبي عثمان ، الملقب بالجاحظ ، وذلك بسبب جحوظ وبروز عينيه ، كان الجاحظ من علماء المعتزلة ، والمصنفين لهم ، تتلمذ على يد إبراهيم النظام ، وكان من الأدباء المعدودين المعروفين بأسلوبهم الجيد الرصين ، يدل على ذلك مؤلفاته الأدبية ، قرأ كثيراً من كتب الفلاسفة ، ومن كتب الأدب العربي ،

١- الملل والنحل ج١ ص٤٩ بتصرف ، ونشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص٢١٢ بتصرف.

٢- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٤٤ ، ٤٥ بتصرف.

وتأثر بما قرأ ، وله مؤلفات عدة منها : كتاب الحيوان – البيان والتبيين – الدلائل والاعتبار – فضيلة المعتزلة – خلق القرآن.

وقد عاش الجاحظ في عصر المعتصم ، والمتوكل.[1]

٦- معمر بن عباد السلمي : كنيته أبو عمرو ، عاش في أيام هارون الرشيد ، أخذ عن عثمان الطويل وعن إبراهيم بن يحيى المدين الذي أخذ عن عمرو بن عبيد ، أدرجه ابن المرتضي في طبقة أبي الهذيل والنظام ، ولم تذكر المصادر سنة وفاته.[2]

يقول عنه الشهرستاني : إنه من أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات ، ونفي القدر.[3]

٧- بشر بن المعتمد : أخذ بشر بن المعتمد الاعتزال من معمر بن عباد السلمي بالبصرة ، ونقل المذهب إلى بغداد وصار من رؤسائه هناك ، وكانت له مع الرشيد واقعة ، وتوفي عام ٢١٠هـ.[4]

٨- ثمامة بن الأشرس : أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمد ببغداد ، توفي عام ٢١٣هـ.[5]

٩- أحمد بن خابط : توفي سنة ٢٣٢هـ ، من أصحاب النظام.

١٠- الفضل الحدثي : توفي سنة ٢٥٧هـ ، من أصحاب النظام.[6]

١- المرجع السابق ص٤٩ بتصرف.

٢- نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم ص٢٢٨

٣- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٦٥ ، ٦٦

٤- نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص٢٢٠

٥- المرجع السابق ص٢٢٢

٦- الملل والنحل ص٦٠ بتصرف.

١١- عيسى بن صبيح ، المكنى بأبي موسى ، الملقب بالمرداد ، المتوفي سنة ٢٢٦هـ ، وكان يقال له : راهب المعتزلة ، ومن تلامذته : جعفر بن حرب الثقفي المتوفي سنة ٢٣٤هـ ، وجعفر بن مبشر الهمداني ، المتوفي سنة ٢٣٦هـ ، وأبو زفر ، ومحمد بن سويد ، وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي ، وعيسى بن الهيثم ، وجعفر بن حرب الأشج.(١)

١٢- هشام بن عمرو الفوطي ، المتوفى سنة ٢٢٦هـ.(٢)

١٣- أبو الحسين بن عمرو الخياط ، أستاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي ، المتوفي سنة ٣٠٠هـ.(٣)

١٤- أبو محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، وابنه أبو هاشم عبد السلام ، وهما من معتزلة البصرة.(٤)

١- المرجع السابق ص٦٨ : ٧٠ بتصرف.

٢- المرجع السابق ص٧٢ بتصرف.

٣- المرجع السابق ص٧٦ ، ٧٧ بتصرف.

٤- المرجع السابق ص٧٨ ، ٧٩ بتصرف

تأثر "واصل بن عطاء" بالجهمية والقدرية الأوائل في منهجهم العقلي المطلق الذي لا يضع اعتباراً لقداسة النص ، ويحاول إخضاعه لمفهوم العقل ، فما قبله العقل من نصوص الكتاب والسنة قبلوه ، وما استعصى عليهم قبوله ، حاولوا أن يأولوه بما يتفق مع عقلهم المحدود.

يقول الشيخ محمد عبده : "تفرقت السبل باتباع واصل ، وتناولوا من كتب اليونان ما راق بعقولهم ، وظنوا أنه من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبته العلم بدون تفرقة بين ما كان منه راجعاً إلى أوليات العقل ، ومما كان سراباً في نظر الوهم ، فخلطوا بمعارف الدين ما لا ينطبق حتى على أصل من أصول النظر".[1]

ومع أن واصل قد توفي عام ١٣١هـ نهاية العصر الأموي ، إلا أن مذهبه قد نما وترعرع في العصر العباسي ، عصر الانفتاح الفكري الذي انتقلت فيه الفلسفة والمنطق وترجمت سائر علوم اليونان ، وبدأت المذاهب الوثنية تغزو عقول المسلمين ، وراح الفرس واليهود والنصارى يستخدمون الفلسفة والمناهج العقلية في الهجوم على العقائد الإسلامية مما جعل المعتزلة يدرسون أساليب الخصوم ويتقنونها حتى يتمكنوا من الوقوف أمامها ، وهذا أمر يحمد للمعتزلة لأنهم دافعوا عن الإسلام في وقت كان في أشد الحاجة إلى الوقوف أمام هذا الغزو الفكري الذي قام به أعداء الإسلام ، وهكذا كان المعتزلة أول من تسلح بالعقل والمنطق في مواجهة أعداء الإسلام.

كما كان هناك سبب آخر أدى إلى تبني هذا المنهج وهو ظهور الحشوية ، والمجسمة والمشبهة الذين راحوا يحشون أحاديث رسول الله ﷺ

١- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص١١

بالإسرائيليات ، التي تجسد الإله وتشبهه بمخلوقاته ، وقد كان مقاتل بن سليمان وهو زعيم الحشوية والمفسر المشهور يزعم أن الله جسم من الأجسام ، لحم ودم ، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه على صورة الإنسان[1] – تعالى الله عما يقول علواً كبيراً – "وكان منهج الحشوية هو الأخذ بظاهر الآيات فقط دون أدنى تدخل من العقل ، بل آمنوا بظاهرها الذي لا يليق بالله سبحانه وتعالى ، ونفوا أن يكون للعقل مدخلاً في التشريع والاجتهاد ، ولا شك أن أصحاب هذا الاتجاه يمثلون اتجاهاً لا عقلياً يبتعد عن روح الإسلام ابتعاداً واضحاً".[2]

وهذا ما جعل الجهمية يتجهون اتجاهاً مضاداً حيث اعتمدوا العقل وحده منهجاً للبحث ، ورفضوا النص وأولوه وصرفوه عن ظاهره لحساب العقل ، وجاء المعتزلة لكي يسيروا على نفس الدرب ، وهكذا لم يكن منهجهم منهجاً طبيعياً ، بل كان خاضعاً لرد الفعل.

وهذا المنهج كان يحمد لهم لو أنهم اكتفوا به في مناقشة أعداء الإسلام والمنحرفين عن العقيدة الإسلامية ، ولكنهم تعدوا هذه الحدود وراحوا يقومون على أساسه كل العقائد الإسلامية ، وهنا وقعوا في أخطاء كثيرة ، ففيما يتعلق بموضوعات نص عليها القرآن الكريم من غير المعقول أن يكون عقلهم وحده هو محط النقاش ، بل كان عليهم أن يجمعوا بين العقل والنقل ، وأن يسايروا منهج القرآن ، لأنه منهج العقل الصحيح ، ولذلك يقول ابن خلدون : "الأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حيث دافعوا ونصروا ، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقه".[3] أ.هـ[4]

١– نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ النشار ص٢٩٠

٢– علم الكلام وبعض مشكلاته للشيخ أبو الوفا التفتازاني ص١٥٨

٣– العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث د/ سعد الدين صالح ص٦٧

٤– نقلاً عن كتاب "الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية" ص١٣٢ ، ١٣٣

"وإذا ما نظرنا إلى أفكار المعتزلة بصفة عامة وجدناهم أكثر الفرق الإسلامية أخذاً بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها ، فلا نكاد نقرأ لواحد من أئمتهم حتى نلمس ظلال الفلسفة اليونانية متمشية في جنبات أفكاره ، الفلسفة اليونانية بميتافيزيقيتها وجدلها ومنطقها ، ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ما تكون عند أبي الهذيل العلاف ، وإبراهيم النظام ، والجاحظ.

ولمحة أخرى نلمسها في أفكار المعتزلة وهي تلك الثقافات الكثيرة العريضة الملتمعة في مناهجهم ، فقد كانوا حينما يعمدون إلى الجدل يتسلحون بأسلحة مجادليهم وأعدائهم ، سواء أكان هؤلاء المجادلون من أبناء الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج أم من الزنادقة والدهرية أم من النصارى واليهود. ومن الأمثلة الطريفة التي تصور لنا مقدرة المعتزلة على الجدل ذلك الحوار الذي جرى بين أبي الهذيل وتلميذه إبراهيم النظام المعتزلي من ناحية ، وصالح بن عبد القدوس السفسطائي الشاك المفكر لحقائق الأشياء من ناحية أخرى.[١]

كان صالح بن عبد القدوس قد مات له ولد ، فمضى إليه أبو الهذيل العلاف يرافقه تلميذه النظام ، وكان صالح حزيناً الحزن كله ، جزعاً الجزع كله ، فقال له أبو الهذيل : لا أدري لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال صالح : يا أبا الهذيل : إنما جزعت لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه كان ، فلما سمع النظام – وهو التلميذ الصغير – صالحاً يقول هذا القول أردف موجهاً الحديث لصالح : فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قرأ الكتاب وإن لم يكن قرأه. !!!! [٢]

١– إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة ص٣٩٩

٢– ابن خلكان ج١ ص٤٨١ نقلاً عن د/ مصطفى الشكعة.

ومهما كان الأمر فبالرغم من جنوح المعتزلة في كثير من الأحيان إلى الشطح في التفكير والتعبير ، وبالرغم من انتهاج الشدة والاستعانة بالحكام والخلفاء في نشر مذهبهم ، فقد كانوا يمثلون المدرسة الإسلامية المفكرة ، فقد اتفقوا مع الشيعة في كثير من عقائدهم ، واتفقوا مع أهل السنة في العبادات وإن اختلفوا في مسائل علم الكلام ، كما أنهم دافعوا عن الإسلام دفاعاً مجيداً ضد الزنادقة والمجسمة والرافضة وغيرهم ممن لو تركوا وشأنهم لكان خطرهم على المسلمين شديداً.[1] أ.هـ

إن المعتزلة اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

كما أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية ، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية ، كما سنرى.

وقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد "واصل بن عطاء" كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي ، وهذه المقولات نوجزها مع أصحابها بما يلي:

- مقولة : أن الإنسان حر مختار بشكل مطلق ، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه ، قالها : معبد الجهني ، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرّحم بن الأشعث .. وقد قتله الحجاج عام ٨٠هـ. وكذلك قالها غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز ، وقتله هشام بن عبد الملك.

١- إسلام بلا مذاهب ص٤٠٢

- ومقولة : خلق القرآن ، ونفي الصفات ، قالها الجهم بن صفوان ، وقد قتله سالم بن أحوز في مرو عام ١٢٨هـ.

ومن قال بنفي الصفات أيضاً : الجعد بن درهم الذي قتله "خالد بن عبد الله القسري" والي الكوفة.

وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية ، وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية عامة ، وبالمنطق الصوري الأرسطي خاصة.

وما كان الإسلام ضد العقل يوماً ما ، ولا خالف العقل منهج الإسلام أيضاً ، وإن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل ، وحتى لا يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل أو أنه يسعى للحجر عليه ، ولكن في مجال استعمال العقل لا بد من عدد من الضوابط ، منها :

١- أن لا يتعارض استعمال العقل مع النصوص الصحيحة.

٢- أن لا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعتبر الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

٣- أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها "وهي ما يعرف بالأمور التوقيفية".

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة ، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور.[1]

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاب والأحزاب المعاصرة ج١ ص٦٩ : ٧٥ بتصرف.

هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية ، فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي.

وقيل : إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية – وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ – قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

- إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد مورداً من موارد الفكر الاعتزالي ، إذ أنه كان يقول بالأصح ، ونفي الصفات الأزلية ، وحرية الإرادة الإنسانية.
- ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، قيل : أنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسويه ، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.(١)
- تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات ، فمن ذلك قول أبناء دقليس الفيلسوف اليوناني : "إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة وهو الجود والعزة ، والقدرة والعدل الخير والحق ، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو ، وهو هذه كلها".(٢)

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه : "إن الباري علم كله ، قدرة كله ، حياة كله ، بصر كله". فأخذ العلاف – وهو من شيوخ المعتزلة –

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج١ ص٧٦

٢- الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٥٨.

هذه الأفكار وقال : إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته.

- وأخذ النظام من ملاحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة ، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب). وهذا من عجائبه حتى قيل : إن من عجائب الدنيا "طفرة النظام وكسب الأشعري".
- وإن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة ، ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي ، وقالا ما يلي:

١- إن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة.

٢- إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة.

٣- القول بالتناسخ.

٤- حملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

- يؤكد العلماء تأثير الفلسفة اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم ، فقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وتمذهب بمذهبهم ، حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة.
- ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق – حيث نشأ المعتزلة – الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة ، فبعضهم ينتهي إلى الكلدان ، وبعضهم إلى الفرس ، وبعضهم نصارى ، وبعضهم يهود ، وبعضهم مجوس ، وقد دخل هؤلاء في الإسلام وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية.[١]

١- الموسوعة الميسرة ج١ ص٧٦ ، ٧٧

الفكر الاعتزالي الحديث

يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد ، فألبسوه ثوباً جديداً ، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل : العقلانية ، أو التنوير ، أو التجديد ، أو التحرر الفكري ، أو التطور ، أو المعاصرة ، أو التيار الديني المستنير ، أو اليسار الإسلامي.

- وقد قوى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي ، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل الإنساني ، فلجأوا إلى التأويل ، كما لجأت المعتزلة من قبل ، ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم ، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات المادية ، وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل .. إلا من هذا القبيل.
- وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة ، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية ، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر.
- وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي .. محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة .. مثل عقوبة المرتد ، وفريضة الجهاد ، والحدود ، وغير ذلك. فضلاً عن موضوع الحجاب ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، والإرث .. إلخ.

وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله .. وتحكيم العقل في هذه المواضيع ، ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

ومن دعاة الفكر الاعتزالي في العصر الحديث زعماء وأدباء ومفكرون ومصلحون وعلماء أضفيت عليهم ألقاب وأعطيت لهم رتب ، وألقيت عليهم أضواء ، وأفسح لهم المجال للكتابة والخطابة ، للظهور واللمعان ، فحاربوا شرع الله باسم الإصلاح ، والتجديد والتنوير . وأدخلوا المسلمين في معارك كانوا أغني الناس عنها ، وجعلوا الدين شيعاً وأحزاباً ، وأجملنا القول في تلك القضية لأننا لا ندري من نكتب ومن نترك !!!

هذا ويتضح مما سبق أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون ، وكانت هذه الحركة نوع من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقالاته العقائدية والفكرية بنفس الأفكار والمناهج الوافدة ، وذلك دفاعا عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه ، ولكن هذا التوجه قاد إلي مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهاً لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين

ومن الواضح أيضاً أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم ، وذلك أن ما يعرضون الآن من اجتهادات ، وإنما الهدف منها أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية والدفاع عن نظامه العام قولاً بأنه إن لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية ، فهو ليس بأقل منها .

ولذا فلا بد أن يتعلم الخلف من أخطاء سلفهم ، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله هي في تميز منهجه وتفرد شريعته واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات في إطار الذي يمثله الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في شمولهما وكمالهما ([1])

---

١ - الموسوعة الميسرة ج ١ ص (٧٦ : ٧٩) بتصرف .

وأخيراً أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على المعتزلة – قديماً وحديثاً

- الملل والنحل للشهرستاني.
- الفرق بين الفرق للبغدادي.
- مقالات الإسلاميين للأشعري.
- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري.
- القاضي عبد الجبار الهمراني د/ عبد الكريم عثمان.
- ابن تيمية للشيخ محمد أبي زهره.
- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام بن تيمية.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- عقائد السلف د/ علي سامي النشار.
- المعتزلة بين القديم والحديث محمد العبده ، وطارق عبد الحليم.
- الدعوة إلى التجديد في منهج النقد عصام البشير.
- غزو من الداخل جمال سلطان.
- المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة د/ ناصر العقل – العدد الثالث سنة ١٤٠٠هـ من مجلة كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الوحدة الخامسة

الجبريـــة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملماً بما يلي:

١- معنى الجبرية.

٢- أصولها العقدية.

٣- مبادئ الجبرية.

٤- الرد على أهم مبادئها.

٥- أصناف الجبرية.

٦- فرق الجبرية.

٧- أعلام المذهب الجبري.

أولاً

معني الجبرية

الجبرية : ضد الاختيار وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلي الرب تعالي ، والجبرية فرقة من الفرق المنسوبة إلي الإسلام ، وقد نسبت إلي الجبر فقيل " جبرية " بسبب ما ذهبت إليه من آراء وما عتنقت من عقائد .

وفرقة الجبرية تدين بعقائد كثيرة ، ولها بدع وضلالات وفيرة ، ولكنها نسبت إلي الجبر ، وهو قولها : إن العبد مجبر في فعله ، ليس له حرية ولا إرادة ولا اختيار ، ولا قدرة له على فعل ما ، وأن الله – تعالي – هو فاعل أفعال العباد .

فنسبوا لهذه المقالة لأنها أشنع ما ذهبوا إليه ، ولأن الضلال والزيغ فيها أوضح ، ولأن المذاهب في أفعال العباد لها شهرتها وضعنها .

ثانياً

أصولها العقدية

والقول بالجبر ليس وليد هذه الفرقة الضالة ، وليست هي أول من ضل به ، أو ضل فيه ، فإن القول بالجبر اشتهر عن بعض أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى ، حتى إن أول القائلين به في الإسلام وهو " الجعد بن درهم قد تلقي هذه المقالة عن يهودي بالشام فاعتنقها ثم نشرها بين الناس بالبصرة . وقد سمعها عنه " الجهم بن صفوان " فصار من أكبر دعاتها ، فاليهود قالوا بها ، والنصارى كذلك .

وكذلك قال بها المشركين على عهد سيدنا رسول الله (ﷺ) ولقد حكي القرآن المجيد مقالتهم هذه في أكثر من موضع من الكتاب العزيز ، قال الله – سبحانه وتعالي - : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم

مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [1] فالمشركون يشركون بالله – سبحانه – ويحلون ويحرمون كما يشتهون ، ثم يحتجون بالقدر زاعمين أنهم مجبرون على ما يفعلون من إثم وشرك ، وأن ما يفعلونه إنما هو مشيئة الله – تعالى – فيهم.

فالقول بالجبرية قال به أهل الأديان السابقة ، وكذلك قال به المشركون ، ثم انتقل إلى البيئة الإسلامية ، ولم يكن "الجعد بن درهم" أول القائلين به في الإسلام ، فقد سبق الجعد إلى القول بالجبر بعض الناس على عهد "عمر بن الخطاب" و "عثمان بن عفان" – رضي الله عنهما – ولكنا اعتبرنا "الجعد بن درهم" أول القائلين بالجبر ، من حيث إنه أول من نظم القول به ، ومَهَّد له ، ودعا إليه ، ومن ثم جعل منه مذهباً له مبادؤه وله أتباعه. ونحن لا نعتبر كل مقالة يقول بها فرد مذهباً ، أو نعد ذلك الفرد الذي قال بها فرقة من الفرق ، إلاّ إذا كانت تلك المقالة لها دعاة ، وللدعاة أتباع ، وقد وضع أصحاب تلك المقالة لمقالتهم تلك قواعد ومبادئ تميز ما ذهبوا إليه عما ذهب إليه الآخرون ، حينئذ تكون مقالتهم مذهباً ، ويكون القائلون بها فرقة. لذلك فنحن قد سمعنا القول بالجبر من بعض أفراد ، ولم نعد ذلك مذهباً.[2]

إذاً هذه الفرقة كانت بدايتها على يد رجل يسمى "الجعد بن درهم" أخذ هذه المقالة الضالة وتتلمذ فيها على يد يهودي اسمه "طالوت بن أعصم" ثم نشر "الجعد" هذه المقالة في البصرة حيث اتبعه فيها أناس ، ثم جاء تلميذه الأشهر "الجهم بن صفوان" فأخذ المذهب عن "الجعد" ، وزاد فيه أموراً ، سنذكرها إن شاء الله في المبادئ ، وقد اجتهد هذان الشقيقان في نشر المذهب الضال حتى قتلهم ولاة المسلمين "حداً".[3]

١- سورة الأنعام آية ٤٨

٢- تاريخ الفرق الإسلامية ص٦٥ : ٦٨ بتصرف.

٣- المرجع السابق ص٦٩ ، ٧٠ بتصرف.

ثالثا مبادئ الجبرية

للجبرية مبادئ كثيرة ، سنشير – فيما يلي – إلى أهمها :

أولاً : وأهم هذه المبادئ وأشهرها عند القوم ، وأجمعها لطوائف المذهب ، إنما هو مبدأهم الخاص بأفعال العباد ، وأن العباد في أفعالهم مجبرون ، وكل ما يصدر عنه إنما يصدر عنه اضطراراً ، فليس له إرادة أو قدرة أو اختيار.

فهو – كما يقولون – كالريشة المعلقة في الهواء يسيرها الهواء حيث يشاء ، فكذلك العبد هو في يد القدر يسيره حيث يشاء ، فجميع أفعال العباد اضطرارية ، والله تعالى أوجد الفعل في العباد كما أوجده في الجمادات والنبات ، وإذا نسبت الأفعال إلى العبد فإنما تنسب إليه مجازاً باعتبار المحل ولا تنسب إليه حقيقة. كما تنسب الأفعال إلى النبات والجمادات ، فقولنا : صلى فلان وصام ، أو قتل وزنى ، مثل قولنا : نبت الزرع ، وأثمرت الشجرة ، وسقط الحجر ، كلها إسنادات مجازية من باب إسناد الشيء إلى محله.

وقالوا : إن التكليف جبر ، والحساب جبر ، والثواب جبر ، والعقاب جبر ، والعبد لا صلة له بهذه كلها سوى أنه محل لها ، والفاعل والمريد هو الله – سبحانه عما يقولون –.

وقد صور شاعرهم تكليف الله – تعالى – العبد وهو مجبر لا اختيار له بقوله:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء [1]

١– تاريخ الفرق الإسلامية ص٧٠ ، ٧١ بتصرف.

يقول "الشهرستاني" مصوراً مذهب القوم : "ومنها قوله – يعني الجهم بن صفوان شيخ الجبرية – في القدرة الحادثة : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، وإنما يخلق الله – تعالى – الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيمت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وأنبتت ، إلى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر ، قال : وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً".[1] غير أن الإمام الأشعري يقول : "إن "الجهم" يرى أن الله خلق للإنسان قوة كان بها الفعل ، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك ، كما خلق له طولاً كان به طويلاً ، ولوناً كان به متلوناً" وهو بهذا يقرب من مذهب المعتزلة.[2]

ثانياً : القول بأن القرآن حادث مخلوق ، كما زعمت المعتزلة أيضاً .

ثالثاً : نفي الصفات الأزلية عن الله – سبحانه وتعالى – مشابهين المعتزلة في ذلك أيضاً.

رابعاً : لا يصفون الباري – تعالى – بصفة يوصف بها الخلق ، لأن ذلك يقتضي تشبيه الله – تعالى – بالمخلوقين ولذلك نفوا وصف الله – تعالى – بأنه حي ، عالم ، سميع ، بصير ، غني ، حكيم ، رحيم ، نفوا هذه

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٧

٢- نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص١٧٦ بتصرف ، ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص١٨

الصفات عن الله تعالى ، وما يماثلها مما يوصف به الخلق. فهم يثبتون لله – تعالى – الصفات بشرطين:

١- ألا تكون أزلية ، ومن ثم فهم يصفون الله تعالى بالصفات الحادثة.

٢- ألا تكون من جنس ما يوصف به العباد.

فالعباد يوصفون بأنهم أحياء علماء ، يسمعون ويبصرون ، فهذه الصفات لا يجوز وصف الله تعالى بها عند الجبرية ، لأن فيها تشبيهاً لله – سبحانه – بالمخلوقين.

ويرى أن "جهم بن صفوان" كان يخرج بأتباعه فيقف بهم على المجذومين ، ويقول لهم : "انظروا ، أرحم الراحمين يفعل هذا ؟" ينكر رحمة الله تعالى ، كما هو إنكار لحكمته سبحانه.

خامساً : نفي رؤية المؤمنين ربهم – سبحانه – في الآخرة.

سادساً : أن حركات أهل الخلدين – الجنة والنار – تنقطع ، وأن الجنة والنار تفنيان بعد أن يتنعم أهل الجنة ، ويتعذب أهل النار المدة التي قدرها الله – تعالى – ، وقد استدلوا على فناء الجنة والنار ، وفناء النعيم والجحيم بقوله تعالى : في أهل الجنة وأهل النار : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [1] فقد حمل الخلود في الآية الكريمة على المبالغة والتأكيد ، أو على طول المدة ، واستشهدوا على فناء الخلدين بأن الآية التي معنا اشتملت على شرط ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ واشتملت على استثناء ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ والخلود الدائم الذي لا ينقطع لا شرط فيه ولا استثناء.

١- سورة هود آية ١٠٧ ، ١٠٨

ويستدل على ذلك بأنه تعالى حيث كان أولاً ولا شيء معه ، فيجب أن يكون آخراً ولا شيء معه.

سابعاً : أن الإيمان يتحقق بمجرد المعرفة ، حتى ولو لم يقر اللسان ، أو جحد اللسان ، فمن عرف بقلبه فهو مؤمن ، حتى لو أنكر وكفر بلسانه ، وعلى هذا يلزم القول بأن كفار مكة مؤمنون ، لأنهم يعرفون صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عن ربه ، ولكنهم يكذبون بألسنتهم عناداً واستكباراً ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [1]

ويقول سبحانه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [2] فالقرآن أخبر أن المشركين كانوا يعرفون صدق رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا يكذبونه بألسنتهم ، وحسب مبادئ الجبرية فهؤلاء المشركون مؤمنون ، لأنهم حصلوا المعرفة وجحدوا بألسنتهم ، وهذه مخالفة منهم لصريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

والإيمان – في نظره – لا يتبعض ، بمعنى أنه لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل ، ولا يتفاضل الناس فيه.

ثامناً : أن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع ، إذ أن العقل يمكنه معرفة الخير والشر ويدركهما ، ويمكنه أن يصل إلى معرفة ما وراء الطبيعة والبعث.

١- سورة الأنعام آية ٣٣

٢- سورة النمل آية ١٤

تاسعاً : ينكر "جهم" أن يكون الله تعالى على العرش ، أو أن له كرسياً ، أو أن يكون في السماء دون الأرض ، بل الله – في نظره – في كل مكان.[1]

عاشراً : ينسب إلى "جهم" إنكاره أو تأويله : للميزان ، والصراط ، وملك الموت ، وعذاب القبر ، ومنكر ونكير ، والشفاعة ، ينكر ما اقتصر وروده على الحديث ، ويؤول ما ورد ذكره في القرآن الكريم. !!!

ولكن هذا المذهب لم يستمر طويلاً ، بل كتب الله له الفناء والانتهاء ، وذلك لأنه مذهب لا يسير مع العقل ، ولا يتفق مع الوارد في النقل ، فهو لم يتمسك بالنصوص الشرعية فيسلم بما ورد فيها من صفات الله تعالى ، وإنما نفاها خوفاً من مشابهة الله لخلقه ، ونفى كثيراً مما ورد في أحوال الآخرة من الصراط الميزان والشفاعة وغيرها ، لمخالفتها للعقل في نظره ، ولم يساير العقل ، ولم يمش على مقتضاه ، فيثبت حرية العبد واختياره في تصرفاته ، حتى يمكن محاسبته ، ومجازاته على أفعاله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإنما يذهب إلى أن العبد مجبوراً على الفعل وغير مختار فيه ، فكيف يحاسبه الله تعالى على فعله ؟

ولما كان هذا المذهب مضطرباً في آرائه وقواعده ، فلم يساير العقل ، ولم يوافق على ما جاء به النقل كتب له الفناء وعدم الاستمرار ، وكان لهذا المذهب أثر واضح في مذهب المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن.[2]

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص٧٢ ، ٧٣ بتصرف ، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٧ ، ٨٨ ، التنبيه والرد للملطي ص٩٧ ، ٩٨

٢- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص١٩ ، والتنبيه والرد للملطي ص١٠٦ بتصرف ، نقلاً عن : نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص١٧٩ بتصرف.

ولنا تعليق ورأي – كوجهة نظر – يبين عدم فناء هذا المذهب كما ذكر الشيخ ، ولكن .. هناك آثار متبقية لهذا المذهب في كثير من المبادئ والآراء التي تبناها ، ومن ذلك :

- وجود فكرة الجبر عند كثير من الناس يبررون بها أخطاءهم وتقصيرهم ، ويقولون : قضاء وقدر!! أو المكتوب على الجبين ، لابد وأن تراه العين !! ، أو حتى يريد الله تعالى الهداية لنا ، وما أشبه ذلك.
- ضلال كثير من الناس في مفهوم الصفات ، أو تعطيلها على نحو ما ذهبت إليه الجبرية والمعتزلة ، والزعم بأن الله تعالى في كل مكان ، ونفي استواء الله تعالى على عرشه ، ونفي العلو عنه –سبحانه.
- وجود طبقة مثقفة تقدم العقل على النص ، وتؤول في كتاب الله تعالى ، وتنكر السنة ، فمنهم من أنكر الشفاعة ، ومن أنكر عذاب القبر ، ومن تأول الميزان والصراط على نحو ما ذهبت إليه الجبرية ، ومن نحا نحوها. !! .. إلخ.

رابعاً الرد على ما ذهب إليه الجبرية

للجبرية أدلة يستدلون بها على صحة مبادئهم التي قالوا بها ، ونبدأ بأدلتهم على عقيدتهم في أفعال العباد ، وأن العباد مجبرون في أفعالهم ، ولهم على هذا المبدأ أدلة نقلية وأدلة عقلية.

أما الأدلة النقلية ، فقد استدلوا بالآيات الدالة على عموم الخلق ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) وبالآيات الدالة على إثبات الإرادة والاختيار لله تعالى ، ونفي ذلك عن العباد ، ومن ذلك قوله الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٣) واستدلوا كذلك بالآيات التي تسند الهداية والإضلال إلى الله – سبحانه – ومنها قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤)

وأما الأدلة العقلية ، فلا نكاد نجد لهم دليلاً يستحق الذكر ، وأشهر دليل لديهم قولهم : إن فعل العبد إما أن يكون مقدوراً لله وحده ، أو للعبد وحده ، أو لله وللعبد ، أو لا لله ولا للعبد ، والرابع باطل لاستحالة وجود فعل بلا فاعل ، والثالث باطل لما يلزم عليه من اجتماع قدرتين على مقدور واحد ، أو فاعلين على فعل واحد ، وهو محال ، والثاني باطل لتضافر النقل والعقل على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله – سبحانه – وهو باطل أيضاً لما يترتب عليه من إخراج بعض الأشياء عن قدرة الله تعالى ، مع أن الله تعالى على كل شيء

١- سورة الصافات آية ٩٦
٢- سورة القصص آية ٦٨
٣- سورة الإنسان آية ٣٠
٤- سورة إبراهيم آية ٤

قدير. وإذا بطل الرابع ، والثالث ، والثاني ، لم يبق إلا الأول ، فيثبت أن الفاعل لأفعال العباد هو الله – سبحانه – وليس للعباد فيها قليل ولا كثير.

وبهذا يثبت أنه ليس للعبد تأثير في فعل ما ، فيكون مضطراً في جميع أفعاله.

تقويم المذهب :

ما من شك في أن هذا المذهب فاسد ، وفساده ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، لأنه ينقض الدين من قواعده ويقوض الأخلاق ويزري بالسلوك والآداب ، ونحن نشير إلى جملة من ضلالاته:

١- فالمذهب يؤدي إلى أنه لا معنى للتكليف وإرسال الرسل ، والجزاء مثوبة وعقوبة ، فكل ذلك لا فائدة منه ، ولا حكمة وراءه ، وبناء على المذهب يكون التكليف عبثاً ، وكذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب والتشريعات ، ثم البعث والحساب.

كل هذه الأمور الجوهرية في الدين ، أو هي الدين في جملته وتفصيله يقرر المذهب أنها عبث لا حكمة وراءها ، ولا فائدة فيها ولا معنى لها.

والمذهب بهذا : مكذب بالقرآن والسنة ، معارض لإجماع الأمة. فالقرآن والسنة وإجماع الأمة كلها تقرر أن الدين حق ، وأن الله تعالى حكيم في كل أفعاله ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لهواً ، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

٢- اتفاق العقلاء – بداهة – على أن أفعال الإنسان تنقسم إلى أفعال اضطرارية وأخرى اختيارية ، وهذا ما يحسه ويشعر به كل إنسان من أنه في أفعاله الاختيارية يستطيع أن يفعل الشيء أو يتركه ، فالقدرة على الفعل والترك دليل الاختيار وحرية الإرادة.

٣- ما هو مقرر لدى جميع العقلاء من أن هناك فرقاً بين أفعال الإنسان الاختيارية وأفعال البهائم ، والنباتات ، وكذا الجمادات.

٤- القرآن الكريم والسنة النبوية يقرران حرية الإنسان في كل أفعاله الاختيارية وبالذات في قضايا الأفعال التي تمس الدين ، ويكون عليها الجزاء مثوبة أو عقوبة ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (1) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر ... ﴾ (2) ويقول عز وجل : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ (3)

ويقول ﷺ : ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لك امرئ ما نوى ﴾ (4)

أ.هـ(5)

وأما نفيهم الصفات الأزلية عن الله تعالى ، أو كل صفة يوصف بها الخلق ، وقولهم بخلق القرآن ونفي رؤية المؤمنين ربهم سبحانه في الآخرة ، فقد سبق الرد على ذلك عند الكلام عن المعتزلة ، وكذلك قولهم بأن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع.

وأما الزعم بأن حركات أهل الخلدين تنقطع ، وأن الجنة والنار تفنيان ، فهذا أمر مردود ومرفوض لأن الجنة والنار خالدتان وباقيتان بإبقاء الله تعالى لهما ، وكل ما ورد في القرآن والسنة يدل على ذلك. كما يدل على خلود أهلهما فيما أبداً ، فأهل الجنة خالدون فيها أبداً ، كما دل على ذلك القرآن ، وأهل النار

١- سورة البقرة آية ٢٨٦

٢- سورة الكهف آية ٢٩

٣- سورة النجم الآيات ٣٩ : ٤١

٤- متفق عليه.

٥- تاريخ الفرق الإسلامية ص٧٣ : ٧٧ بتصرف.

– باستثناء عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار بما بقي معهم من إيمان ، كما دلت على ذلك السنة الصحيحة – هم كذلك خالدون فيها أبداً ، وأما ما جاء في الآيتين هنا بتعليق الخلود على دوام السموات والأرض ، والمشيئة كذلك ، فهذا يحتاج إلى فهم صحيح ، فإن قوله تعالى ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ فمعناه ليست هذه السموات ، ولا تلك الأرض ، وإلا فإنهما سيفنيان قبل يوم القيامة ، يوم تتفطر السموات ، وتزلزل الأرض ، وكذلك كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١) وأيضاً ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) فليس المعنى إذاً هو هذه السموات والأرض التي نعهدها في الدنيا ، بل هناك سموات غير السموات ، وأرض غير الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٣) وهذه السموات والأرض تبقى وتدوم ، ثم قول ربنا عز وجل ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ هو تعبير قرآني يناسب لغة العرب ، الذين يعبرون عن ديمومة الشيء بدوام السموات فخاطبهم القرآن بلغتهم ، كما أن معناها أيضاً : ما دامت السموات سموات ، والأرض أرضاً ، كما قيل : لكل جنة سماء وأرض ، فهي دائمة بدوام سمائها وأرضها.

وأما قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فكل شيء يقع في الكون إنما هو بمحض مشيئته وإرادته ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٤) ولا يجبر على شيء – سبحانه وتعالى.

١- سورة الأنبياء آية ١٠٤
٢- سورة الزمر آية ٦٧
٣- سورة إبراهيم آية ٤٨
٤- سورة الأنبياء آية ٢٣

ولذلك قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ فهو على وجهه ، لأن مشيئة الله تعالى اقتضت ألا يخلد في النار من مات على التوحيد ، فهم المستثنون من الخلود في النار ، وهذا واضح.

وأما قوله ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ... ﴾ أي خلود أهل الجنة في الجنة بمشيئة الله تعالى ، لا بإجبار ولا إرغام ، ولا بقهر أو إلزام ، وإنما هي مشيئة الملك العلام ، اقتضت خلودهم في الجنة بلا انقطاع أو انتهاء ، ولذلك قال ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي غير مقطوع ولا منتهي ، فدلت تلك الجملة على تأكد الخلود في الجنة. والله أعلم.[1]

١- آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين د/ عمر عبد العزيز ج١ ص٢٣٦ : ٢٣٨

والجبرية أصناف – كما يقول الشهرستاني –:

فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

والجبرية المتوسطة : هي التي لا تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبري. والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً : جبرياً ، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبرياً ، إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثراً.

والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية ، وكذلك جماعة الكُلاَّبية من الصفاتية ، والأشعرية سموهم تارة حشوية ، وتارة جبرية.

ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية فعددناهم من الجبرية ، ولم نسمع إقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية.(١)

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٥ ، ٨٦

سادسا : فرق الجبرية

١- الجهمية:

أصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرد في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء : منها قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقضي تشبيهاً ، فنفى كونه حياً عالماً ، وأثبت كونه : قادراً ، فاعلاً ، خالقاً ، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل ، والخلق.

ومنها إثباته علوماً حادثة للباري تعالى لا في محل ، قال : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه ، لأنه لو علم ثم خلق ، أفبقي علمه على ماكان أم لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم.

ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم كما تقرر. قال : وإذا اثبت حدوث العلم فليس يخلوا : إما أن يحدث في ذاته تعالى ، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ، وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به ، لا الباري تعالى ، فتعين أنه لا محل له ، فأثبت علوماً حادثة بعدد الموجودات المعلومة.

ومنها قوله في القدرة الحادثة : إن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار.[1]

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٦ ، ٨٧

ومنها قوله : إن حركات أهل الخالدين تنقطع ، والجنة والنار تفنيان. إلى آخر ما ذكرناه عن مبادئ الفرقة تحت عنوان "مبادئ الجبرية"

٢- النجارية:

أصحاب الحسين بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الري وما حولها على مذهبه ، وهم وإن اختلفوا أصنافاً إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولاً ، وهم : برغوثية ، زعفرانية ، ومستدركة ، ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم ، والقدرة ، والإرادة والحياة والسمع والبصر ، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال.

قال النجار : الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه ، فألزم عموم التعلق ، فالتزم. وقال : هو مريد الخير والشر والنفع والضر ، وقال أيضاً معنى كونه مريداً أنه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق أعمال العباد ، خيرها وشرها ، حسنها وقبيحها ، والعبد مكتسب لها ، وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة ، وسمى ذلك كسباً على حسب ما يثبته الأشعري ووافقه أيضاً في أن الاستطاعة مع الفعل.

وأما في مسألة الرؤية فأنكر رؤية الله تعالى بالأبصار وأحالها ، غير أنه قال : يجوز أن يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة إلى العين ، فيعرف الله تعالى بها فيكون ذلك رؤية ، وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة بأشياء منها:

قوله : إن كلام الباري تعالى إذا قرئ فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ، ومن العجب أن الزعفرانية ، قالت كلام الله غيره ، وكل ما هو غيره فهو مخلوق ، ومع ذلك قالت : كل من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر ، ولعلهم أرادوا بذلك الاختلاف ، وإلا فالتناقض ظاهر ، والمستدركة منهم زعموا أن كلامه غيره ، وهو مخلوق لكن النبي ﷺ قال : ﴿ كلام الله غير مخلوق ﴾

والسلف عن آخرهم أجمعوا على هذه العبارة ، فوافقناهم ، وحملنا قولهم غير مخلوق ، أي على هذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات ، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها ، وهذه حكاية عنها.

وحكى الكعبي عن النجار أنه قال : الباري تعالى بكل مكان ذاتاً ، ووجوداً لا معنى العلم والقدرة ، وألزمه محالات على ذلك.

وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة ، إنه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال.

وقال في الإيمان إنه عبارة عن التصديق ، ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ، ويجب أن يخرج من النار ، فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار في الخلود.

ومحمد بن عيسى الملقب ببرغوث ، وبشر بن غياث المريس ، والحسين النجار متقاربون في المذهب ، وكلهم أثبتوا كونه تعالى مريداً لم يزل لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، وعامة المعتزلة يأبون ذلك.[1]

٣- الضرارية:

أصحاب ضرار بن عمرو ، وحفص الفرد ، واتفقا في التعطيل ، وعلى أنهما قالا : الباري تعالى عالم قادر ، على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وأثبتا لله سبحانه ماهيته لا يعلمها إلا هو ، وقالا : إن هذه المقالة محكية عن أبي حنيفة رحمه الله ، وجماعة من أصحابه ، وأرادا بذلك أنه يعلم نفسه شهادة ، لا بدليل ولا خبر ، ونحن نعلمه بدليل وخبر.

وأثبتا حاسة سادسة للإنسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة.

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٨ : ٩٠

وقالا : أفعال العباد مخلوق للباري تعالى حقيقة ، والعبد مكتسبها حقيقة ، وجوزا حصول فعل بين فاعلين ، وقالا : يجوز أن يقلب الله تعالى الأعراض أجساماً ، والاستطاعة والعجز بعض الجسم ، وهو جسم ولا محالة ، بنفي زمانين.

وقالا : الحجة بعد رسول الله ﷺ في الإجماع فقط ، فما ينقل عنه في أحكام الدين من طريق أخبار الآحاد فغير مقبول ، ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبي بن كعب ، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله.

وقال في المفكر قبل ورود السمع إنه لا يجب عليه بعقله شيء حتى يأتيه الرسول ﷺ فيأمره وينهاه ، ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل ، وزعم ضرار أيضاً أن الإمامة تصلح في غير قريش ، حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي ، إذ هو أقل عدداً ، وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة.

والمعتزلة وإن جوزوا الإمامة في غير قريش ، إلا أنهم لا يجوزون تقديم النبطي على القرشي.[1]

٤- البكرية:

أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد

ظهر في أيام واصل بن عطاء ، كما يقول البغدادي ، وكان قد ذهب إلى ما ذهب إليه النظام من بعد ، في دعواه أن الإنسان هو الروح دون الجسد.

ولم يكن يجوز أن يحدث الله في جماد شيئاً من الحياة.

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٩٠ ، ٩١

كما ذهب إلى ما ذهبت إليه أهل السنة في إبطال القول بالتولد ، وكان يزعم أن الله إذا طبع على قلب إنسان لم يكن مخلصاً أبداً ، وأنه مع ذلك مأمور بالإخلاص ، وأن الطبع الحائل بينه وبين الإخلاص عقوبة له ، وأنه مأمور بالإيمان مع الطبع الحائل.

وكان يزعم أن الله يرى يوم القيامة في صورة يخلقها ، ويكلم عباده من تلك الصورة. وكان يذهب إلى أن الله هو المخترع للألم عند الضربة ، ويجوز أن يحدث الضربة ، ولا يحدث الله ألماً.

وكان يذهب إلى أن مرتكب الكبيرة – من أهل القبلة – منافق ، مكذب لله جاحد له ، مخلد في الدرك الأسفل من النار ، إن مات مصراً ، وأن الإصرار على الصغائر من الكبائر.

وذهب إلى أن علياً وطلحة والزبير كفروا وأشركوا – عياذاً بك اللهم – بقتالهم ، لكنهم كان مغفوراً لهم لما في الحديث عن أهل بدر أنه ﴿ **لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ﴾ (١) أ.هـ(٢)

١- متفق عليه

٢- المقالات للأشعري ج١ ص٣١٨ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص٢١ نقلاً عن / نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغلي ص١٨٢

١- "الجعد بن درهم" : نشأ "الجعد" في دمشق ، وقيل إنه كان من خراسان ، وأنه كان من موالي بني مروان وكانت له شخصية قوية ، ولذلك اختير لأن يكون مؤدباً ومربياً "لمروان بن محمد" أحد أمراء بني أمية وآخر خلفائهم ، وقد كان من قوة الشخصية بحيث طبع "مروان بن محمد" بطباعه ، حتى لقب مروان "بمروان الجعدي" ، ويذكر "ابن تيمية" أن ما أصاب "مروان بن محمد" من مصائب ونكبات وانقراض حكم بني أمية على يديه ، إنما كان بسبب انتسابه للجعد بن درهم المعطل.

كان "الجعد بن درهم" يقطن دمشق ، وأخذ ينشر فيها آراءه التي منها أن العبد لا اختيار له في الفعل ، وأنه مجبور عليه ، وأن الله تعالى هو الخالق لفعل العبد ، والعبد كالريشة المعلقة في الهواء تحركها الريح كيف تشاء.

ومن آرائه أنه ذهب إلى نفي الصفات عن الله تعالى ، فكان يقول : ما كلم الله موسى تكليماً ، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وأنه أظهر القول بخلق القرآن ، وهذا القول قد أوغر صدور الأمويين عليه فطلبوه ، فهرب من دمشق ، وذهب إلى الكوفة وعاش بها ، فلقيه الجهم بن صفوان ، وأخذ عنه هذا القول.

وهناك في مدينة "الكوفة" أخذ ينشر رأيه الذي آمن به ، وهو نفي الصفات عن الله تعالى ، والقول بالجبر وعدم قدرة العبد على الفعل ، ولكن والي الكوفة في ذلك الوقت "خالد بن عبد الله القسري" تلقى الأمر من خليفة المؤمنين "هشام بن عبد الملك" بقتل الجعد ، فحبسه "خالد" ولم يقتله ، فجاءه كتاب آخر من "هشام بن عبد الملك" يؤكد فيه طلبه الأول

بأن يقتله ، وصادف ذلك أن جاء هذا الكتاب في أيام "عيد الأضحى" فلما صلى "خالد" العيد ، قام فخطب الناس ثم قال في نهاية خطبته "انصرفوا وضحوا بضحاياكم ، تقبل الله منا ومنكم ، فإني اليوم أريد أن أضحي بالجعد بن درهم ، فإنه يقول : ما كلم الله موسى تكليماً ، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً ، ثم نزل وحز رأسه بالسكين في أصل المنبر.

وبهذا يكون "الجعد" هو أول من نفى الصفات عن الله تعالى ، وعنه انتشرت مقالة الجهمية ، قال الذهبي في المغني : الجعد بن درهم ضال مضل ، زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً.

ويذكر ابن تيمية في الرسالة الحموية نصاً يقول فيه : "أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وإن كان سمع أصلها في عصر التابعين ، وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، فنسبت إليه.

ويذكر أيضاً أن أول من أظهر النفي للصفات والأفعال هو الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد. قال الإمام أحمد – وكان يقال أنه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات.

والجعد بهذا أول من نادى بالتعطيل ، ولاتعطيل إصطلاح خاص وضعه السلف وصماً للمعتزلة ومن رأى رأيهم ، ومعناه : إنكار الصفات القديمة القائمة بالذات ، فالجعد من نفاة الصفات ، وقد أداه القول بنفي الصفات عن الله تعالى إلى القول بخلق القرآن ، ومعنى ذلك أنه ينكر كلام الله تعالى القديم.(1)

١- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص١٢ : ١٤ بتصرف.

٢- جهم بن صفوان : أما "جهم بن صفوان" فقد ولد في فارس ، وظهرت بدعته في "ترمز" وقتله "سالم بن أحوز" المازيني "بمرو" في آخر حكم بني أمية سنة ١٢٨هـ ، فقد نشأ في سمرقند بخراسان ، ثم قضى فترة من حياته الولى في "ترمز" ، ويبدوا أنه دخل الكوفة ، وهناك التقى بالجعد بن درهم ، وأخذ عنه مذهبه ، وهو منهج التأويل وعدم الاهتمام بعلم الحديث ، يقول ابن حجر عنه "وما علمته روى شيئاً ، ولكنه زرع شراً عظيماً" ثم رجع إلى ترمز ، وأخذ ينشر آراءه ويذيعها ، وكان صاحب نظر وذكاء وفكر وجدال.

مذهبه : يتلخص مذهب "جهم" إجمالاً في أنه كان يقول بالجبر ، وينفي الاختيار عن العبد ، كما كان يقول بنفي الصفات.

ومذهب "جهم" هذا يعتبر رد فعل لمذهبين ظهرت بذورهما في الدولة الإسلامية حينذاك :

أحدهما : مذهب الاختيار ، الذي كان يدعوا إليه "غيلان الدمشقي" فقال "جهم" بالجبر.

ثانيهما : إثبات "مقاتل بن سليمان" للصفات الإلهية إثباتاً يجعله في عداد المشبهة فقال "جهم" بنفي الصفات.

ويروى عن "أبي حنيفة" أنه قال : "أفرط "جهم" في نفي التشبيه ، حتى قال : إنه – تعالى – ليس بشيء ، وأفرط "مقاتل" في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه".

وكما جادل جهم المشبهه والقدرية جادل كذلك "السمنية" أتباع أحد المذاهب الهندية ، روى الإمام "أحمد" أن "جهم" لقي بعض "السمنية" فقالوا له : نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فوافق على ذلك ، فقالوا له : ألست تزعم

أن لك إلهاً ؟ قال : بلى ، فقالوا له : فهل رأي إلهك ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل سمعت كلامه ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل شممت له رائحة ؟ قال : لا ، هل وجدت له حساً ؟ قال : لا ، فقالوا : هل وجدت له مجساً ؟ قال : لا ، فقالوا له : فما يدريك أنه إله ؟ فقال لهم الجهم : ألستم تزعمون أن فيكو روحاً ؟ قالوا : بلى ، فقال لهم : هل رأيتم روحكم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : أسمعتم كلامه ؟ قالوا : لا ، قال : فهل وجدتم له حساً أو مجساً ؟ قالوا : لا ، قال : فكذلك الله. لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان.[1]

١- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص١٤ : ١٦



القدريـــة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك - عزيزي الدارس - بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملماً بما يلي:

١- مدخل يشمل تعريف القدر واختلاف الناس حوله.

٢- سبب تسمية الفرقة بالقدرية.

٣- نشأة الفرقة.

٤- أدلة القدرية.

٥- الرد على القدرية.

٦- بين القدرية والمعتزلة.

أولاً مدخل يشتمل على تعريف القدر ، واختلاف الناس حوله.

من العقائد الإيمانية في الإسلام والتي لا يتحقق الإيمان إلا بها "الإيمان بالقدر" والإيمان بالقدر يعني : الإيمان بأن الله – سبحانه وتعالى – قد علم كل شيء ، وقدر كل شيء قبل أن يخلق شيئاً ، فكل شيء حدث ويحدث وسوف يحدث في هذا الوجود في الأرض والسموات وما بينهما ، كل ذلك علمه الله – تعالى – وقدره أزلاً ، ثم خلق الله السموات والأرض وما ينهما على مقتضى ما علم وقدر أزلاً ، وكل ما يقع فيهما إنما يقع مطابقاً لما علم الله – تعالى – وقدر أزلاً .

يقول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (1) ويقول عز وجل : ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ (2) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ (3)

هذا هو معنى القدر ، وهذه منزلة الإيمان به في الدين ، ولكن الحديث عن القدر – بعيداً عن المنهج الصحيح – كان كثيراً ما يثير الخلاف والشقاق ، أو مؤدياً إلى الهلاك والضلال ، ومن هنا ضلت القدرية كما ضلت الجبرية في مفهوم القدر. حيث صعب على أناس التوفيق بين قدر الله تعالى السابق في العباد أو على العباد ، وبين مسئولية العباد عن أعمالهم من جانب آخر ، وكانت تثار المشكلة على هذا النحو:

١– سورة القمر آية ٤٩

٢– سورة الرعد آية ٨

٣– سورة الحديد آية ٢٢

كيف يحاسب الله – تعالى – الإنسان على عمل قدره الله عليه أزلاً ؟ أو : إذا كان الله – سبحانه – قد قدر على العبد عمله من خير وشر ، وكان قدر الله في العبد نافذاً ، فكيف يحاسبه الله على هذا العمل ؟ وعلى أي أساس يكون الجزاء مثوبة أو عقوبة ؟

وبسبب هذه المشكلة نشأت فرق كثيرة ، وحتى الفرق التي لم تنشأ بسبب القدر مباشرة ، كان للقدر حظ كبير بين مبادئها ، ففرقة أثبتت القدر ونفت مسئولية العبد عن عمله ، كفرقة "الجبرية" ، وفرقة أخرى نفت القدر وأثبتت مسئولية الفرد عن عمله ، وذلك كفرقة "القدرية" وبين هاتين الفرقتين فرق كثيرة تميل هذه هنا ، وتميل الأخرى هناك. وهذا بسبب البحث في القدر ، أو بمعنى أدق بسبب الفهم الخاطئ للقدر ، والبحث في القدر ليس مشكلة في الإسلام فقط ، بل هو من أمهات المشاكل أيضاً في اليهودية والنصرانية ، والأديان كلها بصورة عامة ، وكما بينا ليس القدر هو السبب في اختلاف الناس حوله وضلالهم فيه ، ولكن السبب يتمثل في فهمهم الخاطئ لقدر الله تعالى في عباده ، ذلك الفهم الذي جعل فريق يفهم القدر ما يتوافق مع هواه وما يشتهي ، ولأن الناس لا يتفقون في فهم القدر ، ولأن البحث فيه يؤدي إلى اختلافهم وتفرقهم ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن البحث في القدر ، وحذر منه ، وتهدد الناس بأن البحث في القدر أهلك من قبلهم ، وقد يهلكهم بسبب ضلالهم فيه ، روى الترمذي بسنده إلى رسول الله ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، وهم يختصمون في القدر ، فكأنهما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : ﴿ **أبهذا أمرتم ، أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض ، بهذا هلكت الأمم من قبلكم** ﴾ [1] ولكن الأمة لم تأخذ بنهي رسول الله ﷺ ، وبحث فرقاء منها في القدر ، فكان حظهم الاختلاف ، ثم التفرق والتحزب.[2]

١- رواه الترمذي.

٢- تاريخ الفرق الإسلامية ص٤٢ : ٤٤ بتصرف.

وكما حدث للأمم السابقة حدث لأمة محمد ﷺ على ما أخبر – عليه الصلاة والسلام – حيث قال : **﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم ﴾** (١)

فخاض المسلمون في القدر ، وكانت البذرة في عصر الخلفاء الراشدين ، إذ احتج أناس لمعاصيهم بالقدر. ومثاله الرجل الذي سرق على عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" ﷺ ولما سأله عمر : لم سرقت ؟ قال الرجل : قدر الله علي ، فقطع الخليفة يده ، حد السرقة ، وجلده لبدعته في القدر. ومن هنا استمر الغلو في القدر من أمثال ذلك الرجل حتى صار اتجاهاً ومذهباً ، قامت عليه فرقة "الجبرية" التي ادعت أن العبد مجبر في كل شيء ولا اختيار له في شيء من فعله ، وأن جميع أفعال العباد اضطرارية ، وأن العبد ليس له إرادة ولا قدرة على فعل شيء ، وأنه كالريشة في مهب الريح يحركها القدر حيث شاء ، وأن فاعل أفعال العباد هو الله – تعالى الله عما يقولون – على نحو ما بينا في الكلام عن "الجبرية".

وكان لا بد لهذا الاتجاه الجبري الضال من رد فعل قوي ، فنشأ عن القول بالجبر وبسببه اتجاه مضاد تماماً ذهب أصحابه إلى أن العبد ليس مجبراً فيما يصدر عنه من أفعال كما زعمت الجبرية ، بل العبد حر في أفعاله ، ليس هذا فحسب ، وإنما غلت هذه الفرقة أيضاً ، وجاء غلوها في الاتجاه المضاد للجبرية ، فإذا كانت الجبرية قد غلت فنفت إرادة العبد وقدرته على فعله ، وأثبتت فقط إرادة الله تعالى وقدرته ، فإن الفرقة الجديدة "القدرية" قد غلت أيضاً فنفت إرادة الله – تعالى – وقدرته على فعل العبد ، وأن يكون لله – تعالى – أدنى تأثير على فعل العبد ، وأثبتت للعبد حرية وإرادة وقدرة على فعله مستقلة تماماً عن إرادة الله – سبحانه – وقدرته.

١- رواه البخاري.

لم يقف "القدرية" عند هذا الحد ، ولكنهم غلوا وضلوا حتى نفوا "القدر" أي علم الله الأزلي بالأشياء قبل وقوعها ، وتقديره تعالى إياها ، فقد روى أن "معبد بن خالد الجهني" رأس هذه الطائفة سمع رجلاً يعلل معصيته بأن الله – تعالى – قدرها عليه ، فقال "معبد" قولته الشهيرة : "لا قدر والأمر أنف" يعني بذلك أن الله – سبحانه – لم يعلم الأشياء أزلاً ، ولم يقدرها ولم يردها ، وإنما يعلم الله الأشياء بعد وقوعها مثل علمنا نحن بها ولا فرق ، فقوله : "لا قدر" ينفي قدر الله وعلمه بالأشياء قبل وقوعها ، وقوله "والأمر أنف" يقصد أن الأشياء يستأنف العلم بها ، ويستأنف تقديرها ، أي أن علم الله بالأشياء وتقديره إياها إنما هو مستأنف بعد وقوعها وليس في الأزل ، وبهذا نفى علم الله وإرادته – سبحانه وتعالى عما يصفون –.[١]

١– المرجع السابق ص٨١ ، ٨٢ بتصرف.

ثانيا وجه التسمية

إذا كان هؤلاء قد أقاموا نحلتهم هذه على نفي قدر الله الأزلي وعلمه – سبحانه – فكيف أطلق عليهم اسم "القدرية" ، إنهم نفاة القدر فكيف ينسبون إليه ويتسمون باسمه وهم كافرون به ؟!

قال بعض المؤرخين للفرق : إن تسميتهم "قدرية" مأخوذة من قولتهم الشهيرة "لا قدر" فسموا قدرية نسبة إلى هذه الكلمة.

وقال بعض المؤرخين : إنهم سموا "قدرية" بالنظر إلى العبد ، وليس بالنظر إلى الله – سبحانه – فإنهم قد نفوا القدر عن الله – تعالى – وأثبتوه للعبد ، فجعلوا قدرة العبد هي المرجع في أفعاله ، فسموا لذلك "قدرية" نسبة إلى إثباتهم قدرة العبد ، وليس نسبة إلى نفيهم قدر الله – سبحانه وتعالى –.

وذهب البعض إلى أن هذه تسمية بالضد ، تهكماً وسخرية بهم ، وفي اللغة تسمى الأشياء بأضدادها أحياناً ، فلا مانع من أن يكون أعداؤهم أطلقوا عليهم هذه التسمية تهكماً بهم وسخرية.

وقال البعض : إن أعداءهم أطلقوا عليهم هذه التسمية ليصدق فيهم حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : ﴿ **القدرية مجوس هذه الأمة** ﴾ [1] ، وقد شبهوا بالمجوس ، لما أن المجوس يثبتون للوجود فاعلين ، فاعلاً للخير ، لا يفعل الشر ولا صلة له به ، وفاعلاً للشر ، ومن عقائدهم أن للوجود إلهين : إلهاً للخير أو النور ، وإلهاً للشر أو الظلمة ، وكذلك "القدرية" لأنهم يثبتون أفعالاً للعبد لا صلة لله – تعالى – بها ، لم يعلمها ولم يردها ولم يقدرها ، وإنما ذلك للعبد ، فكأنهم شابهوا المجوس في إثباتهم فاعلين ومؤثرين في الوجود : الله – سبحانه – ، والعبد.[2]

١- الحديث ليس صحيحاً ، وبعض العلماء ذكروا له شواهد ، واستشهدوا به في الباب ، حيث إن معناه صحيح.

٢- تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٢ ، ٨٣

يذكر المؤرخون أن أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق ، كان نصرانياً ثم أسلم ، ثم ارتد وتنصر ، وقد أخذ عن هذا الرجل ضلالته في القدر رجلان يدعى أحدهما "معبد الجهني" والثاني "غيلان الدمشقي" ويبدو أن "معبد الجهني" كان أسبق إلى هذه الضلالة من صاحبه "غيلان" ويبدو كذلك أنه كان أشهر من صاحبة وأكثر نشاطاً في الدعوة إلى ذلك المذهب الفاسد.

وقد ورد في الترمذي "حديث صحيح يسند هذه الفرية إلى "معبد الجهني" فقد روى بسنده عن يحيى بن يعمر قال : "أول من تكلم في القدر معبد الجهني ، قال : فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة ، فقلنا : لو لقينا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم ، قال : فلقيناه – يعني عبد الله بن عمر – وهو خارج من المسجد ، قال : فاكتنفته أنا وصاحبي ، قال : فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن إن قوماً يقرأون القرآن ، ويتقفرون العلم – أي يطلبون غامضه ، أو يتقعرون – أي يطلبون قعره ويتتبعونه – ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف – أي مبتدأ من غير تقدير سابق ، لم يعلم الله به إلا بعد وقوعه – قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برءاء ، والذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره .. ثم ساق الحديث المعروف بحديث جبريل عليه السلام.

فنحن نرى أن "معبد الجهني" هو الذي تولى كبد هذا الضلال ، ومعه صاحبه في الضلال "غيلان الدمشقي" ، فأما "معبد" فقد تولى الدعوة إلى المذهب في العراق ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن أول ظهور هذه النحلة كان في "البصرة" بالعراق .. والعراق في ذلك الوقت – وفي كل وقت – ميدان للفتن

وتناحر الآراء وانتشار البدع. وأما "غيلان" فقد تولى الدعوة للمذهب في "دمشق".

أما "معبد" فقد انضم لبعض من خرجوا على الحجاج الثقفي ، فحاربهم الحجاج وهزمهم وقتل منهم الكثير ، وكان "معبد" ضمن من قتل على يد الحجاج.

وأما "غيلان" فقد استمر يدعو إلى ضلالته هذه في الشام ، ويروى أنه كان بينه وبين الخليفة الخامس "عمر بن عبد العزيز" اتصالات ومناظرات ، وأنه قد رجع عن ضلالته ، وأعلن توبته عنها ، ثم عاد بعد وفاة "عمر" يدعو إلى نحلته ثانية ، حتى انتشرت الفرية في فارس وخراسان ، قد خشي "هشام بن عبد الملك" – الذي جاء بعد عمر بن عبد العزيز – على الدولة من هذه الفتنة ، فأمر "هشام" بضرب عنق "غيلان" وأراح الله الأمة من رأس الضلال هذا ، كما أراحها قبلاً من صاحبه "معبد الجهني".(١)

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٣ : ٨٦ بتصرف ، محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص ٧ : ١١ بتصرف.

للقدرية على صحة مذهبهم أدلة عقلية ونقلية:

أما الأدلة العقلية ، فتقوم كلها على أن مسئولية العبد عن عمله تقتضي أن يكون هو الفاعل للفعل ، وأن يكون هو الذي أراده واختاره وفعله ، فلو تدخلت في الفعل إرادة الله أو قدرته ، أو أن الله – تعالى – هو الذي قدر الفعل على العبد ، فإن العبد في هذه الحالة لا يكون مسئولاً عن فعله ، وتسقط بالتالي قضية الحساب ، والجزاء والجنة والنار ، لأنه – كما يقولون – كيف يحاسب العبد على فعل قدره الله – تعالى – عليه ، وأراده له ، ومكنه منه ؟ ويقولون : إن الله – تعالى – إذا قدر المعصية على العبد – وقدره لابد واقع – فكيف يحاسبه على هذه المعصية ؟

وأما أدلتهم النقلية ، فتقوم على النصوص القرآنية التي تسند الفعل إلى العبد وحده ، ثم تجعله محاسباً عليه ، فيقولون : إن الله – تعالى – قد أضاف الأعمال إلى العباد بأنواع الإضافات عامة وخاصة ، فقد أضاف الله – تعالى – الأفعال إلى العباد تارة بالاستطاعة ، كقوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ (1) وتارة بالإرادة ، قال تعالى على لسان العبد الصالح : ﴿ **فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا** ﴾ (2) وتارة بالمشيئة ، قال سبحانه : ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ (3) فهذه الآيات كلها تثبت للعبد الاستطاعة ، والإرادة والمشيئة.

1- سورة النساء آية ٢٥

2- سورة الكهف آية ٧٩

3- سورة التكوير آية ٢٨

كما أن الأفعال الأخرى مثل القتل والسرقة ، وأيضاً الشرور كلها نعرف – بداهة – أن إضافتها إلى العبد أمر لا مفر منه ، إذ من المحال إضافتها إلى الله عز وجل.[1]

فقالوا : كيف يفعل الله القبيح وهو ينهى عنه ويحرمه ، وهذا هو أساس شبهتهم التي بنوا عليها مذهبهم في كون الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها لهم أو عليهم ، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله.

وبذا لزمهم أن العبد ما دام يستقل بخلق أفعاله فقد أصبح ربا يخلق ما أراد أن يخلق من الأفعال ، وبطل بذلك التوحيد الذي هو أصل الدين وأساسه ، ومن هنا سمو بمجوس هذه الأمة ، لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم في أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه ، لا بمقتضى قدرة الله وعلمه.[2]

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٦ ، ٨٧

٢- حقيقة الإيمان ص٣٧٨ ، ٣٧٩ بتصرف.

عرفنا أن المذهب يقوم على إنكار القدر ، ويقرر المذهب أن الله تعالى لم يعلم الأشياء قبل وقوعها أزلاً ، وبالتالي لم يردها ، وأن علمه بالأحداث والأشياء هو مثل علومنا نحن ، فكما أننا لا نعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ، وقبل وقوعها نحن نجهلها ، فكذلك يقولون بالنسبة لله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – وهذا معنى عبارتهم "والأمر أنف" أي أن الله تعالى يأتي علمه بالأشياء بعد وقوعها.

وإذن فهؤلاء الذين ابتدعوا هذا المذهب الفاسد ، وكذلك الذين اتبعوهم ، كل هؤلاء كافرون بالقدر ، لأن الإيمان بالقدر يعني : أن نؤمن بأن الله تعالى علم وأراد وقدر كل شيء قبل أن يخلق شيئاً ، وأن الأشياء تأتي في هذا الوجود على حسب ما علم الله – سبحانه – أزلاً ، وأنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد الله – تعالى – وإذاً فيكون علم الله تعالى وإرادته وقدره علة في وجود الأشياء وسبباً لها ، وليس العكس كما يزعم هؤلاء الضالون من أصحاب هذا المذهب ، فهم يجعلون علم الله – تعالى – معلولاً للأشياء وتابعاً لها.

يبقى بعد ذلك سؤال : ما حكم من يكفر بالقدر ؟

وقد علم أن الكافر بالقدر أم منكره هو كافر بأصل من أصول الدين ، وهو منكر لما علم من الدين بالضرورة ، ثم إنه كافر بالكتاب والسنة ، وخارج على إجماع الأمة.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ [1] وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّا**

١- سورة الرعد آية ٨

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [1] كما قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [2]

وأما السنة فقد بين النبي ﷺ منزلة القدر من الإيمان ، وذلك في الحديث المتفق عليه المتواتر وفيه ﴿ **قال ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** ﴾ [3] فمن كفر بالقدر فقد كفر بالإيمان ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [4]

وقد بين ﷺ أن علم الله بالأشياء كان أزلاً ، حيث قدره وكتبه قبل أن يخلق شيئاً ، وقد قال ﷺ : ﴿ **إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، يم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح ، ثم يؤمر يكتب أربع كلمات : رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد** ﴾ [5] فهذه الأحاديث – وغيرها في معناها كثير – توضح أن الله – تعالى – قد علم وقدر وكتب عنده كل شيء يحدث في الوجود ، قبل أن يخلق شيئاً منه.

وقد أجمعت الأمة على ما ورد في الكتاب والسنة من أن الإيمان لا يتحقق لعبد إلا إذا آمن بأن الله سبحانه قد قدر كل شيء في الأزل ، وأن كل شيء يقع إنما هو مسجل عند الله ومسطر في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

١- سورة القمر آية ٤٩

٢- سورة الحديد أية ٢٢

٣- متفق عليه.

٤- سورة المائدة آية ٥

٥- رواه البخاري ومسلم.

ومما تقدم يتضح أن منكر القدر كافر خارج عن ملة الإسلام – عياذاً بك اللهم.[1]

إن الإيمان بالقدر يعني إيمان بعلم الله القديم ، وبمشيئته النافذة ، وقدرته الشاملة ، وأن الله تعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ، على صفات مخصوصة ، فهي تقع حسب ما قدرها.

فالقدر هو علم الله تعالى الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق ، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ ، كما هو حين يقضي بوجوده في كميته وكيفيته ، وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه ، ومقدماته ونتائجه ، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانة ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال ، وذلك لسعة علم الله تعالى ، وعظيم قدرته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذي يحكم كل أجزاء الكون علوية وسفلية على حد سواء ، وأن القدر نوعان : مسلم به أو مبرم ، وقدر مختلف عليه ، أو معلق. فالأول : مرتبط بنظام الكون وسننه ، والثاني : مرتبط بأفعال العباد. وأن مراتب القدر أربعة : العلم ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق.

وحيث ضل القدرية في مفهوم القدر فجفوا ، وضل الجبرية كذلك فغلوا ، نجد أن الله تعالى وفق أهل السنة والجماعة وهداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فسلكوا مسلكاً وسطاً ، بعيداً عن الغلو والتسيب ، والإفراط والتفريط ، لقد هدى الله السلف الصالح لمعرفة الحق والصراط المستقيم ، ووفقهم الله تعالى للتوفيق بين كون الإنسان فاعلاً لأفعاله ، مريداً لها ، مختاراً فيها ، مهيأً للثواب عليه إن كانت خيراً ، وللعقاب عليها إن كانت شراً ، وبين

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٧ : ٩١ بتصرف.

كون الله تعالى هو خالقه وخالق أفعاله خيرها وشرها ، مع اعتقاد عدل الله وتنزيهه عن الظلم.

وقد قام هذا المذهب على الدليل الشرعي من القرآن والسنة ، مع الفهم الصحيح للنصوص ، حيث آمن هؤلاء الموفقون بالقضاء والقدر ، والعدل والإرادة ، والمشيئة ، والحكمة ، ولم يصعب عليهم – كما صعب على غيرهم – التوفيق بين كون فعل العبد قد قدره الله تعالى ، وكتبه عليه وسبق به علمه قبل التقدير والقضاء ، وبين كون العبد فاعلاً لفعله ، مريداً له مختاراً في فعله وفي تركه ، يحاسب به ، ويجزى عليه ، ولا بين كون الله يقضي للعبد ما شاء من قضاء ، ثم يأمره وينهاه ويجزيه حسب عمله الذي قدر له ، وكتبه له أو عليه.

فقالوا : إن الله تعالى لما قدر ما للعبد وما عليه من خير أو شر ، وسعادة أو شقاء ، قد قدره مربوطاً بأسبابه ، فللخير أسبابه ، وللشر أسبابه ، كما قدر أن العبد يأتي تلك الأسباب ويعمل بها بمحض إرادته التي قدرها له ، وحرية اختياره الذي قضى له به. فلا يصل العبد إلى ما كتب عليه وقدر له من سعادة أو شقاء إلا بواسطة تلك الأسباب التي يفعلها غير مكره عليها ، ولا مجبوراً على فعلها.[1]

إن الإنسان يعرف الفرق بين ما يقع اختياره ، وبين ما يقع منه اضطراراً ، وبإجبار ، والإنسان ينزل من السطح على السلم نزولاً اختيارياً فيعرف أنه مختار ، أو يسقط هاوياً من السطح فيعرف أنه ليس مختاراً في ذلك. ويعرف الفرق بين الفعلين ، وأن الثاني إجبار ، والأول اختيار ، وكل إنسان يعرف ذلك.

١- عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٤٠٣ : ٤٣٢ بتصرف.

وهكذا جميع ما يقع من العبد يعرف فيه الفرق بين ما يقع اختيار ، وبين ما يقع اضطراراً وإجباراً ، بل إن من رحمة الله عز وجل أن من الأفعال ما هو اختيار العبد ولكن لا يلحقه منه شيء كما في فعل الناسي والنائم والمكره ، لا اختيار له ولا يؤاخذ بفعله.[1]

ولكن قد يشكل على الإنسان كيف يصح أن نقول في فعلنا وقولنا الاختياري إنه مخلوق لله عز وجل ؟ وذلك لأنهما ناتجان عن القدرة والإرادة التي خلقها الله ، وجعل الإنسان قابلاً للإرادة ، وخلق فيه القدرة ، فالله هو الذي خلق السبب التام الذي يتولد عنه المسبب ، فهو خالق الأثر والمؤثر ، حيث إن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين ، الإرادة والقدرة ، ولولاهما لم يفعل . وبهذا ندرك كيف أن الله خالق لفعل العبد ، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة ، فهو المتطهر وهو المصلي ، وهو المزكي .. وهو العاصي وهو المطيع.

هذا وقد علم أن الإنسان ما بين التسيير والتخيير ، فهو مسير فيما لا دخل له فيه مثل ولادته وموته ، ولونه ، وحركته ، وإحساسه ، ونموه ، ونحو ذلك ، أي ما فيه من جمادية ونباتية وحيوانية. ولكنه مخير بما أودع الله فيه من عقل فكرمه به على سائر المخلوقات الأرضية ، ولذلك هو يختار أكله وشربه ولبسه ، وتعليمه ، وسفره ، وكذا يختار عمله ومعتقده.

وعلم الله تعالى قد سبق بذلك ، ولا يجبر العبد على فعل ، لأنه علم انكشاف ، لا علم إجبار ، ولو أجبره لكان مجبولاً على الطاعة كالملائكة ، أو مسخراً كالحيوانات ، ولكنه منحه نعمة العقل التي هي مناط التكليف ، وعن طريقها يختار ، وحسب اختياره يكون الجزاء ، وكل ذلك في علم الله من الأزل ، ومن هنا كان القضاء والقدر لا يتنافى مع عدل الله تعالى ، كما أنه لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب ، لأن الأسباب هي أيضاً من قدر الله تعالى ، ولذلك يحتج بالقدر في المصائب ، ولا يحتج به في الذنوب والمعائب ، كما أن الهداية

١- القضاء والقدر لابن عثيمين ص٩٢٨ بتصرف.

والضلال قد ارتبطا بأسبابهما ، وكل مطلق في الآيات مقيد بغيره ، فالهداية لمن أناب ، والضلال للظالمين والفاسقين والكافرين.

هذا ومشيئة الرب – سبحانه – لا تحول دون مشيئة العبد ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] كما ينبغي التفرقة بين الأمر الكوني والأمر الشرعي ، وبين الحسنة الكونية والحسنة الشرعية ، والسيئة الكونية والسيئة الشرعية ، ومعرفة الحكمة في القضاء والقدر ، مع اعتقاد وجوبه ، وأنه ركن الإيمان السادس والأخير.[2]

١- سورة التكوير آية ٢٨ ، ٢٩

٢- راجع بتوسع كتابنا : حقيقة الإيمان ج٢ ص٣٧١ : ٤٢٨

يرى كثير من المؤرخين للفرق أن المعتزلة هم القدرية ، أو هم والقدرية سواء أو هم القدرية الثانية ، كما يطلق بعض المؤرخين هذه التسمية عليهم.

وقد جرى الخلط بين القدرية والمعتزلة إلى حد أن بعض المؤرخين للفرق لا يعني بالحديث عن فرقة القدرية ، اكتفاء بالكلام على المعتزلة ، باعتبار أن المعتزلة هم القدرية ، وكذا فعل الشهرستاني.

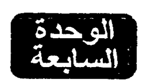
ونرى من جانبنا أن ذلك خطأ ، لما بينهما من فروق ، وإن كان بينهما عموم وخصوص.

فالعموم هو أن كلا منها قد ضل في عقيدة القضاء والقدر ، وكذا في أمور أخرى ، وأما الخصوص ، فالمعتزلة قد آمنوا بالقدر ، وأما القدرية فقد كفروا به ، وذلك حين قرر المعتزلة أن العبد حر في أفعاله ، وأنه هو فاعل أفعاله وخالقها دون تدخل من قدرة الله تعالى ، في فعله ، حين قرروا ذلك ، فإنهم أقروا بأن العبد يفعل أفعاله بالقدرة التي أودعها الله فيه ، ولولا تلك القدرة التي أودعها الله – تعالى – في العباد ما استطاع العباد أن يفعلوا شيئاً ، وإذا انتزع الله تعالى تلك القدرة من العبد فإنه يعجز عن إتمام فعله ، أو القيام به أصلاً.

أما القدرية فينكرون تلك القدرة التي يمنحها الله تعالى للعبد ، ويقررون أن العبد يقوم بفعله منفصلاً تماماً عن الله عز وجل ، الذي لا يدري عن فعل العبد شيئاً إلا بعد وقوعه.

وهذا يقرر لنا الفرق بين القدرية والمعتزلة ، ويبقى بينهما عموم وخصوص ، أوهم القدرية الثانية ، أو يقال عنهم قدرية مع ذكر قيود تمنع الخلط بينهما.[1]

١– تاريخ الفرق الإسلامية ص٩٣ ، ٩٤ بتصرف ، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص١٦٧ : ١٧٤ بتصرف.



المرجئـة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملماً بما يلي:

١– التعريف والتسمية.

٢– الجذور التاريخية.

٣– مبادئ المرجئة.

٤– فرق المرجئة.

قال الشهرستاني في الملل والنحل:

الإرجاء على معنيين : أحدهما : بمعنى التأخير كما في قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [1] أي أمهله وأخره ، والثاني : إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان.

وقيل الإرجاء : تأخير علي ﷺ عن الدرجة الأولى إلى الرابعة ، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان.

والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة. ومحمد بن شبيب ، والصالحي ، والخالدي من مرجئة القدرية ، وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي ، أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء ، ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة منهم.[2]

١- سورة الأعراف آية ١١١

٢- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٣٩

مع ذكر التدرج التاريخي ، والتطور العقدي:

يقول الدكتور / محمود محمد مزروعة : يطلق هذا الاسم "المرجئة" ويراد به نوعين من الفرق أو الطوائف :

الطائفة الأولى : جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ تأثرت بالأحداث السياسية – أي التي تتصل بالخلافة والإمامة – التي وقعت في أواخر عهد الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ فقد شغب الغوغاء عليه ﷺ وانتشرت الفتنة في كثير من الإمارات الإسلامية ، ثم ما لبثت الفتنة أن انتقلت في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ من الجدال باللسان إلى الجلاد بالحسام ، هذه الفتنة وما نجم عنها من الأحداث المؤسفة التي راح ضحيتها الخليفة الوقور الحيي ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ أدت إلى انقسام الناس إزاءها إلى طوائف أو جماعات ثلاث :

- إما جماعة ، قد رأت الحق مع علي بن أبي طالب ﷺ فأدلت بدلوها معه ، وسلت سيوفها تحارب في صفه ، وتنصر حزبه.
- وإما جماعة ، رأت الحق بجانب معاوية ﷺ فانتظمت في صفوف المحاربين معه ، ضد الإمام المبشر بالجنة ، زوج الزهراء ، ووالد السبطين "علي بن أبي طالب" رضي الله عن الجميع.
- وأما الجماعة الثالثة ، فقد تكافأت عندها الأدلة ، وتساوت لديها البراهين ، فلم يعرفوا وجه الحق في ظلام هذه الفتنة ، هل الحق مع علي ؟ أم أن الحق مع معاوية ؟ – رضي الله عن الجميع – ولما لم يعرفوا وجه الحق مع من ، ولم يدركوا أي الفريقين على صواب ، وأيهما على خطأ ، اعتزلوا الفريقين ، وتوقفوا عن الحكم على كل منهما ، وأغمدوا سيوفهم عن كل من الطائفتين ، وأرجأوا الحكم على

كل من الفريقين إلى الله – سبحانه وتعالى – قائلين : نعتزل الفريقين ونرجئ أمرهما إلى الله – سبحانه –.

من ذلك أطلق كثير من المؤرخين على هذه الطائفة الثالثة اسم "المرجئة" وقد دفع هؤلاء إلى اعتزال الفتنة والابتعاد عن الفريقين المتحاربين حديث لرسول الله ﷺ فيما صح عنه ، عن أبي بكرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **ستكون فتن ، القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فيلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، فقال رجل : يا رسول الله من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ فقال ﷺ : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إذا استطاع النجاة** ﴾

وقد كان من هذه الطائفة عدد من كبار الصحابة – رضوان الله عليهم – منهم : سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وراوي الحديث السابق : أبو بكرة ، وعمران بن حصين – رضي الله عنهم –.

أما الطائفة الثانية : ممن يطلق عليهم اسم "المرجئة" فهي طائفة نشأت على أساس من الخلافات العقدية ، والقضايا الكلامية ، فليس السبب في نشأتها الخلافة أو الإمامة ولكنها نشأت على خلافات عقدية مثل الحكم على مرتكب الكبيرة ، وغير ذلك.

وهذه الطائفة هي التي نقصد إليها عند الحديث عن "المرجئة" أي هي موضوع حديثنا هنا : وهذه الفرقة قد أخذت أطواراً.

فهي – في البداية – عرفت بهذا الاسم لأنها كانت تؤخر العمل عن العقيدة ، حين تقول : إن ترك العمل لا يضر ما دامت العقيدة صحيحة ، فهي تهتم بالعقيدة ، وتهمل العمل أي تؤخره ، أو لأنها كانت تؤخر الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة حيث ينفذ فيه الله ما يريد ، إما أن يعفو عنه ،

أو يعاقبه على قدر معصيته ، وهذا على رأي المتقدمين من هذه الفرقة ، وليس على رأي المتأخرين منهم الذين أهملوا العمل تماماً ، وقالوا : "لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة". وقرروا أن مرتكب الكبيرة ناج ولا ضرر عليه ، وإن ارتكب من الكبائر ما شاء ، لأن العمل عندهم لا صلة له بالإيمان ، وقالوا قولتهم الشهيرة الخطيرة – التي ذكرناها آنافاً – ثم مبادئهم التي ارتبطت بقضية الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة.[1]

١– تاريخ الفرق الإسلامية ص٩٧ : ١٠٠ بتصرف.

أولاً : الحكم على مرتكب الكبيرة : بدأ – كما بينا – بإرجاء حكمه إلى الله تعالى ، حيث إن مرتكب الكبيرة مؤمن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فليس هو كافراً ولا مشركاً ، ولسنا نستطيع أن نفتش عن حقيقة ما في قلبه حتى نعرف إن كان صادقاً أو منافقاً ، فنحن نرجئ أمره إلى الله – سبحانه – فهو الذي يعرف سرائر القلوب ، وهو الذي سيحاسبهم عليها.

- وهم في هذا الحكم يتفقون مع أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة ، ولكن سرعان ما اندفعوا في اتجاه آخر ، كان منعطفاً خطيراً بالنسبة لآراء الفرقة وعقائدها ، فقرروا أن مرتكب الكبيرة ناج ولا ضرر عليه ، وإن ارتكب من الكبائر ما شاء ، لأنه "لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

ثانياً : أن الإيمان هو المعرفة بالله ، والإقرار ، وأن العمل منفصل عن الإيمان ، وأن الاعتقاد وحده كاف في نجاة العبد يوم القيامة ، وأن العبد مهما ارتكب من ذنوب أو اجترح من سيئات فلن يضره ذلك شيئاً ، وهو ناج يوم القيامة ، ومخلد في الجنة.

- وقد ذهب بعضهم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، ومحبته ، كل ذلك كاف فيه أن يكون بالقلب وحده ، ولا صلة له بالعمل.
- وقد زعم هؤلاء أن إبليس كان عارفاً بربه ، ولكنه لعن وطرد من رحمة الله – تعالى – بسبب أنه استكبر على ربه – تعالى – ، وبسبب أنه لم يحب الله – سبحانه – ، ولذا فقد قالوا : إن شرط الإيمان مع المعرفة عدم الاستكبار ، والمحبة لله تعالى.

- ومنهم من ذهب إلى أن الإيمان يكفي فيه الاعتقاد بالقلب فقط ، ولا يلزم فيه الإقرار باللسان ، بل ذهبوا إلى أنه لو نطق الكفر بلسانه ولم يعتقده لم يكن كافراً ولم يضره ذلك.
- ومنهم من غلا فوق ذلك ، فزعم أن الإيمان اعتقاد بالقلب ، وليس يهم بعد ذلك شيء من الأعمال والأفعال ، حتى لو عبد الأصنام ، أو ثَلَّثَ وأشرك ، فإن كل هذه الأفعال لا تضره ، وهو ناج يوم القيامة.

هذه أهم مبادئ "المرجئة" رأينا من خلالها أن الفرقة بدأت معتدلة ، ولكنها ما لبثت أن أحدثت من البدع والمكفرات ما لا يختلف حوله اثنان ، ويكفي في فضح الباطل عرضه ، وإن ضلالهم واضح ، وفساد معتقداتهم بين ، بصورة تجعلنا نغض الطرف عن كلامهم ، برد أو تقويم ونقد ، فإن الأمر لا يحتاج ، فقد اتضح لكل ذي عينين ضلال مبادئها ، وانفلاتها وزيغها ، وخروجها على ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.[1]

١- تاريخ الفرق الإسلامية ص١٠١ : ١٠٣ بتصرف.

أولاً

فرق المرجئة

وهم على الجملة : اليونسية – العبيدية – الغسانية – الثوبانية – التومنية – الصالحية .

ونلقي الضوء على كل فرقة ، على جناح السرعة – بإذن الله .

١ – **اليونسية** : أصحاب يونس بن عون النميري ، ذهبوا إلي أن الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن ، وما سوي ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصاً ، واليقين صادقاً .

٢ – **العبيدية** : أصحاب عبيد المكتئب ، وقد ذهب بهم إلي أن ما دون الشرك مغفور لا محالة ، وأن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام ، واجترح من السيئات .

٣ – **الغسانية** : أصحاب غسان الكوفي ، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله ، والإقرار بما أنزل الله ، وبما جاء به الرسول (ﷺ) في الجملة دون التفصيل ، والإيمان لا يزيد ولا ينقص . كما أن أبا حنيفة كان يذهب إلي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، ومن هنا ذهب قوم إلي الحكم عليه بالإرجاء ، أو هو من مرجئة الفقهاء ، وإن كان عند التحقيق نجد الخلاف لفظاً بينه وبين أهل السنة .

٤ – **الثوبانية** : أصحاب أبي ثوبان ، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله وبرسله ، وربطوا بين الإيمان والعقل ربطاً محكماً إذ أضافوا إلي الإيمان بما تقدم ، الإيمان بما كان لا يجوز في العقل إلا أن يفعله ، وأما ما كان جائزاً في العقل ألا يفعله فليس ذلك من الإيمان وهو ربط يبدو فيه علو شأن العقل .

٥- التومنية : أصحاب أبي معاذ التومني ، زعم أن الإيمان اسم لخصال إذا تركها التارك كفر ، وهذه الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص والإقرار بما جاء به الرسول ، وهذه الخصال جميعاً هي الإيمان ، ولا يقال للخصلة الواحدة منها إيمان ، ولو ترك خصلة واحدة كفر. وكل طاعة لم يجمع المسلمون على أن تركها كفر فتلك من شرع الإيمان ، وليس من الإيمان ، يقال للتارك لها فسق ، ولا يقال فاسق. وهذا في أخذه العمل في الاعتبار ضمناً يشبه ما ذهب إليه اليونسية.

٦- الصالحية : أصحاب صالح بن عمر الصالحي ، والصالحي ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والإرجاء.

ونحن وإن شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة إلا أنه لا بد لنا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة بأشياء.

فأما الصالحي فقال : الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق ، وهو أن للعالم صانعاً فقط.

والكفر هو الجهل به على الإطلاق ، قال : وقول القائل : ثالث ثلاثة ، ليس بكفر ، لكنه لا يظهر إلا من كافر ، وزعم أن معرفة الله تعالى هي المحبة والخضوع له ، ويصح ذلك مع حجة الرسول ﷺ ويصح في العقل أن يؤمن بالله ، ولا يؤمن برسوله ، غير أن الرسول ﷺ قد قال : ﴿ **من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى** ﴾ وزعم أن الصلاة ليست بعبادة لله تعالى ، وأنه لا عبادة له إلا الإيمان به ، وهو معرفته ، وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا نقص ، وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص. وأما أبو شمر المرجئي القدري ، فإنه زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله عز وجل ، والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء ، ما لم تقم عليه حجة الأنبياء عليهم السلام ، فإذا قامت الحجة فالإقرار بهم وتصديقهم من الإيمان والمعرفة والإقرار بما جاءوا به من عند الله غير داخل في الإيمان الأصلي ، وليست كل خصلة

من خصال الإيمان إيماناً ولا بعض إيمان ، فإذا اجتمعت كانت كلها إيماناً ، وشرط في خصال الإيمان معرفة العدل ، يريد به القدر خيره وشره من العبد ، من غير أن يضاف إلى الباري تعالى منه شيء.

وأما غيلان بن مروان من القدرية المرجئ ، فإنه زعم أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع له ، والإقرار بما جاء به الرسول ، وبما جاء من عند الله ، والمعرفة الأولى فطرية ضرورية ، فالمعرفة على أصله نوعان : فطرية ، وهي علمه بأن للعالم صانعاً ، ولنفسه خالقاً ، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً ، إنما الإيمان هو المعرفة الثانية المكتسبة.

هذا ، وقد نسب إلى الإرجاء : أبو حنيفة – كما أشرت – وهو أمة وحده ، وهو أستاذ متكلمي السنة ، وقد ذكرنا مقاله في الإيمان.

ونسب إلى الإرجاء من أهل الحديث كثير : سفيان بن سعيد الثوري ، وشريك بن عبد الله ، وابن أبي ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومالك بن أنس.

كما نسب إليه : الحسن بن محمد بن الحنفية ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، ومقاتل بن سليمان ، وحماد ابن أبي سليمان ، وأبو يوسف ، وإبراهيم بن طهمان المحدث الصدوق ، وعمرو بن مرة ، ومحارب بن زياد ، ودر ، وعمرو بن در ، ومحمد بن الحسن ، وقدير بن جعفر.

وهؤلاء كلهم أئمة الحديث ، لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ، ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافاً للخوارج والقدرية.[1]

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٤٠ : ١٤٦ بتصرف ، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم فرغل ٢٥٨ - ٢٦٠ بتصرف.

الوحدة الثامنة

ومن بين الفرق المنتسبة الى اهل السنة والجماعة الأشاعرة [على الجملة]

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – تعريف الأشاعرة .

٢ – من هو أبو الحسن الأشعري ؟

٣ – منهج الإمام الأشعري .

٤ – أبرز أئمة المذهب الأشعري .

٥ – مبادئ الأشاعرة .

٦ – الأشاعرة بين الجرح والتعديل .

٧ – الجذور الفكرية والعقائدية .

٨ – الانتشار ومواقع النفوذ .

٩ – الخلاصة .

أولاً : التعريف والتسمية

ما الأشاعرة : تنسب هذه الفرقة إلى " أبي الحسن على بن إسماعيل الاشعرى" الذي يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل " أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه ، فمن أبو الحسن الأشعرى ؟

وقد ولد أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى بالبصرة سنة ٢٦٠ للهجرة وقيل سنة ٢٧٠ هـ وتوفي سنة ١٣٢٤ هـ ، وقد تلقى علومه في مدرسة الاعتزال ، وتتلمذ على يد شيخ المعتزلة في عصر " أبي علي الجبائي " ، وقد ظهر ذكاؤه وبراعته وقوة عارضته في الجدل والمناظرة منذ حداثته ، حتى إن شيخه الجبائي كان ينيبه عنه في كثير من مواقف الجدل والمناظرة مع خصوم المعتزلة .

وكانت البيئة التي نشأ فيها "أبو الحسن الأشعري" ذات طابع معاد للمعتزلة ، وكان العداء للمعتزلة لا يختص بفئة بعينها، بل كأن طابعا عاما، وسمة غالبة لدى جميع الفئات ، سوى بعض الذين هم على خط فكرى واحد مع المعتزلة من الفلاسفة ومن نحا نحوهم .

ومن المعلوم أن المعتزلة منذ عهد " المأمون " الذي اعتنق فكر المعتزلة ، ووضع سلطانه وجبروته في خدمه المعتزلة ، حتى إنه اعتبر الفكر الاعتزالي دينا يجب إلزام الناس به ، ومن ثم فقد كان يحمل الناس حملاً على اعتناق مبادئ المعتزلة ، ويمتحنهم فيها ، ويعاقب كل رافض لها من الفقهاء وأهل الحديث وسلف الأمة بالحبس والضرب والتعذيب حتى الموت ، وليس بخاف ما فعله بالأئمة الأجلاء من أمثال "الإمام أحمد بن حنبل" وحينما مات " المأمون " انتقل منهجه في امتحان القوم وابتلائهم إلى خلفه " المعتصم " وذلك من خلال وصية تركها " المأمون " للمعتصم " يوصيه فيها بالتمسك برأي المعتزلة في القول بخلق

القرآن ، وأن يحمل الناس على ذلك بقوة السلطان ، ولم تنقطع المحنة بوفاة المأمون ، بل ظلت تأخذ بحجز السلف ، ولما مات المعتصم انتقل الأمر إلى "الواثق بن المعتصم " الذي سار على منهج أبيه وعمه في ابتلاء الناس ، حتى انتقل الأمر إلي " المتوكل " الذي نزع عن نفسه قميص الاعتزال ، وابعد المعتزلة عن السلطة وأدنى خصومهم من أهل الفقه والحديث ، وحدث ما كان متوقعا ، وما هو من طبيعة الأشياء، مما يطلق عليه " رد الفعل " حيث قام ضحايا المعتزلة من أهل الفقه والحديث ورجال السلف ومن نحا نحوهم بمنازلة المعتزلة وعقد المناظرات ، وتأليف الكتب ضد المعتزلة ومبادئهم . وكان الكثيرون من هؤلاء قد أتقنوا أساليب المعتزلة العقلية والفلسفية في الجدل والمناظرة ، فنازلوهم بها ، وتوالى سقوط المعتزلة ، وسعد الناس بذلك ، وبخاصة وأن إغراق المعتزلة ومعهم السلطة في عهد " المأمون والمعتصم والواثق " في الظلم والعدوان على سلف الأمة قد جر جماهير المسلمين إلى جانب السلف ، وملأ قلوب الناس حقدا وكراهية علي المعتزلة .

في هذا الجو المليء بالمناظرات والجدل والمعارك الكلامية والفلسفية بين المعتزلة من جانب ، وسلف الأمة ومن ورائهم جماهير الأمة من جانب آخر، ولد " أبو الحسن الأشعري " وقد أمضي سني تلمذته وطلبه العلم في رحاب المعتزلة حتى برع في الكلام على طريقتهم ، نبذ غيره من المعتزلة أنفسهم حتى كان شيخ المعتزلة " أبو على الجبائي " ينيبه عنه في كثير من مواقف الجدل عن المذهب ، وكأن شيخ المعتزلة كان يعد أبا الحسن ليكون خلفه على المعتزلة ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان قدر لأبي الحسن الأشعرى شأنا آخر ، وإذا شاء الله يسر له أسبابه ، وكما قال الرسول (ﷺ) " كل ميسر لما خلق له " فقد يسر الله لأبى الحسن الأشعرى أن يخرج من بطن المعتزلة وقد كشف خباياهم ، واطلع على كافة أحوالهم ، ليكون حربا عليهم ، وبنفس أسلحتهم التي طالما علموه إياها ، ودربوه عليها ، لقد أحس " الأشعرى " نفورا من عقائد الاعتزال ، وميلا عن المعتزلة إلى أهل الفقه والحديث وسلف الأمة ، ولم يكن هذا النفور [illegible] المعتزلة وتاريخهم المخزي مع سلف الأمة ، وميله إلى عقائد السلف ،

أمراً طارئا أو فجائيا كما قد يبدو لأول وهلة ، وكما يصوره بعض المؤرخين - ولكن بما إن أبا الحسن قد عاش طويلا في كنف المعتزلة ، وخبر أحوالهم ، وعرف خباياهم ، كان ذلك قد زرع الشك في قلب الأشعري ، ولا بد أن يكون شكه في عقائد المعتزلة قد بدأ في وقت مبكر قبل أن يعلن انقلابه عليهم بوقت ليس بالقصير ، وهذا الشك قد دفع بأبي الحسن إلى طلب الحق وتحريه ، حتى جاءت اللحظة التي كان على أبي الحسن أن يواجه نفسه فيها ، وأن يقف من عقائد أساتذة المعتزلة موقفاً فاصلاً ، يختار فيه بين المعتزلة وخصومهم .

ولا بد أيضا أن يكون "أبو الحسن" قد قضى وقتاً طويلاً كي تكتمل في قلبه وعقله ويستقر على تلك المبادئ التي سوف يقيم مذهبه عليها بعد ذلك (١) ولكن أبا الحسن مرت به مرحلة ثانية بين الاعتزال واعتقاده عقيدة السلف الصالح لجأ فيها إلى التأويل وأثبت فيها الصفات السبع عن طريق العقل " الحياة والعلم والإرادة ، والقدرة والسمع والبصر والكلام ، وتأييد الصفات الخبرية بما يتفق مع العقل ، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها (٢) هذا ولقد اعتكف الاشعرى في بيته أياما لا يخرج إلى الناس ، ولعله كان في ذلك يعد للقائه بالناس، ويستهدى الله تعالي - ويستعينه في معرفة الحق والالتزام به ، والدعوة إليه ، ثم في تسجيل ما استقر عليه في كتب دفعها بعد ذلك إلى الناس ليعرفوا منها مذهبه وعقيدته .

ولما انتهى من كل ذلك ، واطمأن قلبه إلى الحق الذي هداه الله - تعالى - إليه ، خرج على الناس في يوم جمعة ورقى المنبر بالمسجد الجامع بمدينة البصرة ، وقد اجتمع عليه الناس ينتظرون ما يكون من أمره ، فقام " أبو الحسن الأشعرى " فوق المنبر وألقي في الناس خطبته التي أعلن فيها انتقاده للمعتزلة وخروجه عليها ، وبين عقيدته التي هداه الله تعالى إليها ، فقال :

---

١ - تاريخ الفرقة الإسلامية ص (١٥١ ، ١٥٤) بتصرف .
٢ - الموسوعة الميسرة ج (١) ص (٨٧ ، ٨٨) بتصرف .

أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا علي بن إسماعيل الأشعرى ، كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله تعالى لايرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع عن ذلك ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم .

معاشر الناس : إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت - الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد، كما انخلع من ثوبي هذا " وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به من فوق المنبر، ثم دفع إلى الناس كتبه التي كتبها مضمنا إياه ما استقر عليه يقينه ، والذي وافق فيه السلف من أهل الفقه والحديث ، ونقض جميع ما كان عليه من عقائد الاعتزال ، وكان هذا يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة في حياة أبى الحسن الأشعرى .

وفى كتابه " الإبانة " أبان الأشعرى عن أصول مذهبه ، كما أبان عن جملة مآخذه على المعتزلة ، حيث قال : فإن كثيراً من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ، ومن مضى بهم من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولاعن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله محمد (ﷺ) في رؤيته تعالى بالأبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة ، وتواترت الآثار ، وتتابعت الأخبار ، وأنكروا شفاعة الرسول (ﷺ) وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر ، وأنكروا أن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ، ودانوا بخلق القرآن ، نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ (١) فزعموا أن القرآن ، كقول البشر ، وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر ، نظيرا لقول المجوس الذين يثبتون خالقين إحداهما يخلق الخير ، والآخر يخلق الشر ، وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون ، وأنه يكون مالا

(١) - سورة المدثر آية (٢٥) .

يشاء ، خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وردا لقول الله تعالي : ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ (١) ولقوله تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ (٢) ولذلك سماهم رسول (ﷺ) " مجوس هذه الأمة " لأنهم دانوا بديانات المجوس ، وضاهوا أقوالهم وزعموا أن للشر والخير خالقين كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس ، وزعموا أنهم يملكون النفع والضر لأنفسهم ، ردا لقول الله تعالي : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ (٣) وانحرافا عن القرآن ، وما أجمع عليه المسلمون ، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل ، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله تعالى بالقدرة عليه ، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمة لأنهم دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ، ومالوا إلى أضاليلهم .

وقنطوا الناس من رحمة الله ، وأيسوهم من روحه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها ، خلافاً لقول الله تعالي : ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾ (٤)

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها ، خلافاً لما جاءت به الرواية عن الرسول (ﷺ) " **إن الله عز وجل يخرج من النار قوماً بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمماً** "

---

١ - **سورة الإنسان آية (٣٠)** .
٢ - **سورة البروج آية (١٦)** .
٣ - **سورة يونس آية (٤٩)** .
٤ - **سورة النساء آية (٤٨)** .

ونفوا أن يكون لله – عز وجل – وجه ، مع قوله سبحانه وتعالي : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (١) ونفوا ما روي عن الرسول (ﷺ) " إن الله ينزل إلي السماء الدنيا " (٢)

وبعد أن ذكر أبو الحسن الأشعري مآخذه علي المعتزلة ، سالكاً معهم نفس المسلك الذي سلكوه مع مخالفيهم من الرمي بالزندقة والفسق والكفر والمجوسية ، وغير ذلك ، وبعد ما بين ما رآه ضلالاً في مذهبهم وفسوقاً ، انتقل ليبين لنا عقيدته هو ، ويقرر لنا قواعد مذهبه ، فقال :

" فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقول ، وديانتنا التي بها ندين : التمسك بكتاب الله تعالي ، وسنة نبيه (ﷺ) ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون . وبما كان عليه " أحمد بن حنبل " نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته – مستمسكون ، وعمن خالف قوله مجانبون ، فإنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمه الله – تعالي – من إمام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفخم ورحمته علي جميع المسلمين .

وبعد أن بين أن منهجه هو منهج السلف ، وهم – كما ذكر – الصحابة والتابعون ، وأئمة الحديث ، ثم خص بالذكر الإمام " المبتلي " "أحمد بن حنبل"عنه ما وقع له علي أيدي المعتزلة وسلطانهم المأمون ومن بعده ، بدأ بعد ذلك يفصل عقيدته التي بها يدين فقال :

---

١ – سورة الرحمن آية (٢٧)

٢ – رواه البخاري .

" وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء رواية من عند الله تعالي وما رواه الثقات عن رسول الله (ﷺ) لا نرد من ذلك شيئاً ، وأن الله تعالي واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة والنار حق ، وأن الساعة آتيةلا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله استوي علي العرش كما قال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (١) وأن لله تعالي وجها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ (٢) وأن له سبحانه يداً ، كما أخبر بذلك فقال تعالي : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) وأن له سبحانه – عيناً بلا كيف ، كما قال تعالي : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (٤)

ونثبت لله تعالي علماً ..... ونثبت له قوة ، كما قال تعالي : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٥) ونثبت لله تعالي السمع والبصر ، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية .

ونقول إن كلامه غير مخلوق ، ولم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فيكون ، وأنه لا يكون في الأرض شيء من شر ولا خير إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله – وأننا لا نستغني عن الله ، ولا نقدر علي الخروج من علم

١ – سورة طه آية (٥) .
٢ – سورة الرحمن آية (٢٧) .
٣ – سورة المائدة آية (٦٤) .
٤ – سورة القمر آية (١٤) .
٥ – سورة فصلت آية (١٥) .

الله، أنه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ومقدرة ، كما قال تعالي : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وإن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً ، وهم يخلقون ، وهذا في كتاب الله كثير .

وأنا نؤمن بقضائه وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال بخلق القرآن كان كافراً به ،

وندين بأن الله تعالي – يري بالأبصار يوم القيامة كما يري القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، كما جاءت الرواية عن رسول الله (ﷺ) ونقول إن الكافرين عنه محجوبون ، كما قال تعالي : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (٢)

ونري ألا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنى والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج ، وزعموا أنهم بذلك كافرون ، ونقول : إن من عمل كبيرة من الكبائر مستحلاً لها كان كافراً إن كان غير معتقد تحريمها ، ونؤمن بأن الله يخرج من النار قوماً بعدما امتحشوا ، بشفاعة النبي محمد (ﷺ) – ونؤمن بعذاب القبر ، وأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله تعالي – لصحبه نبيه – (ﷺ) – ونثني عليهم بما أثني الله تعالي به عليهم ، ونقول إن الإمام بعد رسول الله (ﷺ) هو أبو بكر عنه الله سبحانه – أعز به الدين ، وأظهره علي المرتدين ، ثم عمر بن الخطاب عنه عثمان – نضر الله وجهه – قتله قاتلوه عدوانا وظلما ، ثم علي بن أبي طالب ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله (ﷺ) ، وخلافتهم خلافة

١ – سورة الصافات آية (٩٦) .
٢ – سورة المطففين آية (١٥) .

النبوة ، ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة الذين شهد لهم رسول الله (ﷺ) ، ونكف عما شجر بينهم – وندين لله سبحانه – بأن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء ، لا يوازيهم في الفضل غيرهم .

ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل المعروفون لأئمة المسلمين بالصلاح .

ونقر بخروج الدجال ، ونقر بعذاب القبر ومنكر ونكير ، ونصدق بحديث المعراج .

ونري الصدقة عن موتي المسلمين والدعاء لهم ، ونؤمن أن ذلك – بفضل الله – ينفعهم .

ونقول : إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآياته .... " (١)

هذا بيان أبي الحسن الأشعري عن قواعد عقيدته ، وأصول مذهبه "(٢)

الذي ضمنه كتابه " الإبانة عن أصول الديانة " الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم ، والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل ، ولم يقتصر علي ذلك ، بل خلف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة ، وشرح العقيدة ، تقدر بثمانية وستين مؤلفاً ، توفي – رحمه الله تعالي – سنة ٣٢٤ أو ٣٣٤ هـ ، ودفن في بغداد ، ونودي علي جنازته " اليوم مات ناصر السنة "

بعد وفاة أبي الحسن الأشعرى ، وعلي يد أئمة المذهب وواضعي أصوله وأركانه أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور ، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده ، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية علي منهج مؤصل ، واضحة أصوله الإعتقادية ، ولا كيفية التعامل مع النصوص

---

١ – الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعرى (المقدمة) .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٥٤ – ١٦٠) بتصرف .

الشرعية ، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة السلف واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد علي المعتزلة ، ومن مظاهر ذلك التطور :

- القرب من أهل الكلام والاعتزال .
- الدخول في التصوف والتصاق المذهب الأشعري به .
- الدخول في الفلسفة وجعلها جزءاً من المذهب " (١)

وقال القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي صاحب كتاب " المواقف في علم الكلام " في ختام كتابه ، بعد أن عدد الفرق غير الناجية :

" ... وأما الفرقة الناجية المستثناه الذين قال فيهم رسول الله (ﷺ) : " هم الذين علي ما أنا عليه وأصحابي "

فهم الأشاعرة * والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة .

ومذهبهم خال عن بدع هؤلاء • يشير إلي الفرق الأخرى غير الأشاعرة ، وقد أجمعوا علي حدوث العالم ، ووجود الباري – سبحانه وتعالي – وأنه لا خالق سواه ، وأنه سبحانه قديم متصف بالعلم والقدوة وسائر صفات الجلال ، لا شبيه له ، ولا ضد ، ولا ند ، ولا يحل في شيء ، ولا يقوم بذاته حادث ، ليس في حيز ولا جهة **،ولا يصح عليه الحركة والانتقال***، ولا الجهل ولا الكذب،

---

١ – الموسوعة الميسرة ج ١ ص (٨٧ ، ٨٨) بتصرف .

* الأشاعرة الذين هم علي مذهب أبي الحسن الأشعري وهو في آخر أمره ، حيث رجع إلي عقيدة السلف جملة وتفصيلاً ، وليس الأشاعرة الذين خالفوا إمامهم في كثير من المسائل علي نحو ما سنذكره إن شاء الله تعالي .

** قوله : ليس في حيز ولا جهة . نقول : قد ثبت في عقيدة السلف صفة العلو لله عز وجل ، وهل العلو يعني الجهة ؟

ولا شيء من صفات النقص ، مرئي للمؤمنين في الآخرة ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، غني لا يحتاج إلي شيء ، ولا يجب عليه شيء ، وإن أثاب فبفضله ، وإن عاقب فبعدله ، لا غرض لفعله ، ولا حاكم سواه ، لا يوصف فيما يفعل أو يحكم بجور ولا ظلم ، وهو غير متبعض ، ولا له حد ولا نهاية * ، وله الزيادة والنقصان في مخلوقاته .

معلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ، وقد علم أن ما ثم موجو إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مباين للمخلوق – سبحانه وتعالي – ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفي الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء مخلوق ؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال : الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم ؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟

فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل ، فالله تعالي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته .

وكذلك لفظ التحيز ، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض ، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات : أي مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها ، فهو سبحانه كما قال أئمة السنة : فوق سمواته علي عرشه ، بائن من خلقه ، وذلك بالكيفية التي يعلمها الله جل شأنه عن نفسه .

فالله تعالي منفصل عن خلقه ومتميز عليهم .

*** وقوله : ولا يصح عليه الحركة والانتقال ، إن أراد به عدم مشابهة المخلوقات فهو حق ، وإن أراد به نفي المجيء والنزول ، فهو باطل لثبوت ذلك بالقرآن والسنة علي نحو ما يعتقد السلف .

* قوله ولا حد له ولا نهاية : هذا كلام يحتاج إلي بيان ، حيث هو يحتمل معاني ، منها ما يصح ، وما لا يصح ، فإن أراد بذلك نفي المشابهة للمخلوقات ، ونفي اتصاله بالمخلوقات ، أو حلوله في شيء منها – سبحانه – فقد قال السلف في ذلك : الله مستو علي عرشه ،

والمعاد حق ، وكذا المجازاة ، والمحاسبة ، والصراط ، والميزان ، وخلق الجنة والنار ، وخلود أهل الجنة فيها ، وخلود الكفار في النار ، ويجوز العفو . والشفاعة حق ، وبعثه الرسل بالمعجزات حق من آدم إلي محمد ، وأهل بيعة الرضوان ، وأهل بدر من أهل الجنة .

والإمام يجب نصبه علي المكلفين ، والإمام الحق بعد رسول الله (ﷺ) – أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، والأفضلية بهذا الترتيب .

بائن من خلقه ، وبائن لغة اسم فاعل من بان إذا افترق وظهر ، ومنه البين وهو الفراق . ومعناه عندهم أن الله سبحانه وتعالي منفصل عن خلقه ومتميز عليهم .

ومن كلام العلماء في هذه المسألة ما ذكره ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالي – عند شرحه قول الطحاوي " وتعالي عن الحدود والغايات " فقد بين – رحمه الله – أن الناس علي ثلاث طوائف في هذه المسألة ، فمنهم من ينفي ذلك ، ومنهم من يثبته ، ومنهم من يفصل في ذلك ، وهذا لأن هذا الكلام مجمل ، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة .

ومن هنا يعلم أن مراد الطحاوي – رحمه الله تعالي – من هذا الكلام : أن الله تعالي عن أن يحيط أحد بحده ، لأن المعني أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم ، مباين لهم ، كما سئل عبد الله بن المبارك ، بم تعرف ربنا ؟ قال : بأنه علي العرش بائن من خلقه ، قيل : بحد ؟ قال : بحد .

ومن المعلوم أن الحد يقال علي ما ينفصل به الشيء ، ويتميز به عن غيره ، والله تعالي غير حال في خلقه ، ولا قائم بهم ، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه .

فالحد بهذا المعني لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً ، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته . قلت : وفي هذا عين مباينة الله لخلقه ، وفيه رد علي أهل الحلول الذين يقولون بحلول الله في خلقه . أو في بعض خلقه كما تقول النصارى بأنه يحل في عيسى عليه السلام ، تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا .

وأما إن أراد بكلامه هذا ما ينفي عن الله تعالي صفة العلو ، أو ما يدل علي الحلول ، فهو مرفوض ، وإن كان ذلك بعيداً .

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع * القادر العليم ، أو شرك ، أو إنكار للنبوة ، أو ما علم مجيئه – عليه السلام – به ضرورة ، أو لمجمع عليه كاستحلال المحرمات ، وأما ما عداه فالقائل به مبتدع غير كافر "(١)

منهج الإمام الأشعرى :

نهج أبو الحسن الأشعرى منهجاً وسطاً بين دعاة العقل المطلق وبين الجامدين عند حدود النص بظاهرة ، دون أي إعمال للعقل ، فجمع الأشعرى بين العقل والنص ، ومع أنه قدم النص علي العقل إلا أنه جعل للعقل مدخلاً في فهم النص كما أشارت إلي ذلك الآيات الكثيرة التي وجهت إلي التعقل والتفكير والتدبر ، فهو يثبت كل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) من صفات لله ، واليوم الآخر ومراحله ، ثم يسمح للعقل بأن يفهم النص ويحاول إقامة الأدلة عليه دون محاولة لصرفه عن مراده الذي ساقه الله لأجله أو تعطيله أو إجرائه علي غير ما يليق بذات الله سبحانه وتعالي ، فهو لا يتخذ من العقل حاكماً يقدمه ويقدسه أكثر من قداسته للنص .

وهذا هو المنهج الوسط . فالعقل نعمه من الله سبحانه وتعالي ، والنص من عند الله أيضاً ، ومن هنا فلا يمكن أن يقع بينها التناقض ، لأن المصدر واحد وهو الله .

وهكذا فالأشاعرة قد جمعوا بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول ، وتحققوا من أنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول .

---

* قوله : إلا بما فيه نفي للصانع : حيث ذكر من أسماء الله تعالي : الصانع " وهذا لم يثبت في القرآن أو السنة ، كما لم يذكره أحد من السلف ، بل هم أنكروا علي الأشاعرة ذكرهم اسم : القديم ، والصانع ، ونحوهما .

١ – المواقف في علم الكلام . للقاضي عبد الرحمن أحمد الإيجي ص (٤٣٠) نقلاً عن / تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٦١) بتصرف .

ومن هنا فمنهجهم هو منهج الإسلام ، وهو طريق الرشاد والنجاة .

يقول الإمام الغزالي : وأني يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر ، وينكر مناهج البحث والنظر أو يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر (ﷺ) ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر .

وكيف يهتدي للصواب من اقتضى محصنة العقل واقتصر ، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر ؟

وقد أعلن أبو الحسن الأشعري تمسكه بمذهب الإمام أحمد بن حنبل – كما سبق بيانه .

إلا أن أساتذة المذهب الأشعري بعد ذلك قد غيروا بعض الشيء في منهجه، وخصوصا الإمام الغزالي الذي أعطي للعقل مجالاً أوسع في الأدلة والبراهين ، وعدم التقيد بالمقدمات التي تمسك بها الأشعري والباقلاني ، ثم تطور المذهب بعد ذلك علي يد الإمام الرازي وسعد الدين التفتازاني ، والشريف الجرجاني ، الذين مالوا إلي نوع من التأويل العقلي في الصفات مخالفين بذلك منهج الإمام أبي الحسن الأشعري ، حيث خلطوا المسائل الكلامية بالمسائل الفلسفية .

مذهب الأشعري : ذهب الأشعري مذهباً وسطاً بين تطرف ومغالاة الفرق الأخرى ، فهو في التوحيد يتوسط بين المعتزلة والجهمية الذين أثبتوا ذاتا بلا صفات ، وبين الحشوية والمجسمة الذين شبهوا صفات الله بصفات الحوادث ، فجاء الأشعري لكي يثبت كل ما أثبته الله لنفسه من صفات سواء كانت صفات سلبيه أو معنوية ، أو خبرية ، أو صفات أفعال ، وقرر أنها صفات تليق بذات الله ولا تشبه صفات الحوادث التي تسمي باسمها ، وهي ليست عين الذات في الماهية والحقيقة ولا غيرها في الوجود ، لأنها قائمة بالذات ولها أحكامها وماهيتها .

- وفي قضية العدل : يثبت للعبد كسباً يكون هو مناط الثواب والعقاب ، ويرد الخلق إلي الله تعالي في كل شيء فلا يقع في الكون شيء من خير أو شر إلا بإرادته .

- وأما مسألة الإيمان والكفر ، فقد قال الإمام الأشعري : إن الإيمان هو التصديق القلبي * ، ومن هنا فالأعمال ليست ركنا في الإيمان ، بل هي شرط كمال للإيمان ، ولكنه لا يفقد بفقدها .

وبالتالي فمرتكب الكبيرة هو مؤمن** عاص ، وهو غير مخلد في النار ، كما زعمت المعتزلة ، بل أمره إلي الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وإن عاقبه فإنه بقضي فترة عقابه علي قدر ذنبه ثم يخرج من النار ويدخل الجنة ، وقد لا يدخل النار أصلاً بشفاعة رسول الله (ﷺ) الذي يقول : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " وحديث البطاقة شاهد لذلك .

وهكذا فالإيمان هو التصديق القلبي ، والعمل هو شرط كماله وثمرته ، والإيمان يزيد وينقص ، فهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والله لا يجب عليه فعل شيء ، فإذا أدخل الطائعين الجنة فبفضله ، وإن عاقب العاصين فبعدله

ودعا الإمام الأشعري إلي طاعة الإمام العادل ، وعدم الخروج عليه حتى وإن ظهر فسقه .

- والأئمة بعد رسول الله (ﷺ) هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم في الفضل علي هذا الترتيب وخلافتهم خلافة النبوة ، ودعا إلي عدم الخوض

* هذا غير مسلم به عند السلف لأن الإيمان تصديق بالجنان ، وتلفظ باللسان ، وعمل بالأركان ، يزداد بالطاعات ، وينقص بالعصيان .

** والصواب أنه مسلم عاص .

فيما شجر بين صحابة رسول الله (ﷺ) ، وفوض الأمر في خلافهم إلي الله سبحانه وتعالي " (1)

٢ – ومن أبرز أئمة المذهب الأشعري أيضاً " القاضي أبو بكر الباقلانى : (٣٢٨ – ٤٠٣ هـ / ٩٥٠ – ١٠١٣ م) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر من كبار علماء الكلام ، هذب بحوث الأشعري ، وتكلم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالي فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة .

ثم انتهي إلي مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين علي الحقيقة ، وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة ، وذلك في كتابه : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ،

ولد في البصرة ، وسكن بغداد وتوفي فيها . وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلي ملك الروم ، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين ملكها .

من كتبه / إعجاز القرآن ، الإنصاف ، مناقب الأئمة ، دقائق الكلام ، الملل والنحل ، الاستبصار ، تمهيد الأوائل ، وكشف أسرار الباطنية .

٣ – أبو إسحاق الشيرازي : (٢٩٣ – ٤٧٦ هـ / ١٠٠٣ – ١٠٨٣ م) وهو : إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي ، العلامة المناظر ، ولد في فيروز أباد بفارس ، وانتقل إلي شيراز ، ثم البصرة ، ومنها إلي بغداد ، سنة (٤١٥ هـ) ، وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام ، فكان مرجعاً للطلاب ومفتياً للأمة في عصره ، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ،

---

١ – تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٥٥) ، الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية ص (١٥١ ، ١٥٥) بتصرف .

بني له الوزير نظام الملك : المدرسة النظامية علي شاطيء دجلة ، فكان يدرس فيها ويديرها .

عاش فقيراً صابراً ، وكان حس المجالسة ، طلق الوجه ، فصيحاً ، مناظراً ، ينظم الشعر ، مات ببغداد وصلي عليه المقتدي العباسي .

من مصنفاته : التنبيه ، والمهذب في الفقه ، والتبصرة في أصول الشافعية ، وطبقات الفقهاء ، واللمع في أصول الفقه وشرحه ، والملخص ، والمعونة في الجدل .

٤ – أبو حامد الغزالي : (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ – ١١١١ م) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي / لقب بحجة الإسلام . ولد في الطابران ، قصبة طوس بخراسان ، وتوفي بها ، رحل إلي نيسابور ثم إلي بغداد ، فالحجاز ، فبلاد الشام ، فمصر ، ثم عاد إلي بلدته .

لم يسلك الغزالى مسلك الباقلاني ، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال ، وذم علم الكلام ، وبيِّن أن أدلته لا تفيد اليقين ، كما في كتابه . المنقذ من الضلال ، وكتاب " التفرقة بين الإيمان والزندقة "

وحرم الخوض فيه فقال : " لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام "

اتجه نحو التصوف ، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة ، وعاد في آخر حياته إلي السنة من خلال دراسة صحيح البخاري .

٥ – أبو إسحاق الإسفراييني : (ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م) وهو إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول ، وكان يلقب بركن الدين ، وهو أول من لقب به من الفقهاء ، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور

وجرجان) ثم خرج إلي نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها ، ورحل إلي خراسان وبعض أنحاء العراق ، فاشتهر في العالم الإسلامي ،

ألف في علم الكلام كتابه الكبير ، الذي سماه " الجامع في أصول الدين والرد علي الملحدين " قال ابن خلكان : رأيته في خمسة مجلدات ، توفي أبو إسحاق إلا سفرابيني – يرحمه الله تعالي – في يوم عاشوراء ، ثمان عشرة وأربعمائه بنيسابور ثم نقل إلي إسفرايين ودفن بها ، وكان قد نيف علي الثمانين.

٦ – إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : (٤١٩ – ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م) وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الفقيه الشافعي ، ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور ، ثم رحل إلي بغداد ، فمكة ، حيث جاور فيها أربع سنين ، وذهب إلي المدينة المنورة فأفتي ودرس ، ثم عاد إلي نيسابور فبني له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء ، وبقي علي ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق ، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلي مذهب السلف ، وقد قال في رسالته : " النظامية " والذي نرتضيه رأيا وندين لله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع علي أن إجماع الأمة حجة ، ويعضد ذلك ، ما ذهب إليه في كتابه " غياث الأمم في التياث الظلم " فالبرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي ، فقد قال فيه : " والذي أذكره الآن لائقا بمقصود هذا الكتاب ، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق علي مذهب السلف السابقين ، قبل أن نبعت الأهواء ، وزاغت الآراء ، وكانوا – رضي الله عنهم – ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات ... "

نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه : " يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به"

توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذ أربعمائه ، .

ومن مصنفاته : " العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، والبرهان في أصول الفقه ، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية ، والشامل في أصول الدين .

٧ – الإمام الفخر الرازي (٥٤٤ هـ – ١١٥٠ م / ت ٦٠٦ هـ – ١٢١٠ م)

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطرستاني الرازي المولد ، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي ، قال عنه صاحب " وفيات الأعيان " إنه فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات " ١-هـ

وهو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة بالإضافة إلي أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه علي الأدلة الشرعية .

قال فيه الحافظ ابن حجر في " لسان الميزان " (٤ / ٤٢٦ – ٤٢٩) . كان له تشكيكات علي مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة ، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة علي غاية من الوهن " إلا أنه أدرك عجز العقل فأوصي وصيه تدل علي حسن اعتقاده ، فقد نبه في أواخر عمره إلي ضرورة اتباع منهج السلف ، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام ، فقال : " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق ، طريقة القرآن ، قرأ في الإثبات ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (١) ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

---

١ – سورة طه آية (٥) .

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (1) وقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (2) ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ (3) ثم قال في حسرة وندامه : " ومن جرب تجربتي عرف معرفتي " (الحموية الكبرى لابن تيمية) ومن أشهر كتبه في علم الكلام : أساس التقديس في علم الكلام ، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا ، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالي والصفات ، البيان والبرهان في الرد علي أهل الزيغ والضلال كافية العقول ... " (4)

---

١ – سورة فاطر آية (١٠) .

٢ – سورة الشورى آية (١١) .

٣ – سورة البقرة آية (   ) .

٤ – الموسوعة الميسرة ج ١ ص (٨٨ – ٩٠) بتصرف .

مبادئ الأشاعرة

من خلال النصوص التي نقلناها عن أبي الحسن الأشعري متحدثا عن مذهبه ، ثم عن عضد الدين الإيجي صاحب المواقف ، وهو من أشهر المؤلفات التي قوبلت بالقبول من الأشاعرة حتى يومنا ، نري أصول المذهب لم يطرأ عليها تغير يذكر ، وبعد مضي أربعة قرون تقريباً بين مقالة الأشعري صاحب " الإبانة " ومقالة عضد الدين الإيجي صاحب المواقف " .

ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نلخص مبادئ الأشاعرة فيما يلي :

١ – أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد جاء لإحياء عقيدة السلف الذين رآهم ممثلين في أهل الفقه وأهل الحديث،وبالذات في آراء الإمام أحمد بن حنبل عنه .

٢ – أن يأخذ عقيدته من الكتاب والسنة أما الكتاب فيأخذ محكمه ، ويؤمن بالمتشابه منه علي ما هو عليه دون تأويل . وأما السنة فيأخذ صحيحها ، يستوي في ذلك ما تواتر ، وما كان خبر آحاد ، فهو يقبل هذا كله ، ولا يرد شيئا منه .

٣ – أن يرفض عقائد الاعتزال ، وينقضها ، ويحمل علي أصحابها إلي حد رميه إياهم بأنهم يدينون بالمجوسية ، وأنهم كافرون بالقرآن لقولهم بأنه مخلوق .

٤ – أنه يؤمن بما يؤمن به السلف :

(أ) فيثبت لله تعالي صفات الكمال التي أثبتها الله تعالي لذاته ، دون تمثيل ، وينفي ما نفي الله تعالي عن ذاته دون تعطيل .

(ب) ويؤمن بأن الله – تعالي – خالق كل شيء ، ومريد لكل شيء ومقدر كل شيء يقع في الوجود ، فلا يكون في ملك الله تعالي إلا ما يريد .

(ج) ويؤمن بأن الإيمان هو التصديق * فمن صدق بقلبه برسالة محمد (ﷺ) فهو مؤمن * ، فإن ارتكب من الكبائر شيئا ثم خرج من الدنيا علي غير توبة ، فهو تحت رحمة الله تعالي ، إن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار إلي الجنة ، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ابتداء ، وارتكاب المؤمن الكبيرة لا يخرجة عن وصف الإيمان .

(د) ويؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يري الإنسان القمر ليلة البدر ، كما جاء في الأحاديث الشريفة .

(هـ) ويؤمن بالمعجزات للأنبياء ، وبالكرامات للأولياء .

(و) ويؤمن بأن خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين حق ، وأنهم أفضل الأمة ، حسب توليهم الخلافة ، فأفضلهم جميعاً أبو بكر ، وهو أفضل الأمة علي الإطلاق ، ثم يليه في الفضل عمر ، ثم عثمان ، وأخرهم فضلا أخرهم خلافة وهو الإمام علي رضي الله عنهم أجمعين .

٥ – أن يؤمن بفضل الفريقين المتحاربين ، لا يفسق واحداً من الصحابة أو التابعين الذين كان لهم نصيب في هذه الفتنة ، ويمسك عن الحكم عليهم ، ويفوض أمرهم إلي الله سبحانه وتعالي – هذا كله مع الإيمان بصلاحهم وتقواهم وإحسان الظن بهم جميعا .

٦ – أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأما فعل الإنسان بالقرآن فهو مخلوق ، فإن يقرأ الإنسان القرآن بصوته ، فالصوت مخلوق ، وإن يكتب الإنسان القرآن بالقلم ، فالكتابة مخلوقه حادثة ، أما القرآن ذاته فهو كلام الله تعالي غير مخلوق .

---

* الزعم بأن الإيمان هو التصديق القلبي ليس هذا معتقد السلف في الإيمان الذي عرفوه بقولهم : الإيمان تصديق بالجنان وتلفظ باللسان وعمل بالأركان ، يزداد بالطاعات وينقص بالعصيان . وبذلك خالفت الأشاعرة معتقد السلف في مفهوم الإيمان .

قضية الصفات : فقد ذهبت بعض الفرق كالجهمية والمعتزلة إلي نفي الصفات ، تحت أسباب وعلل باطلة ، فمرة يقولون : عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، ومرة يقولون : عالم بذاته ، كما بينا قبل ذلك .

وذهبت فرق أخري إلي نقيض اتجاه المعتزلة ، وكما نفي المعتزلة الصفات ذهبت الحشوية والكرامية وفرق أخري إلي إثبات الصفات مشابهة لصفات الحوادث فشبهوا وجسموا – عياذاً بالله – ووصفوا الذات الإلهية بصفات المخلوقين .

فجاء الأشعري وتوسط بين هؤلاء وأولئك ، فأثبت الصفات التي أثبتها الله تعالي لذاته ، دون تشبيه أو تمثيل ، وكانت قاعدته التي أخذها – حقا – عن السلف " أنه يثبت لله – تعالي – ما أثبت الله ورسوله دون تمثيل ، وينفي عن الله تعالي ، ما نفي الله ورسوله دون تعطيل " فجاء مذهبه وسطا بين المعطلة نفاة الصفات وبين المشبهة والمجسمة .

فالأشعري أقر عقيدة السلف التي تقوم علي الإيمان بهذه النصوص ، وتثبتها لله تعالي كما هي دون تمثيل أو تأويل ، وتفوض العلم بالمراد منها إلي الله سبحانه وتعالي ، وقد عبر " الشهرستاني " عن مسلك الأشعري بقوله " .... ومنهم من توقف في التأويل – يقصد الأشعري "

وقال : عرفنا بمقتضى العقل – والنقل أيضا – أن الله تعالي ليس كمثله شيء ، فلا يشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا بذلك ، إلا أننا لا نعرف معني اللفظ الوارد فيه * مثل قوله تعالي ﴿ **الرحمن علي العرش استوي** ﴾ و ﴿ **خلقت بيدي** ﴾ إلي غير ذلك ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه تعالي لا شريك له ، وليس

---

* فرق السلف بين معرفة معني اللفظ ، وبين الكيف ، فقالوا أما المعني فنحن نعرفه لأن الله تعالي لا يتعبدنا بشيء لا يمكن معرفته ، وأما الكيف فهذا الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وليس في قدرة العبد أن يتوصل إلي حقيقته ، ومعرفة كنهه .

كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقينا " . فجاءت عقيدته وسطا بين المؤولة والمجسمة

قضية الإيمان والعمل : فبعض الفرق ذهبت إلي أن العمل من الإيمان ، ولا يتحقق الإيمان بلا عمل ، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر أو في منزلة بين المنزلتين ، وفي كلا الحالتين هو مخلد في جهنم .

وفرق المرجئة ومن اعتقد عقائدها لا تري للعمل قيمة ولا أثرا يوم القيامة، ويقولون . لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعته ، ومرتكب الكبيرة علي مذهبهم مؤمن ولا ضرر عليه من ارتكاب الكبيرة وهو ناج يوم القيامة .

أما الأشعري فقد ركن إلي عقيدة السلف ، في أن الكبيرة لا تخرج صاحبها عن الإيمان فهو مؤمن * . وأما شأنه في الآخرة فهو بين يدي الله سبحانه وتحت رحمته ، إن شاء عفا عنه ابتداء وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه بقدر معصيته ثم أدخله الجنة .

وبذلك كانت عقيدته وسطا بين هؤلاء وأولئك .

– قضية خلق القرآن المجيد فقد اختلفت الفرق حولها .

حيث ذهب المعتزلة إلي أن القرآن المجيد مخلوق بألفاظه ومعانيه وأحكامه، ليس شيء منه قديماً ، فهو كله مخلوق محدث .

أما الحشوية فقد ذهبوا إلي أن القرآن الكريم قديم بألفاظه ومعانية وأحكامه، وبحروفه المكتوبة ، والحبر الذي يكتب به ، والألوان التي يكتب بها ، والأجسام

---

* وقد علم في معتقد السلف أن مرتكب الكبيرة هو مسلم عاص ؛ فذكر الإمام أحمد في أصحاب الكبائر مثل الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب ، كما في الحديث فقال : فأقول عنه مسلما ولا أقول مؤمنا

التي يكتب عليها من ورق وعظم وجلد وغير ذلك ، والأصوات التي يقرأ بها ويسمع بها ، فكل ذلك قديم ؟

أما الأشعري فقد توسط ، حيث ذهب إلي أن كلام الله تعالي قديم ، وأن المعاني التي يتضمنها القرآن قديمة ، وأما الحروف والألفاظ الدالة علي المعاني فحادثة ، فالحروف دلاله علي الكلام الأزلي والعبارات والألفاظ المنزلة علي لسان الملائكة إلي الأنبياء عليهم السلام – دلالات علي الكلام الأزلي ، والدلالة مخلوقة محدثة ، والمدلول قديم أزلي ، والفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو ، كالفرق بين الذكر والمذكور ، فالذكر محدث ، والمذكور قديم . فالمذهب هنا متوسط بين تفريط المتعزلة وإفراط الحشوية .

– **قضية أفعال العباد** : فقد وقع فيها الغلو من كلا طرفي الإفراط والتفريط ، فقد غلا الجبرية في إعفاء العبد من مسئولية الفعل ، وذهبوا إلي أن العبد لا يفعل شيئا من أفعاله ، وأنه في يد القدر مثل الريشة في مهب الريح ، وأن إسناد الأفعال إليه إسناد مجازي ، وأنه مجبر في كل أفعاله ، وأن الحساب جبر ، والثواب جبر ، والعقاب جبر .

وفي المقابل ذهب القدرية إلي الوجه المضاد ، فقالوا إن العبد يفعل أفعاله بحرية وإرادة كاملين ، وأنه لا صلة لله تعالي بأفعال العباد من قريب أو بعيد ، بل ذهبوا إلي نفي علم الله الأزلي بأفعال العباد ، وتقديره إياها ، وقالوا قولتهم الشهيره " لا قدر والأمر أنف " .

أما الأشعري فقد توسط بين القدرية والجبرية ، وأثبت أن الله هو فاعل كل شيء ، لكنه لم يعف العبد من المسئولية ، استنادا إلي ما أسماه " الكسب " وقد عرف " الكسب " بأنه مقارنة فعل العبد لفعل الله – سبحانه –.ورغم أن الأشعري قد توسط هنا ، إلا أن الكثيرين – حتي من الأشاعرة أنفسهم – لم يقتنعوا بهذه النظرية في " الكسب " ورأوا أنها أخت الجبر أو قريبة منه ، وذلك مثل الإمام " ابن حزم " الذي يضع الأشعري ضمن الجبرية .

مما تقدم نري الأشعري في جملة مذهبه قد قرر عقائد السلف ، وأن عقيدته وقواعد مذهبه وسط بين غلاة الفرق من كلا طرفي الغلو .

ولكنا – أيضا – لا نعفيه من أمور نري نحن أو غيرنا أنها لم تصب العقيدة الحقة ، ولم يكن – من وجهة نظرنا أو أنظار مخالفيه – موفقا فيها .

وأوضح مثال علي ذلك مذهبه في أفعال العباد ، ونظريته في " الكسب " التي خفيت حتى علي بعض رجالات الأشعرية ، حتى ضرب بها المثل في الخفاء والغموض ، فقيل : أخفي من كسب الأشعري (١)

١ – تاريخ الفرق الإسلامية د / محمود مزروعة ص (١٥١ – ١٧٠) بتصرف .

الأفكار والمعتقدات :

مصدر التلقي عند الأشاعرة : الكتاب والسنة علي مقتضي قواعد علم الكلام ، ولذلك فإنهم يقدمون العقل علي النقل عند التعارض ، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في أساس التقديس ، والآمدي ، وابن فورك وغيرهم . وهذا خلاف ما كان عليه أبو الحسن في آخر أمره .

عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ، لأنها تفيد العلم اليقيني . ولا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي .

والمتواتر منها يجب تأويله ، ولا يخفي مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ومن سار علي منهجهم حيث كان النبي (ﷺ) : يرسل الرسل فرادي لتبليغ الإسلام كما أرسل معاذاً إلي أهل اليمن ولقوله (ﷺ) " نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ... " الحديث ، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة .

– مذهب طائفة منهم وهم : صوفيتهم كالغزالي والجويني في مصدر التلقي ، تقديم الكشف والذوق علي النص ، وتأويل النص ليوافقه ، ويسمون هذا " العلم اللدنى " جريا علي قاعدة الصوفية " حدثني قلبي عن ربي " (1) . وكما وضح ذلك في الرسالة اللدنية ١ / ١١٤ – ١١٨ من مجموعة القصور العوالي ، وكبرى اليقينيات لمحمد سعيد رمضان البوطي (الإهداء – ٣٢ – ٥٠)

ولا يخفي ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة ، وإلا فما الفائدة من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

* يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلي ثلاثة أقسام :

١ – انظر كتاب " شبهات التصوف " للمؤلف ص (١٠٠ – ١٠٧) .

– قسم مصدره العقل وحده ، وهو معظم الأبواب ، ومنه باب الصفات ، ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل (عقلية) وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف علي الوحي عندهم ، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة فإنهم يؤولونها .

– قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية – علي خلاف بينهم فيها

– قسم مصدرة النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو مما لا يحكم العقل باستحالته ، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكما ، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً ، وفي الرؤية جعلوه مساوياً

أما في مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاه بين العقل والنقل أصلاً ، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر وإنما يبدأ بتقديم النقل علي العقل .

* خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالي ، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال علي وجود الله تعالي بقولهم : إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم . وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلوله فيها ، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا في جهة ولا في مكان .

وقد رتبوا علي ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل : إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم من أجل الرد علي القائلين بقدم العالم ، بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال علي وجود الخالق سبحانه وتعالي .

* التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة . وفي ذلك يقولون : إن

الله واحد في ذاته لا قسيم له ، واحد في صفاته لا شبيه له ، واحد في أفعاله لا شريك له ، ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر علي الاختراع ،

وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل علي التركيب والأجزاء عندهم .

وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومن تبعهم

وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته، وتأويل بعض صفاته .

وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معني التوحيد حيث يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب علي العبيد : إفراد الله تعالي بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته علي نحو ما أثبته تعالي لنفسه أو أثبته له رسول الله (ﷺ) ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله (ﷺ) من غير تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل .

– إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلي النظر ثم الإيمان ، ولا تكفي المعرفة الفطرية ، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره ..

بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب علي المكلفين هو عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ، توحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع ، وأن معرفة الله تعالي أمر فطري مركوز في النفوس .

– يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع ، وكذلك صفتي العلو والاستواء . وقد ذهب المتأخرون منهم إلي تفويض معانيها إلي الله تعالي علي أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه ، ولم

يقتصروا علي تأويل آيات الصفات ، بل توسعوا في باب التأويل ، حيث شمل أكثر نصوص الإيمان ، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان ، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء .

أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معني النص – بمعني تحريفه – أو تفويضه سواء أكان في نصوص الصفات أو غيرها .

* الأشاعرة في الإيمان بين : المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان ، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي ، ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين في كتابه تبسيط العقائد الإسلامية (٢٩ – ٣٢) أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بالشهادتين ، ومال إليه البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات ١٩٦) .

وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة ، ومنها : " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون "

وعليه يكون إبليس من الناجين من النار ، لأنه من المصدقين بقلوبهم ، وكذلك أبو طالب عم النبي (ﷺ) ، ولم يكن هناك داع لحرص النبي (ﷺ) علي قوله لاإله إلا الله ، محمد رسول الله ، وغير ذلك كثير .

• الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير ، فتارة يقولون لا نكفر أحدا ، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا ، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع ، فمثلا يكفرون من يثبت علو الله الذاتي ، أو من يأخذ بظواهر النصوص حيث يقولون : إن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر .

أما أهل السنة والجماعة فيرون أن التكفير حق لله تعالي لا يطلق إلا علي من يستحقه شرعا ، ولا تردد في إطلاقه علي من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع .

* قولهم بأن القرآن ليس كلام الله علي الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة ، يقول صاحب الجوهرة : " يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم " وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة .

أما مذهب أهل السنة والجماعة فهو : أن القرآن كلام غير مخلوق وأنه تعالي يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى (عليه السلام) ويسمعه الخلائق يوم القيامة يقول الله تعالي : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾

* والإيمان والطاعة بتوفيق الله ، والكفر والمعصية بخذلانه ، والتوفيق عند الأشعري خلق القدرة علي الطاعة ، والخذلان عنده ! خلق القدرة علي المعصية ، وعند بعض أصحاب الأشعري ، تيسير أسباب الخير هو التوفيق ، وضده الخذلان .

* كل موجود يصح أن يري ، والله موجود يصح أن يُري ، وقد ورد في القرآن أن المؤمنين يرونه في الآخرة ، قال تعالي : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

ولكن الأشاعرة يرون أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية علي جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع فإن كل ذلك مستحيل ، وفي ذلك نفي لعلو الله تعالي والجهة ، بل ونفي للرؤية نفسها .

ويقترب الرازي كثيرا من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي .

* حصر الأشاعرة دلائل النبوة بالمعجزات التي هي الخوارق ، موافقة للمعتزلة وإن اختلفوا معهم في كيفية دلالتها علي صدق النبي ، بينما يري جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة للأنبياء كثيرة ومنها المعجزات .

* صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه إلي الله تعالي ، إما أن يغفر له برحمته ، وإما أن يشفع فيه النبي (ﷺ) موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة .

* يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته ، وأن الله تعالي أجري العادة بخلق مقدورها مقارنا لها ، فيكون الفعل خلقا من الله وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته .

ولقد عد المحققون " الكسب " هذا من مجالات الكلام ، وضربوا له المثل في الخفاء والغموض ، فقالوا : أخفي من كسب الأشعري "

وقد خرج إمام الحرمين وهو من تلاميذ الأشعري عن هذا الرأي ، وقال بقول أهل السنة والجماعة ، بل والأشعري نفسه في كتاب " الإبانة " رجع عن هذا الرأي .

* قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقا ، ولكنهم قالوا إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبي فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض وبين إثبات الله للرسول المعجزة تفريقا بينه وبين المتنبئ

* وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ ، وأمور الآخرة من الحشر والنشر ، والميزان والصراط ، والشفاعة ، والجنة والنار ، لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق (ﷺ) وأيدتها نصوص الكتاب والسنة ، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية .

* كما وافقوهم في القول في الصحابة علي ترتيب خلافتهم ، وأن ما وقع بينهم كان خطأ وعن اجتهاد منهم ، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم ، لأن الطعن فيهم إما كفر ، أو بدعة ، أو فسق ، كما يرون الخلافة في قريش وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ، ولا يجوز الخروج علي أئمة الجور ، بالإضافة إلي موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات .

* فضلا عن تصدي الأشعري للمعتزله ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم ، تصدي أيضا للرد علي الفلاسفة والقرامطة والباطنية ، والروافض وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة .

● والأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة " الذي هو آخر ما ألف من الكتب علي أصح الأقوال : رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلي طريق السلف في الإثبات وعدم التأويل .

يقول رحمه الله : " وقولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا (ﷺ) ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته – قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به ضلال الشاكين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفخم " .

* إن مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة علي الحياة الدينية في العالم الإسلامي ، ولكنها كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : " فقدت حيويتها ونشاطها الفكري ، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفا شديداً وبدت فيها آثار الهرم والإعياء " لماذا ؟

– لأن التقليد طغي علي تلاميذ هذه المدرسة وأصبح علم الكلام لديهم علما متناقلا بدون تجديد في الأسلوب .

- لإدخال مصطلحات الفلسفة وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام ، فكان لهذا أثر سيئ في الفكر الإسلامي ، لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي . ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة ومسلك السلف تمثلا صحيحا ، لتأثرهم بالفلاسفة وإن هم أنكروا ذلك .. حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه " تهافت الفلاسفة " يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي : شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر " .

- تصدي الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة - ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم - في كتابه القيم : " درء تعارض العقل والنقل " وفند آراءهم الكلامية ، وبين أخطاءهم وأكد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلي حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة .

الجذور الفكرية والعقائدية :

* كما رأينا في اراء أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية أن العقيدة الإسلامية ، كما هي في الكتاب والسنة ، علي منهج ابن كلاب هي الأساس في آرائه الكلاميه وفق ما يتفق مع أحكام العقل .

* تأثر أئمة المذهب بعد أبي الحسن الأشعري ببعض أفكار ومعتقدات الجهمية من الإرجاء والتعطيل ، وكذلك بالمعتزلة والفلاسفة في بعض الصفات وتحريف نصوصها ، ونفي الصفات الخبرية كما تأثروا بالجبرية في مسألة القدر .

* لا ينفي ذلك تأثرهم بعقيدة أهل السنة والجماعة فيما وافقوهم فيها .

الانتشار ومواقع النفوذ :

انتشر المذهب الأشعري في عهد وزارة نظام الملك الذي كان أشعري العقيدة . وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية ، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة .

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية ، ومدرسة نيسابور النظامية . وكان يقوم عليها رواد المذهب الأشعري . وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها ، كما تبني المذهب وعمل علي نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين ، ونور الدين محمود زنكي . والسلطان صلاح الدين الأيوبي ، وبالإضافه إلي اعتماد جمهرة من العلماء عليه ، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين ، ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله ، ولا زال المذهب الأشعري سائدا في أكثر البلاد الإسلامية وله جامعاته ومعاهده المتعددة .

يتضح مما سبق :

- الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلي أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها علي المعتزلة ودعي فيها إلي التمسك بالكتاب والسنة علي طريقة ابن كلاب ، وهي تثبت بالعقل الصفات العقلية السبع فقط لله تعالي (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) واختلفوا في صفة البقاء .

- الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها ، بينما يأولون الصفات الخبرية لله تعالي أو يفوضون معناها

ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة التي تصدي لها ولغيرها شيخ الإسلام ابن تيمية " لاسيما في مجال

العقيدة ، حيث أكد أن أسلوب القرآن والسنة بفهم السلف الصالح هو الأسلوب اليقيني للوصول إلي حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة والدين.

وعموما فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلي عقيدة أهل السنة والجماعة بالمعني العام في مقابل الخوارج والشيعة والمعتزلة ؛

وأن الأشاعرة وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال ابن الحسن الأشعري، والباهلي ، وابن مجاهد ، والباقلاني وغيرهم ، أقرب إلي السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة ، بل ومن أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره ،

وإنهم ليحمدوا علي مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية والرافضة والفلاسفة . فكان لهم جهدهم المحمود في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم ، بل وكان لهم جهادهم المشكور في كسر سورة المعتزلة والجهمية .

وعلي ذلك فإن حسناتهم علي نوعين - كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية : " إما موافقة السنة والحديث ، وإما الرد علي من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم " .

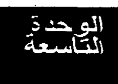
ويقول أيضا : ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل ، وخير الأمور أوسطها " (درء التعارض ٢ / ١٠٢ ، ١٠٣) .

ويقول في كتاب النبوات : " حيث إن خطؤهم بعد اجتهادهم مغفور " ٢٢٠

وأخيراً يقول في درء التعارض : " ... فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصرة ما نصره من الإسلام والرد علي طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول . فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح ... وما من أحد من هؤلاء ومن هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع " ٨ / ٢٧٥ (١)

---

١ - الموسوعة الميسرة ج ١ ص (٩٠ - ٩٧) .



الماتريدية

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – تعريف الماتريدية .
٢ – التأسيس وأبرز الشخصيات .
٣ – أهم الأفكار والمعتقدات .
٤ – الجذور الفكرية والعقائدية .
٥ – الانتشار ومواقع النفوذ .
٦ – الخلاصة .

الماتريدية

أولاً : التعريف : الماتريدية : فرقة كلامية ، تنسب إلي أبي منصور الماتريدي ، قامت علي استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية ، في محاجة خصومها ، من المعتزلة والجهمية وغيرهم ، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية .

ثانياً : التأسيس وأبرز الشخصيات : مرت الماتريدين كفرقة كلامية بعدة مراحل ، ولم تعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها .

كما لم تعرف الأشعرية وتنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري ، ولذلك فإنه يمكن إجمالها في أربع مراحل رئيسية كالتالي :

* مرحلة التأسيس (– ٣٣٣ هـ) والتي اتسمت بشدة المناظرات مع المعتزلة ، وصاحب هذه المرحلة :

– أبو منصور الماتريدي (– ٣٣٣ هـ) : هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، نسبة إلي (ماتريد) وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر ، ولد بها ، ولا يعرف علي وجه اليقين تاريخ مولده ، بل لم يذكر من ترجم له كثيراً عن حياته ، أو كيف نشأ وتعلم ، أو بمن تأثر . ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل : نصير بن يحي البلخي ، وقيل نصر ، وتلقي عنه علوم الفقه الحنفي وعلوم الكلام .

– أطلق عليه الماتريدية ، ومن وافقهم عدة ألقاب تدل علي قدره وعلو منزلته عندهم مثل " إمام الهدي " و " إمام المتكلمين " .

قال عبد الله المرائي في كتابه (الفتح المبين في طبقات الأصوليين) " كان أبو منصور قوي الحجة ، فحما في الخصومة ، دافع عن عقائد المسلمين ، ورد شبهات الملحدين " (١ / ١٩٣ ، ١٩٤) .

وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة) : " جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني ، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة " ص (١٣٩) ، بل كان يرجحه علي أبي الحسن الأشعري في كتابه (تاريخ الدعوة والعزيمة) . (١ / ١١٤ ، ١١٥) .

– عاصر أبا الحسن الأشعري ، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم ، فكانت له جولاته ضد المعتزلة وغيرهم ، ولكن بمنهاج غير منهاج الأشعري ، وإن التقيا في كثير من النتائج غير أن المصادر التاريخية لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما ، أو اطلاع علي كتب بعضهما .

– توفي رحمه الله تعالي ، عام ٣٣٣ هـ ، ودفن بسمرقند ، وله مؤلفات كثيرة : في أصول الفقه ، والتفسير .

ومن أشهرها : " تأويلات أهل السنة أو تأويلات القرآن " وفيه تناول نصوص القرآن الكريم ، ولا سيما آيات الصفات ، فأوَّلها تأويلات جهمية .

ومن أشهر كتبه في علم الكلام " كتاب التوحيد " وفيه حرر نظرياته وبين معتقده من أهم المسائل الإعتقادية ويقصد بالتوحيد : توحيد الخالقية والربوبية ، وشيء من توحيد الأسماء والصفات ، ولكن علي طريقة الجهمية بتعطيل كثير من الصفات بحجة التنزية ونفي التشبيه ، مخالفا طريقة السلف الصالح .

كما ينسب إليه شرح كتاب " الفقه الأكبر " للإمام أبي حنيفة – وفي ذلك نظر – وله في الردود علي المعتزلة " رد الأصول الخمسة " وأيضا في الرد علي الروافض " رد كتاب الإمامة لبعض الروافض " وفي الرد علي القرامطة " الرد علي فروع مذهب القرامطة " .

* مرحلة التكوين (٣٣٣ هـ - ٥٠٠ هـ) : وهي مرحلة تلامذة الماتريدي ومن تأثر به من بعده ، وفيه أصبحت فرقة كلامية ظهرت أولاً في سمرقند ، وعملت علي نشر أفكار شيخهم وإمامهم ، ودافعوا عنها ، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع (الأحكام) ، فراجت العقيدة الماتريدية في تلك البلاد أكثر من غيرها .

ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة : أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندي (٣٤٢ هـ) ، عرف بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه ، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي (٣٩٠ هـ)

* ثم تلي ذلك مرحلة أخري تعتبر امتداداً للمرحلة السابقة . ومن أهم وأبرز شخصياتها :

- أبو اليسر البزدوي (٤٢١ - ٤٩٣ هـ) : هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم ، والبزدوي نسبه إلي بزدوة ، ويقال : بزدة ، ولقب بالقاضي الصدر ، وهو شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير " علي البزودي " ولد عام (٤٢١ هـ) .

- تلقي العلم علي يد أبيه ، الذي أخذه عن جده عبد الكريم تلميذ أبي منصور الماتريدي ، قرأ كتب الفلاسفة أمثال الكندي ، وغيره ، وكذلك كتب المعتزلة أمثال الجبائي ، والكعبي ، والنظام ، وغيرهم ، قال فيها : " لا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها ، لكي لا تحدث الشكوك ، وتوهن الاعتقاد " ولا يري نسبه الممسك إلي البدعة ،

كما اطلع علي كتب الأشعري ، وتعمق فيها ، وقال بجواز النظر فيها بعد معرفة أوجه الخطأ فيها ، كما اطلع علي كتابي " التأويلات ، والتوحيد " للماتريدي ، فوجد في كتاب " التوحيد " قليل انغلاق وتطويل ، وفي ترتيبه نوع تعسير ، فعمد إلي إعادة تربيته وتبسيطه مع ذكر بعض الإضافات عليه في كتابه " أصول الدين " .

– أخذ عن الشيخ " أبي اليسر البزدوي " جم غفير من التلاميذ ، من أشهرهم : ولده القاضي أبو المعالي أحمد ، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية ، وغيرها .

– توفي رحمه الله تعالي في بخاري في التاسع من رجب سنة ثلاثة وتسعين وأربعمائة .

* مرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية : (٥٠٠ – ٧٠٠ هـ) : وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية ، ولذا فهي أكبر الأدوار السابقة في تأسيس العقيدة .

ومن أهم أعيان هذه المرحلة : أبو المعين النسفي (٤٣٨ – ٥٠٨ هـ) : هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد النسفي المكحولي ، والنسفي نسبه إلي نسف وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، والمكحولي نسبه إلي جده الأكبر ، ولكن نسبه إلي بلده غلبت نسبه إلي جده ، وله ألقاب عده من أشهرها : سيف الحق والدين .

– ويعد من أشهر علماء الماتريدية ، إلا أن من ترجم له لم يذكر أحداً من شيوخه ، أو كيفية تلقيه العلم ، يقول الدكتور فتح الله خليف : " ويعتبر الإمام أبو المعين النسفي من أكبر من قام بنصرة مذهب الماتريدي ، وهو بين الماتريدية كالباقلاني والغزالي بين الأشاعرة ، ومن أهم كتبه " تبصرة الأدلة " ويعد من أهم المراجع في معرفة عقيدة الماتريدية بعد كتاب " التوحيد " للماتريدي ، بل هو أوسع مرجع في عقيدة الماتريدية علي الإطلاق ، وقد اختصره في كتابه " التمهيد " له أيضاً كتاب " بحر الكلام " وهو من الكتب المختصرة التي تناول فيها أهم القضايا الكلامية .

– توفي رحمه الله تعالي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسمائة ، وله سبعون سنة .

- نجم الدين عمر النسفي (٤٦٢ - ٥٣٧ هـ) : هو أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي النسفي السمرقندي ، وله ألقاب عده أشهرها : نجم الدين ، ولد في نسف سنة إحدى أو اثنين وستين وأربعمائة .

- كان من المكثرين من الشيوخ ، فقد بلغ عدد شيوخه خمسمائة رجلا ، ومن أشهرهم : أبو اليسر البزدوي ، وعبد الله بن علي بن عيسى النسفي ، وأخذ عنه خلق كثير ، وله مؤلفات بلغت المائة منها : مجمع العلوم ، والتيسير في تفسير القرآن ، النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح في شرح البخاري ، وكتاب العقائد المشهور بالعقائد النسفية ، والذي يعد من أهم المتون في العقيدة الماتريدية ، وهو عبارة عن مختصر لتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي ، قال فيه السمعاني في ترجمته له : " كان إماماً فاضلاً متقنا ، صنف في كل نوع من التفسير والحديث .... فلما وافيت سمرقند استعرت عدة كتب من تصانيفه ، فرأيت فيها أوهاما كثيرة خارجه عن الحد ، فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث ، ولم يرزق فهمه " .

- توفي رحمه الله تعالي بسمرقند ليلة الخميس ثاني عشر من جمادى الأولي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة .

* مرحلة التوسع والانتشار : (٧٠٠ - ١٣٠٠ هـ) : وتعد من أهم مراحل الماتريدية حيث بلغت أوج توسعها وانتشارها في هذه المرحلة ، وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية ، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية ، فانتشرت في : شرق الأرض ، وغربها ، وبلاد العرب ، والعجم ، والهند ، والترك ، وفارس ، والروم .

وبرز فيها أمثال : الكمال بن الهمام صاحب " المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة . والذي مازال يدرسً في بعض الجامعات الإسلامية ، وفي هذا

الدور كثرت فيها تأليف الكتب الكلامية من : المتون ، والشروح ، والشروح علي الشروح والحواشي علي الشروح .

وهناك مدارس مازالت تتبنى الدعوة للماتريدية في شبه القارة الهندية ، وتتمثل في :

– مدرسة ديوبند ، والندوية (١٢٨٣ هـ – ....) وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشرحه ، فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية ، إلا أنهم متصوفة محضة ، وعند كثير منهم بدع قبورية ، كما يشهد عليهم كتابهم " المهنَّد علي المفنَّد " لـ " الشيخ خليل أحمد السهارنفوري " ، أحد أئمتهم ، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة ، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة .

– مدرسة البريلوي (١٢٧٢ هـ ...) نسبة إلي زعيمهم " أحمد رضاخان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصطفي (١٣٤٠ هـ) وفي هذا الدور يظهر الإشراك الصريح ، والدعوة إلي عبادة القبور ، وشدة العداوة للديوبندية ، وتكفيرهم فضلا عن تكفير أهل السنة .

– مدرسة الكوثري (١٢٩٦ هـ ....) وتنسب إلي الشيخ محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي (١٣٧١ هـ) ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم ، وجعلهم مجسمة ومشبهة ، وجعل كتب السلف ككتب :

التوحيد ، والإبانة ، والشريعة ، والصفات ، والعلو ، وغيرها من كتب أئمة السنة ؛ كتب وثنية وتجسيم وتشبيه ، كما يظهر فيها أيضاً شدة الدعوة إلي البدع الشركية " وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل ، انظر تعليقات الكوثرى علي كتاب الأسماء والصفات للبيهقي وكتاب مقالات الكوثري .

ثالثاً : أهم الأفكار والمعتقدات : من حيث مصدر التلقي : قسم الماتريدية أصول الدين حسب مصدر التلقي إلي :

– الإلهيات (العقليات) : وهي ما يستقل العقل بإثباتها والنقل تابع له ، وتشمل أبواب التوحيد والصفات .

– الشريعات (السمعيات) : **وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتا ونفيا ، ولا طريق للعقل إليها مثل :** النبوات . وعذاب القبر ، وأمور الآخرة ، علما بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات .

* ولا يخفي ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة ، حيث إن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقي عندهم ، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسيم أصول الدين إلي : عقليات وسمعيات ، والتي قامت علي فكرة باطلة أصليا الفلاسفة من : أن نصوص الدين متعارضة مع العقل ، فعملوا علي التوسط بين العقل والنقل ، مما اضطرهم إلي إقحام العقل في غير مجالات بحثه ، فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلي التأويل والتفويض ، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح .

* بناءً علي التقسيم السابق فإن موقفهم من الأدلة النقلية في مسائل الإلهيات (العقليات) كالتالي :

– إن كان من نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة مما هي قطعي الثبوت قطعي الدلالة عندهم ، أي مقبولا عقلا ، خاليا من التعارض مع عقولهم ، فإنهم يحتجون به في تقرير العقيدة .

وأما إن كان قطعي الثبوت ظني الدلالة عندهم ، أي : مخالفا لعقولهم ، فإنه لا يفيد اليقين ، ولذلك تؤول الأدلة النقلية بما يوافق الأدلة العقلية ، أو نفوض معانيها إلي الله عز وجل .

وهم في ذلك مضطربون ، فليست عندهم قاعدة مستقيمة في التأويل والتفويض ، فمنهم من رجح التأويل علي التفويض ، ومنهم من رجح التفويض ، ومنهم من أجاز الأمرين ، وبعضهم رأي أن التأويل لأهل النظر والاستدلال ، والتفويض أليق للعوام .

والملاحظ أن القول بالتأويل لم يكن علي عهد النبي (ﷺ) ولا أصحاب القرون المفضلة ، وإنما هي بدعة دخلت علي الجهمية والمعتزلة من اليهود والنصارى ، وإلي التأويل يرجع ما أحدث في الإسلام من بدع فرقت شمل الأمة وهو أشر من التعطيل ، حيث يستلزم التشبيه والتعطيل ، واتهاما للرسول (ﷺ) بالجهل ، أو كتمان بيان ما أنزل الله . وأما القول بالتفويض فهو من أشر أقوال أهل البدع لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن ، واستلزام تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين .

- وإن كان من أحاديث الآحاد فإنها عندهم تفيد الظن ، ولا تفيد العلم اليقيني ، ولا يعمل بها في الأحكام الشرعية مطلقا بل وفق قواعدهم وأصولهم التي قرروها ، وأما في العقائد فإنه لا يحتج بها ، ولا تثبت بها عقيدة ، وإن اشتملت علي جميع الشروط المذكورة في أصول الفقه ، وإن وردت مخالفة للعقل ، ولا تحتمل التأويل ردت بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه ، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد ، وهذا موقف الماتريدية قديما وحديثا ، حتى إن الكوثري ومن وافقه من الديوبندية طعنوا في كتب السنة بما فيها الصحيحين ، وفي عقيدة أئمة السنة مثل : حماد بن سلمة راوي أحاديث الصفات ، والإمام الدارمي عثمان بن سعيد صاحب السنن . وهذا قول مبتدع محدث ابتدعته القدرية ، والمعتزلة ، لأن الأحاديث حجة عليهم وهو مخالف لفعل النبي (ﷺ) حيث كان يبعث الرسول إلي الملوك والرؤساء فرادي يدعونهم إلي الإسلام .

وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبي (ﷺ) إلي متواتر وآحاد . لم يكن معروفا في عصر الصحابة والتابعين .

– كما رتبوا علي ذلك وجوب معرفة الله تعالي بالعقل قبل ورود السمع ، واعتبروه أول واجب علي المكلف ، ولا يعذر بتركه ذلك ، بل يعاقب عليه ولوقبل بعثة الأنبياء والرسل . وبهذا وافقوا قول المعتزلة : وهو قول ظاهر البطلان ، تعارضه الأدلة من الكتاب والسنة والتي تبين أن معرفة الله تعالي يوجبها العقل ، ويذم من يتركها ، ولكن العقاب علي الترك لا يكون إلا بعد ورود الشرع ، **يقول الله تعالي ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾**

وأن أول واجب علي المكلف ، وبه يكون مسلما : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، والبراءة من كل دين يخالف دين الإسلام علي الإجمال ، ولهذا لما أرسل رسول الله (ﷺ) معاذ بن جبل إلي اليمن لم يأمره بغير ذلك ،

وكذلك الأنبياء لم يدعوا أقوامهم إلا بقول "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"

– وقالا أيضاً بالتحسين والتقبيح العقليين ، حيث يدرك العقل حسن الأشياء وقبحها ، إلا أنهم اختلفوا في حكم الله تعالي بمجرد إدراك العقل للحسن والقبح ، فمنهم من قال : إن العباد يعاقبون علي أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسول ، كما سبق ، ومنهم من قال بعكس ذلك .

– وذهبت كذلك الماتريدية كغيرها من الفرق الكلامية إلي أن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث ، ويقصدون بالمجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، وهو قسيم الحقيقة عندهم ، ولذلك اعتمدوا عليه في تأويل النصوص دفعا – في ظنهم – لشبه التجسيم والتشبيه ، وهو بهذا المعني : قول مبتدع ، محدث لا أصل له في اللغة ولا في الشرع .

ولم يتكلم فيه أئمة اللغة كالخليل بن أحمد ، وسيبويه ، فضلا عن أئمة الفقهاء والأصوليين المتقدمين .

– مفهوم التوحيد عند الماتريدية هو : إثبات أن الله تعالي واحد في ذاته ، لا قسيم له ، ولا جزء له ، واحد في صفاته ، لا شبيه له ، واحد في أفعاله ، لا

يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات ، ولذلك بذلوا غاية جهدهم في إثبات هذا النوع من التوحيد باعتبار أن الإله عندهم هو : القادر علي الاختراع ، مستخدمين في ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التي أحدثها المعتزلة والجهمية ، مثل دليل حدوث الجواهر والأعراض ، وهي أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم وأساطين الكلام والفلسفة وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن أصح .

بين ذلك أبو الحسن الأشعري في رسالته إلي أهل الثغر ، وابن رشد الحفيد في " مناهج الأدلة " .

وشيخ الإسلام ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل " .

وأيضا خالفوا أهل السنة والجماعة بتسويتهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فالإله عند أهل السنة : المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وما أرسلت الرسل إلا لتقرير ذلك الأمر ، ودعوة البشرية إلي توحيد الله تعالي في ربوبيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته .

– أثبتوا لله تعالي أسماءه الحسنى ، وقالوا : لا يسمي الله تعالي إلا بما سمي به نفسه وجاء به الشرع .

وفي ذلك وافقوا أهل السنة والجماعة علي القول بالتوقيف في أسمائه تعالي ، إلا أنهم خالفوهم فيما أدخلوه في أسمائه تعالي ، كالصانع ، والقديم ، والذات .... حيث لم يفرقوا بين باب الإخبار عن الله تعالي وباب التسمية .

– وقالوا بإثبات ثماني صفات لله تعالي فقط ، علي خلاف بينهم وهي : الحياة القدرة العلم الإرادة ، والسمع ، البصر ، الكلام ، والتكوين .

وعلي أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلي التكوين ، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة (الصفات الخبرية) من صفات ذاتية ، أو صفات فعلية ، فإنها لا تدخل في نطاق العقل ، ولذلك قالوا بنفيها جميعاً .

أما أهل السنة والجماعة فهم كما يعتقدون في الأسماء يعتقدون في الصفات، وأنها جميعاً توقيفية ، ويؤمنون بها ، " بإثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، مع تفويض الكيفية وإثبات المعني اللائق بالله تعالي ، لقوله تعالي : **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾**

– قولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالي علي الحقيقة ، وإنما هو كلام الله تعالي النفسي ، لا يسمع ، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه ، ولذلك فإن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة ، وهو قول مبتدع محدث لم يدل عليه الكتاب ولا السنة ، ولم يرد عن سلف الأمة ، وأول من ابتدعه ابن كلاب ، فالله تعالي يتكلم إذا شاء متي شاء بما شاء ، ولا يزال يتكلم كما كلم موسى ، ويكلم عباده يوم القيامة ، والقرآن كلام الله تعالي علي الحقيقة ، غير مخلوق ، وكذلك التوارة والإنجيل والزبور . وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح ومن تبعهم بإحسان .

– تقول الماتريدية في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط ، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان ، ومنعوا زيادته ونقصانه ، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه ، وأن الإسلام والإيمان مترادفان ، لا فرق بينهما ، فوافقوا المرجئة في ذلك ، وخالفوا أهل السنة والجماعة ، حيث إن الإيمان عندهم : اعتقاد بالجنان ، وقول اللسان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالعصيان ، ويجوز الاستثناء فيه (والمقصود عدم تزكية النفس ، بادعاء حقيقة الإيمان أو كمال الإيمان) والإيمان والإسلام متلازمان ، إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا .

* وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في الإيمان بالسمعيات ، مثل : أحوال البرزخ ، وأمور الآخرة من ؛ الحشر ، والنشر ، والميزان ، والصراط ،

والشفاعة ، والجنة ، والنار ، لأنهم جعلوا مصدر التلقي فيها السمع ، لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها (ﷺ) ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة .

– وبالتالي فإنهم يثبتون رؤية الله تعالي في الآخرة ، ولكن مع نفي الجهة والمقابلة . وهذا قول متناقض حيث أثبتوا ما لا يمكن رؤيته ، ولا يخفي مخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة .

* كما وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في القول في الصحابة علي ترتيب خلافتهم ، وأن ما وقع بينهم كان خطأ عن اجتهاد منهم ، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم ، لأن الطعن فيهم إما كفر ، أو بدعة ، أو فسق .

كما يرون أن الخلافة في قريش ، وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ، ولا يجوز الخروج علي الإمام الجائر .

* وأيضا وافقوا أهل السنة والجماعة في القول بالقدر ، والقدرة ، والاستطاعة ، علي أن كل ما يقع في الكون بمشيئة الله تعالي وإرادته ، وأن أفعال العباد من خير وشر من خلق الله تعالي ، وأن للعباد أفعالا اختيارية ، يثابون عليها ، ويعاقبون عليها ، وأن العبد مختار في الأفعال التكليفية غير مجبور علي فعلها .

قالت الماتريدية بعدم جواز التكليف بما لا يطاق ، موافقة المعتزلة في ذلك ، والذي عليه أهل السنة والجماعة هو التفصيل ، وعدم إطلاق القول بالجواز أو بالمنع .

رابعاً : الجذور الفكرية والعقائدية : (نظرة تقويم)

يتبين للباحث أن عقيدة الماتريدية فيها حق وباطل ، فالحق قد أخذوه عن أهل السنة من الحنفية السلفية ، وغيرهم ، لأن المستقرئ للتاريخ يجد أن الحنفية بعد الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – تفرقوا فرقا شتي في وقت مبكر ، ولم يسر علي سيرة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه إلا من وفقه الله عز وجل .

وقد كانت الغلبة في ذلك للأصناف المنتسبين للفرق المبتدعة من جهمية ، ومعتزلة .

ولأن المصادر التاريخية لم تشر إلي كيفية تلقي أبي منصور الماتريدي العلم أو من تأثر بهم من العلماء ، نستطيع ترجيح الآتي : – تأثير أبو منصور الماتريدي مباشرة أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية من الارجاء والتعطيل ، وكذلك المعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها ، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنا منه أنها عقيدة أهل السنة .

– تأثر بابن كلاب (٢٤٠ هـ) أول من ابتدع القول بالكلام النفسي لله عز وجل في بدعته هذه ، وإن لم يثبت بينهما لقاء ، حيث توفي ابن كلاب قبل مولده ، بل صرح شيخ الإسلام ابن تيمية أن منصور الماتريدي تابع ابن كلاب في عدة مسائل : الصفات ، وما يتعلق بها ، كمسألة القرآن هل سبحانه يتكلمه بمشيئة وقدرته ؟ ومسألة الاستثناء في الإيمان .

(مجموع الفتاوى ٧ / ٤٣٣ ، ومنهاج السنة ٢ / ٣٦٢)

خامساً : الانتشار ومواقع النفوذ :

انتشرت الماتريدية . وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية : كالصين ، وبنغلاديش ، وباكستان ، وأفغانستان ، كما انتشرت في بلاد تركيا ، والروم ، وفارس ، وبلاد ما وراء النهر ، والمغرب حسب انتشار الحنفية وسلطانهم ، وما زال لهم وجود قوي في هذه البلاد ، وذلك لأسباب كثيرة منها .

١ – المناصرة والتأييد من الملوك والسلاطين لعلماء المذاهب ، وبخاصة سلاطين الدولة العثمانية .

٢ – للمدارس الماتريدية دور كبير في نشر العقيدة الماتريدية ، وأوضح مثال علي ذلك : المدارس الديوبندية بالهند وباكستان وغيرها ، حيث لا زال يدرس فيها كتب الماتريدية في العقيدة علي أنها عقيدة أهل السنة والجماعة .

٣ – النشاط البالغ في ميدان التصنيف في علم الكلام ، وردهم علي الفرق المبتدعة الأخرى مثل الجهمية الأولي والمعتزلة والروافض .

٤ – انتسابهم للإمام أبي حنيفة ومذهبه في الفروع .

* يتضح مما سبق :

أن الماتريدية فرقة كلامية نشأت بسمرقند في القرن الرابع الهجري ، وتنسب إلي أبي منصور الماتريدي ، مستخدمة الأدلة والبراهين العقلية والفلسفية في مواجهة خصومها من المعتزلة ، والجهمية وغيرهما من الفرق الباطنية في محاولة لم يحالفها التوفيق للتوسط بين مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ومذاهب المعتزلة والجهمية وأهل الكلام ، فأعلوا شأن العقل مقابل النقل ، وقالوا

ببدعة تقسيم أصول الدين إلي عقليات وسمعيات مما اضطرهم إلي القول بالتأويل والتفويض . وكذا القول بالمجاز في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد ، وبالقول بخلق الكتب ، ومنها : القرآن الكريم ، وعلي أن القرآن الكريم كلام الله تعالي النفسي ، مما قربهم إلي المعتزلة والجهمية في هذا الباب ، وإلي المرجئة في أبواب الإيمان ، وأهل السنة والجماعة في مسائل : القدر وأمور الآخرة وأحوال البرزخ ، وفي القول بالإمامة ، والصحابة رضي الله عنهم .

ولما كان مفهومهم للتوحيد أنه يقتصر علي توحيد الخالقية ، والربوبية ، مما مكن التصوف الفلسفي بالتغلغل في أوساطهم ، فغلب علي كبار منتسبيهم وقوى بقوة نفوذ وانتشار المذهب ، لوجود أكثر من دولة تحميه وتؤيده ، مثل الدولة العثمانية ، فضلا عن وجود جامعات ومدارس مشهورة تعمل علي نشره ، وانتسابهم لمذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع أثره البالغ في انتشار المذهب الماتريدي إلي اليوم .

* ومع هذا فإن للماتريدية خدمات جليلة في الرد علي : المعتزلة والباطنية والفلاسفة الملحدين والرافض ، ولهم جهود مشكورة في خدمة كتب الحديث (1)

– لقد تأثر الماتريدي بمذهب المعتزلة فأعطي للعقل سلطانا علي النص ، وذهب إلي أن معرفة الله واجبة بالعقل ، لكنه خالف المعتزلة بقوله : إن العقل لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية ، بينما قال الأشعري بأن معرفة الله واجبة بالشرع لا بالعقل ، وأنه لولا الرسل والأنبياء لما كلف الله أحداً بمعرفته .

وبهذا وقف الماتريدية موقفا وسطا بين المعتزلة والأشاعرة .

---

١ – الموسوعة الميسرة ١ / ٩٩ – ١٠٩ .

كما قال الماتريدي أيضا : بأن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها ، كما قال المعتزلة تماما إلا أنه افترق عنهم بقوله : مع أن العقل يدرك الحسن والقبح إلا أنه لا تكليف إلا بالشارع الحكيم ، فالعقل لا يستقل بالتكليف الديني ، بينما قال المعتزلة : إن ما أدرك العقل حسنه واجب الفعل بتكليف العقل .

بينما ذهب الأشعري إلي أن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه أو نهي عنه الشرع ، فليس للأشياء حسنا أو قبحا ذاتيا .

وفي قضية أفعال العباد يقول بالكسب كما قال الأشعري ، إلا أنه يضع له مفهوما يقربه من المعتزلة ، فإنه يكون لقدرة أودعها الله في العبد .

وفي قضية الصفات الموهمة للتشبيه يميل إلي رأي المعتزلة في التأويل .

* وهكذا كان المذهب الماتريدي محاولة للتوفيق بين المعتزلة والأشاعرة ؛ إلا أنها محاولة لم يكتب لها النجاح ، فقد كان الفرق شاسعاً ، والبون بعيدا بين منهج الأشعري ، ومنهج المعتزلة ، ما يجعل أي محاولة للتوفيق هي مجرد تلفيق ولعب بالألفاظ " (1)

---

١ - تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٦٧) وما بعدها ، بتصرف ، نقلا عن " الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية " ص (١٥٦) بتصرف .

الوحدة العاشرة

الصفاتية

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – مدخل حول الصفات .

٢ – فرقة الحشوية .

٣ – فرقة الكرامية .

٤ – المذهب السلفي .

* المنهج السلفي .
* عقيدة السلف .
* السلفية اليوم .
* السلفية كما نراها .

الوحدة العاشرة

الصفاتية

مدخل : كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم – **يثبتون** لله تعالي الصفات الأزلية التي توجب له الكمال من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، والجود والإنعام ، والعزة والعظمة ، والرضا والغضب ، ولم يكونوا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، وإنما كانوا يسوقون الكلام في ذلك كله سوقا واحدا ، بل أكثر من ذلك يثبتون الصفات الخبرية ، التي ورد ذكرها في الأخبار ، مثل : اليدين والوجه ، والساق ، والقدم ، والإصبع ، والمجيء ، والنزول ... لورود الشرع بذلك ولكنهم كانوا يؤمنون بذلك ويثبتونه من غير تأويل لها ولا تكييف ولا تحريف ، ولا تشبيه ولا تعطيل .

يقولون : إنها صفات ورد الخبر بها ، فنحن نؤمن بها ، ونكل علم حقيقتها أو كيفيتها إلي الله تعالي .

ولما كان السلف يثبتون الصفات التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة سموا صفاتيةً ،

ولما كان المعتزلة ينفونها سموا معطلة ، لأنهم ينفون زيادة الصفات علي الذات الإلهية ، فقد عطلوا مدلول الصفة عن معناه .

ثم بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلي حد التشبيه بصفات المحدثين ، واقتصر بعضهم علي صفات دلت الأفعال عليها وما ورد به الخبر ، فافترقوا فرقتين : فمنهم من أوله علي وجه يحتمله اللفظ .

ومنهم من توقف في التأويل ، وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالي تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها ،

وقطعنا بذلك ، إلا أنا لا نعرف معني اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالي : ﴿ **الرحمن علي العرش استوى** ﴾ (١) ومثل قوله تعالي ﴿ **خلقت بيدي** ﴾ (٢) ومثل قوله ﴿ **وجاء ربك** ﴾ (٣) الي غير ذلك ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقينا .

ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا علي ما قاله السلف ، فقالوا لابد من إجرائها علي ظاهرها ، فوقعوا في التشبيه الصرف ، وذلك علي خلاف ما اعتقده السلف .

ولقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود ، لا في كلهم بل في القرائين منهم ، إذ وجدوا في التوراة ألفاظا كثيرة تدل علي ذلك ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير ، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالي وتقدس وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق .

ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ، ووقعت في الاعتزال وتخطت جماعة من السلف إلي التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه .

وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ، ولا تهدفوا للتشبيه ، فمنهم : مالك ابن أنس – رضي الله عنهم – إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ؛ والسؤال عنه بدعه ، ومثله : أحمد بن حنبل – رحمه الله – وسفيان الثوري ، وداود بن علي الأصفهاني ، ومن تابعهم .

---

١ – سورة طه آية (٥) .
٢ – سورة ص آية (٧٥) .
٣ – سورة الفجر آية (٢٢) .

حتى انتهي الزمان إلي عبد الله بن سعيد الكلابي ، وأبي العباس القلانسي ، والحارث بن أسد المحاسبي ، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام ، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية ، وبراهين أصولية (١)

ويقول الإمام الشهرستاني عن أهل السنة والسلف وموقفهم من النصوص الموهمة للتشبيه الواردة في الكتاب والسنة : " ... فقالوا نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات ، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره ، وكانوا يحترزون من التشبيه إلي غاية أن قالوا من حرك يده عند قوله تعالي : ﴿ **خلقت بيدي** ﴾ (٢) أو أشار بأصبعيه عند روايته " **قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن** " (٣) وجب قطع يده وقلع إصبعيه

وقالوا إنما توقفنا في تفسير الآيات وتأويلها لأمرين .

أحدهما : المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالي : ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ** ﴾ (٤) فنحن نحترز من الزيغ .

---

١ - الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص (٩٢ ، ٩٣) بتصرف " ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية " ص (١٩ - ٢١) بتصرف .

٢ - سورة ص آية (٧٥) .

٣ - رواه مسلم .

٤ - سورة آل عمران آية (٧) .

والثاني : أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق ، والقول في صفات الباري بالظن غير جائز ، فربما أولنا الآية علي غير مراد الباري تعالي ، فوقعنا في الزيغ ، بل نقول كما قال الراسخون في العلم : " كل من عند ربنا " ، آمنا بظاهره ، وصدقنا بباطنه ، ووكلنا علمه إلي الله تعالي ، ولسنا مكلفين بمعرفة كنه ذلك ، إذا ليس ذلك من شرائط الإيمان وأركانه .

واحتاط بعضهم فرفض تُرجمة هذه الكلمات بما تعنيه من معاني في اللغات الأخرى " (1) فعقيدة السلف قامت في الأسماء والصفات علي أساس أنهم يثبتون لله تعالي ما أثبت لنفسه سبحانه ، دون تمثيل أو تأويل ، وينفون عن الله سبحانه ما نفي عن ذاته دون تعطيل " هذه هي قاعدتهم في ذلك " .

فالله تعالي أثبت لذاته اليد والوجه والأصابع ، والنزول والاستواء ، وما هو مذكور في القرآن والسنة من جنس ذلك ، فهم يثبتون ذلك ، ثم إن الله تعالي نفي عن ذاته مماثلة المخلوقات وشبهها ، فقال سبحانه : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (2) فهم ينفون المماثلة والمشابهة كما نفاها ربنا سبحانه عن ذاته .

وعباراتهم الجامعة في هذا المجال قولهم : نؤمن بأن لله يدا ، لكنها ليست كالأيدي ، وله تعالي وجه ، لكنه ليس كالأوجه ، وله تعالي نزول ليس كما هو عند المخلوقات ، وهكذا عباراتهم ، تثبت ما أثبت الله تعالي ، وتنفى ما نفاه .

وأما المؤولة : وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة ، ومن جري مجراهم ، وسار علي خطاهم .

---

1 - الملل والنحل ج 1 ص (104 ، 105) بتصرف .
2 - سورة الشورى آية (10) .

فهؤلاء وأولئك لم يقبلوا الإيمان بالآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه علي ما وردت عليه ، وتفويض العلم بها إلي الله سبحانه ، وإنما صرفوا هذه الآيات عن ظاهرها ، وأولوها إلي معان تحتملها لغة العرب ، وقالوا إن الإيمان بها علي ظاهرها فيه تشبيه وتجسيم وتمثيل ، وهو مناف لما يجب لله سبحانه من التنزيه والسمو عن صفات الحوادث .

ومن ثم فقد أولوا " اليد " بالقوة ، والوجه بالذات ، و " العين " بالعناية والرعاية ، و " الاستواء " بالتسلط والتملك و " النزول " بنزول ملائكة الله تعـــالي ، إلي آخر هذه المعاني التي أولوا بها الآيات والأحاديث التي توهم التشبيه .

وكما ضل هؤلاء المؤولة في مفهوم الأسماء والصفات إلا أنهم يعتبرون من المسلمين ، فإن قوما وفرقا أخري قد ضلت في مفهوم الأسماء والصفات ، وخرجت بذلك من دائرة الإسلام ، ومثالهم : الحشوية والكرامية وغلاة الشيعة ، وقد سبق الكلام عن غلاة الشيعة ، فنشير هنا إلي الحشوية والكرامة .

الفرقة الأولي : " الحشوية :

الحشوية تنطق بتسكين الشين وتحريكها فتحا ، وهم جماعة من أهل الحديث أسرفوا في التمسك بظاهر الآيات والأحاديث حتى وقعوا في التشبيه والتجسيم .

" وهم منسوبون إلي " الحشو " وهم الغوغاء ، أو أراذل الناس " [1]

---

١ – دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص (٤٤٧) .

والحشوية لقب تحقير أطلق علي أولئك الفريق من أصحاب الحديث الذين اعتقدوا صحة الأحاديث المسرفة في التجسيم من غير تفويض ، بل فضلوها علي غيرها ، وأخذوها بظاهر لفظها " (١)

مبادؤهم : تقوم مبادؤهم علي التجسيم المطلق بلا حدود . فيرون أن إلههم جسم له طول وعرض ، وعمق ، وتجوز عليه الملامسة والمصافحة والمكافحة ، وقد يمرض ويصح ، وقد يكون جسمه أجوف في بعضه مصمتا في بعضه الآخر

يقول " الشهرستاني " في وصف مذاهب القوم : " وأما مشبهة الحشوية ، فحكي الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكي عن : مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي : أنهم أجازوا علي ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المؤمنين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة .

وحكي " الكعبي " عن بعضهم أنه تجوز رؤيته في الدنيا والآخرة ، ويجوز أن يزوروه ويزورهم .

وحكي عن " داود الجواربي " أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية ، واسألوني عما وراء ذلك ،

وقال : إن معبوده جسم ، ولحم ، ودم / وله جوارح وأعضاء من يد ، ورجل ، ورأس ، ولسان ، وأذنين ، وعينين ، ... وحكي عنه أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلي صدره ، مصمت فيما عدا ذلك ، وأن له وفرة سوداء ، وله شعر قطط .

وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية ، وغير ذلك ، فقد أجروها علي ما هو متعارف في الأجسام...

---

١ - دائرة المعارف الإسلامية ج ٧ ص (٤٣٩) بتصرف .

وزادوا في ذلك أخبارا وأكاذيب وضعوها ونسبوها إلي النبي (ﷺ) ، وأكثرها مأخوذ عن اليهود ، فإن التجسيم فيهم طباع .

حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكي علي طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وإن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الحديد ، وإنه ليفضل عن العرش من كل جانب أربع أصابع " (1)

* ومن مبادئهم – سوى ذلك – أن القرآن قديم ، وأن حروفه وأصواته ، والأرقام المكتوبة ، كل ذلك قديم ، يقولون ذلك : رغم أنهم يرون أن الإنسان يكتب بيده حروف القرآن ولم تكن موجودة علي الصحيفة قبل الكتابة ، وقد يمحوها بعدما كتبها ، فتصبح معدومة ، ولكنهم رغم ذلك يستمسكون بما لهم من آراء .

وآراؤهم في التجسيد والتشبيه تخرجهم عن ملة الإسلام جملة وتفصيلا ، لا يخالف في ذلك إلا من هو علي شاكلتهم .

* ومن مبادئهم – سوى التجسيد – أنهم لا يستدلون علي وجود الله سبحانه وصفاته ، وعلي العقائد بصفة عامة إلا بالنص القرآني ، ويرفضون الاستدلال بالعقل علي شيء من أمور الدين ، رغم أن القرآن يحتوي علي كثير من الأدلة العقلية التي ألزم بها المعاندين ، ولذلك فشلوا في مجادلة غير المسلمين ، لأن الاحتجاج بالنص لا يصلح إلا لدي المؤمن به ، أما الكافر بالنص فلا يصلح معه

وكيف نستدل بالنص علي كافر به ؟ لذلك عدهم " أبو الوليد ابن رشد " في كتابه " مناهج الأدلة " من أصحاب المناهج الفاسدة والدلائل الباطلة (2)

١ – الملل والنحل ج ١ ص (١٠٥ ، ١٠٦) .
٢ – تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٧٩ – ١٨١) بتصرف .

الفرقة الثانية " الكرامية "

فرقة تنسب إلي " أبي عبد الله محمد بن كرام " المتوفى ٢٥٥ هـ ، كان من " سجستان "

ثم مال إلي التجسيم الذي أخذه عن اليهود ، وعن الثنوية المجوسية ، ثم خرج إلي " نيسابور " في أيام " محمد بن طاهر بن عبد الله " فتصنع أمامه الزهد والتقوى ، فاعتز به جماعة كبيرة من الغوغاء والعوام وسواد الناس ، فلما تمكن من قلوبهم بزهده المصطنع – دعاهم إلي بدعته وضلالته في التجسيم .

يقول عنه الشهرستاني : " ونبغ رجل متنمس (١) بالزهد من سجستان ، يقال له : أبو عبد الله محمد بن كرام ، قليل العلم ، قد قمش (٢) من كل مذهب ضغثا (٣) ، وأثبته في كتابه ، وروجه علي أغتام (٤) غرجة ، وغور ، وسواد بلاد خراسان ، فانتظم قاموسه ، وصار ذلك مذهبا ، وقد نصره " محمود بن سبكتكين " السلطان ، وصب البلاء علي أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم ... وهم مجسمة " (٥) وقد تفرع عن ضلالات ابن كرام طوائف كثيرة ، أوصلها بعضهم إلي اثنتي عشرة طائفة .

ويهمنا هنا أن نتكلم بإيجاز – عما يجمع هذه الطوائف من مبادئ .

---

١ – متستر متصنع .

٢ – أخذ وانتزع .

٣ – الضغث : الحزمة ، والمراد هنا ما جمعة الرجل من الآراء الفاسدة .

٤ – العوام والدهماء والجهال .

٥ – الملل والنحل ج ١ ص (٣٢) نقلاً عن / تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٨٠ ، ١٨١) .

* مبادؤهم :

ذهب " أبو عبد الله محمد بن كرام " إلي أن إلهه مستقر علي العرش بجسمه ، وأنه في الجهة الفوقانية ، وأنه جوهر واحد ، وأنه مماس للعرش من الجهة العليا .

وجوز ابن كرام علي معبوده الانتقال والصعود والنزول والتحول .

وذهب بعض أتباعه إلي أن العرش امتلأ بالإله – جل الله عما يقولون – ثم إن من الكرامية من أثبت له النهاية من ست جهات ، ومنهم من أثبت له النهاية من جهة واحدة هي الجهة التحتانية ، ومنهم من أنكر النهاية له ، وقال إنه عظيم .

* من مبادئهم – سوي التجسيم – القول بالحسن والقبح الذاتيين العقليين كمذهب المعتزلة .

* ومن مبادئهم كذلك قيام الحوادث بذاته ، تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا " (١)

---

١ –

* **المذهب السلفي :**

السلف هم أصحاب رسول الله (ﷺ) ، والتابعون وكل من سار علي نهجهم وسلك طريقهم إلي يوم الدين .

وقد ظهر هذا المصطلح بعد ظهور الفرق والمناهج والعقائد المخالفة لما كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه ، ويعد الإمام " أحمد بن حنبل " أول من أحيا عقيدة السلف ، كما يعدُ " ابن تيمية " مجدد المذهب في القرن السابع الهجري ، كما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدده في القرن الثاني عشر الهجري .

وأما باعثوا السلفية في العصر الحاضر فهم جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة أنصار السنة ، والجمعية الشرعية ، ومن قبلهم الشيخ أحمد شاكر ، وكذلك الشيخ رشيد رضا – وإن كان ينتمي إلي المدرسة العقلانية الحديثة – وغيرهم ممن حاولوا رد الناس إلي ما كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه ، بعيدا عن البدع والانحرافات ، مع بعض الفوارق والخلافات في المنهج بين هذه الجماعات ، ويطلق علي السلف مصطلح أهل السنة والجماعة ، لأنهم علي كتاب الله وسنة رسوله يجتمعون ولا يتفرقون .

وإن كان الأشاعرة يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة أيضا ، وينازعهم السلفيون في ذلك من حيث إن آراء الأشاعرة في كثير من القضايا لا تتفق مع السلفيين .

إذا فالفسلفية كمصطلح تطلق علي طريقة السلف في فهم الإسلام وتطبيقه ، وهي كمنهج تطلق علي طريقة الكتاب والسنة بالوقوف عند النص والعلم به والالتزام بمقتضاه دون تأويل أو تعطيل .

* **المنهج السلفي :**

لاحظنا فيما مضي أن منهج معالجة العقيدة في عصر رسول الله (ﷺ) كان هو منهج الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان ، ولكن بعد حدوث الفتن والتفرق ونقل الفلسفات اليونانية والهندية ، ظهرت مناهج أخرى تزعم أن العقل

هو مصدر العقيدة ، ولم تضع أي اعتبار للنص الذي نظرت إليه نظرة متدينة فهو للعامة لا للخاصة ، كما ظهرت مناهج المعتزلة التي اعترفت بالنقل ولكنها قدمت عليه العقل وحكمته فيه .

كذلك لاحظنا منهج الأشاعرة الذي جمع بين العقل والنقل وجعل التقدم للنقل ! إلا أنهم أضافوا بعض المقدمات العقلية بجوار الأدلة القرآنية ، وخلطوا الفلسفة بعلم الكلام ، واعتبروا أن المقدمات العقلية ، والفلسفية ضرورية لفهم الأدلة القرآنية ، والعقائد الإيمانية .

ومن هنا تضخمت كتب علم الكلام حتي أصبح التمييز بين ما هو عقيدة وما هو فلسفة أمرا يحتاج إلي جهد جهيد ، وقد تجسدت هذه المناهج في كتب متأخري الأشاعرة مثل الرازي والآمدى وعضد الدين الإيجي وسعد الدين التفتازاني .

ومن هنا كان ظهور " ابن تيمية " الذي حاول أن يعيد العقيدة ومنهجها إلي ما كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه ، ونستطيع أن نحدد معالم المنهج السلفي من خلال فكره في النقاط التالية :

١ – تجريد المسائل العقدية من المسائل الفلسفية وعرض قضايا العقيدة بطريقة مبسطة بعيدة عن تعقيدات كتب علم الكلام .

٢ – الاعتماد علي الكتاب والسنة واحترام النص ، ثم يأتي دور العقل بعد ذلك في التصديق والإذعان ، ومحاولة تقريب المنقول إلي المعقول ، ولا يفهم من ذلك أن السلف قد اهملوا العقل ، ذلك أن منهج القرآن هو منهج العقل الصحيح ، فما وافق القرآن فهو المعقول وما خالفه فهو غير المعقول ، لأن القرآن قد خاطب العقل وحثه علي العمل والتفكير والنظر ، ومن غير المعقول أن يأمره بالعمل ثم يخاطبه بما يناقضه ، ومع ذلك فالعصمة في النقل ، لأنه وحي الله الصادق ، وأما العقل فهو معرض للخطأ ، ولذلك يضل العقل حين يبتعد عن نصوص القرآن والسنة ، ومن هنا لاحظنا اختلاف العقول ، وتضارب الأفكار حين تبتعد عن الوحي الصحيح .

فمن صفات العقل : الخطأ ، والشك ، والوهم ، والمحدودية والتناهي .

والوحي علي نقيض ذلك ، فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

حقا ، إن هناك قضايا لابد من تقديم العقل فيها مثل قضية وجود الله وإثبات النبوة ، ولكن العقل في النهاية بعد أن يثبت ذلك عليه أن يخضع نفسه لمقتضيات النبوة والتصديق بكل ما يأتي به النبي (ﷺ) .

٣ – عدم تأويل النقل وتمرير الآيات كما جاءت مع عدم التشبيه .

٤ – الاعتماد علي منهج القرآن في تقرير العقائد ، لأن طريقته ملائمة للعقل والفطرة والوجدان ، بعيدا عن طرق المتكلمين الجافة التي تحتاج إلي جهد جهيد في فهمها وتفهيمها للناس ، بينما طرق القرآن وأدلته تتميز بالبساطة والوضوح ومخاطبة الخاصة والعامة معا بما يرضي العقول ويمتع الوجدان ويحرك المشاعر .

وقارن علي سبيل المثال بين قوله تعالي : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ۝أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (١) وبين أدلة المتكلمين علي وجود الله وبراهين الحدوث والإمكان ، وغير ذلك من أدلتهم العقلية .

٥ – معالجة العقيدة لمتطلبات الواقع ، لذلك نجد أن السلفيين في معالجتهم لقضايا التوحيد يفصلون تفاصيل لم يتناولها من سبقهم ، وذلك لمعالجة مشاكل وبدع طرأت علي المجتمع الإسلامي أخلت بقضية التوحيد ، ومن هنا كان حديثهم عن توحيد الألوهية والربوبية بطريقة لم تتناولها كتب الأشاعرة والمعتزلة . وربطهم بين قضية التوحيد وما طرأ على المجتمع الإسلامي من بدع المقامات والموالد ، وتنحية الشريعة الإسلامية من مجال الحكم ، وغير ذلك من المشكلات التي لم يكن لها وجود في العصور الأولي .

---

١ – سورة الطور آية (٣٥ ، ٣٦) .

* عقيدة السلف :

لقد كان موقف السلف من قضية الصفات الإلهية موقفا مميزا عن مواقف سائر الفرق الكلامية ،

وقد بينا فيما سبق أن المعتزلة والجهمية قد نفوا الصفات جملة وردوها إلي الذات ، كما بينا أن الأشاعرة قد أثبتوا لله صفات المعاني ، والصفات النفسية فضلا عن الصفات السلبية والخبرية ، إلا أنهم ردوا صفات الأفعال إلي صفة القدرة ، كما فوضوا العلم إلي الله في الصفات الخبرية .

أما السلف فقد أثبتوا كل ما أثبته الله لنفسه من الصفات ، وقالوا بتغاير المفهوم بين الذات والصفة .

وبذلك خالفوا المعتزلة والجهمية من النفاة والمعطلة ، ووافقوا الأشاعرة من جهة وخالفوهم من جهة أخرى في أنهم أثبتوا من صفات الكمال ما هو أكثر من صفات المعاني السبع ، فقد أثبتوا الرأفة والرحمة والحكمة والإحسان واللطف والخلق والرزق وغير ذلك من صفات الأفعال التي وردت في القرآن الكريم والسنة علي التفصيل (١)

كذلك خالف السلف المتكلمين السابقين في قضية التوحيد فبينما تحدث السابقون عن وحدانية الذات والصفات والأفعال ، تحدث السلف عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

١ – أما عن توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والتأثير والتقدير ، وقالوا بأن هذا النوع من التوحيد لا يترتب عليه النجاة في الآخرة ، ولا يثبت الإيمان والإسلام في الدنيا ، فقد أقر به عباد الأصنام ، واعترف به إبليس وفرعون ، ولم ينفعهم ذلك لأنهم عبدوا غير الله ، وخالفوا

---

١ – راجع / الرسالة الالترمدية لابن تيمية .

أمره وألحدوا في أسمائه وصفاته ، كما قال القرآن الكريم : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1]

٢ – توحيد الألوهية : وهو توحيد الله بعبادته ، وهذا يقتضي أمرين : –

أحدهما : ألا يتجه بالعبادة إلا إلي الله ، ومن أشرك في العبادة مع الله شخصا آخر أو شيئا فقد أشرك ، ومن تقدم إلي المخلوق بشيء من أنواع العبادة مثل الحكم بقانون البشر أو الدعاء أو السجود أو النذر أو أي ضرب من ضروب العبادة فقد أشرك بالله شرك ألوهية يجعله مسلماً عاصيا أو فاسقا ، ولكنه لا يخرجه من الملة حتى يستتاب وتقام عليه الحجة .

يقول ابن تيمية : " والدعاء من جملة العبادات ، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم كان مبتدعا في الدين ، مشركا برب العالمين ، متبعا غير سبيل المؤمنين ، ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين ، كان مبتدعا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان " [2]

وثانيهما : أن نعبد الله سبحانه بما شرعه علي ألسنة رسله ، ولا نعبده إلا بواجب أو مستحب أو مباح قصد به الطاعة والشكر " [3]

ومن هنا نلاحظ أن موقف السلف من التوحيد مختلف عن موقف المتكلمين الذين ركزوا علي توحيد الربوبية وتوحيد الصفات أكثر من تركيزهم علي توحيد الألوهية .

ويعترض البعض علي منهج السلف في تقسيم التوحيد علي هذا النحو السابق إذ لم يقل به النبي (ﷺ) ، فمن أين أتي به ابن تيمية وابن القيم ؟

---

١ – سورة يوسف آية (١٠٦) .

٢ – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية .

٣ – تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٧٢) .

والجواب أن كثيرا من مباحث علم الكلام لم يقل بها الرسول (ﷺ) ، وسائر التقسيمات في العلوم المختلف علي النحو المذكور في الكتب ، ولكن هذا الأمر كان اجتهادا من العلماء اقتضته ظروف البحث في هذا العلم ، ومع ذلك فكل هذه الاجتهادات لها أدلة من القرآن الكريم ، فتوحيد الذات والصفات والأفعال عند المتكلمين له أدلته ، كما أن توحيد الربوبية والألوهية عند السلف له شواهده من الكتاب الكريم .

غاية ما في الأمر أن هناك بدعا وانحرافات ظهرت في عصر ابن تيمية ، ولم تكن موجودة من قبل مما دفعه إلي معالجة هذه البدع من خلال حديثه عن التوحيد علي هذا النحو المذكور .

* **الصفات الخبرية :**

قلنا إن السلف لم يتوقفوا في الإثبات عند الصفات السبع المعروفة بصفات المعاني ، بل أثبتوا كل ما أثبته القرآن الكريم وأثبتته السنة لله رب العالمين بالتفصيل ، وكان من هذه الصفات ما يوهم ظاهره المشابهة بين الله وخلقه مثل صفات اليد والاستواء ، والضحك والفرح وغيرها مما عرف بالصفات الخبرية ، وقد سبق أن تعرفنا علي موقف المعتزلة والأشاعرة من هذه الصفات ، حيث أولها المعتزلة تأويلا تفصيليا بصرف اللفظ عن ظاهرة ، وتعيين معني آخر من عند أنفسهم . بينما اعتبرها الأشاعرة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله . فصرفوها عن الظاهر وفوضوا العلم في المعني والكيفية إلي الله .

وأما ابن تيمية وابن القيم الذين يعبرون عن المذهب السلفي ، فقد كان لهم موقف خاص من الصفات الخبرية حيث لم يعتبروا آيات الصفات الخبرية من المتشابه الذي لا يعلم معناه ، وإنما اعتبروها من المحكم المعلوم المعني .

وقالوا : بأن التشابه به في هذه الآيات أمر نسبي ، بمعني أن ما يشتبه علي هذا قد لا يشتبه علي ذلك ، فهناك آيات اشتبهت علي الجهمية كقوله ﴿ ليس

كمثله شيء ﴾ فذهبوا إلي نفي الصفات جملة ، ولكن العلماء فسروها بما أبان اشتباهها بحيث أصبحت من المحكم المعلوم المعني .

إذا فهذه الصفات لها معاني ثابتة ومعلومة ، ولابد من إجرائها علي ظاهرها ، ولكن كيفيتها الله أعلم بها ، ونحن لم نطالب إلا بمعرفة معني الآية وتدبر معناها ولم نكلف العلم بكيفيتها ، لأن معرفة الكيفية والحقيقة هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله .

وهكذا فرق ابن تيمية علم المعني وعلم التأويل . فالمعني يتعلق بمفهوم اللفظ ، وأما التأويل فيتعلق بالكيفية . والذي كف السلف أنفسهم عن الخوض فيه هو البحث عن الكيفية .

كما قالوا : لو كانت آيات الصفات غير معلومة لنا لخرج معظم القرآن عن أن يكون مفهوما لنا ، وهذا معارض لمنهج القرآن الذي أمر بتدبير آياته ، كما قال تعالي : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً** ﴾ (١) والحث علي تدبر القرآن وفق معناه يناقض القول بأن هناك آيات لا معني لها أولا يفهم معناها ، أو يجب الكف عن بيان معناها أو التفويض فيها (٢)

وقد أقام ابن القيم هذا المذهب علي أساس نفيه للمجاز في القرآن حيث قال :
إن تقسيم الألفاظ إلي حقيقة ومجازة ليس تقسيما شرعيا ولا عقليا ولا لغويا ، وليس صحيحا ما ادعاه البعض من أن الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، فالقرآن كله حقيقة لا مجاز فيه (٣) وهكذا فكل الصفات الخبرية من قبيل الحقيقة المعلومة المعني ، وأما

---

١ - سورة النساء آية (٨٢) .
٢ - ابن تيمية د / محمد اليسد الجليند ص (٥٨) .
٣ - الصواعق المرسلة لابن القيم ص (٢٨٤) .

عبارة الإمام مالك التى استدل بها الأشاعرة علي مذهبهم في التفويض ، فقد فسرها أساتذة المذهب السلفي بما يتفق ورأيهم السابق .

حيث قالوا مفاد النص : إن هناك معني معلوما لنا يجب علينا الإيمان به ، وإن هناك كيفا مجهولا عنا ، والسؤال عنه بدعة ، فهناك فرق بين معني الاستواء وبين كيفيته ، فما دام الاستواء معلوما فالآية ليس من المتشابه ، وإنما من المحكم المعروف المعني والتفسير ، وإنما الذي استأثر الله بعلمة هو الكيفية ، ولم يكلفنا الله إلا بمعرفة الآية وتدبر معناها ، ومن هنا فلله يد وقدم واستواء ، وعلو ونزول وغير ذلك ، ولابد من إجراء اللفظ علي ظاهر معناه مع عدم البحث عن كيفيته .

وقال أساتذة المذهب السلفي بأن هذا هو ما كان عليه صحابة رسول الله (ﷺ) ، فقد كانوا يعرفون معاني هذه الآيات ، ولم يثر موضوع المعني أمامهم أي مشكلة ، وهذا هو ابن مسعود يقول : " لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه أباط الإبل لأتيته " .

وكان صحابة رسول الله (ﷺ) يحفظون العشر آيات من كتاب الله ولا يجاوزونها حتى يفهموا معناها ، ويعملوا بما فيها ، فلو كانت الصفات الخبرية غير معلومة لهم لسألوا عنها . وهكذا يبرز أمامنا الخلاف بين الأشاعرة وبين ممثلي المذهب السلفي حول نقطة محددة وهي : التفويض وهل هو في المعني أو في الكيفية .

فالأشاعرة يقولون إنه في المعني والكيفية ،وبناء عليه يصرفون اللفظ عن ظاهره دون تحديد معني أو كيفية .

وابن تيمية وابن القيم يقولون : إن التفويض هو في الكيفية دون المعني ، فهو معلوم عندهم ، ومن هنا قالوا بإجراء اللفظ علي ظاهره .

ولكن نضيف في نقطة الخلاف هذه حين نعلم أنهما معا ، قد اتفقا علي عدم المشابهة بين الله وخلقه بأي وجه من وجوه التشابه ، فلله يد ، ولكن ليست كأيدي العباد ، وله وجه ، ولكن ليس كأوجه العباد ، وهكذا فالخالق ليس كمثله شيء ولا يشبه شيئا من خلقه ، ولا يشبهه أحد من خلقه .

وأما معتقد السلف في قضية أفعال العباد ، فقد قال ابن تيمية : بأن الله خالق لكل شيء ، والعبد فاعل ومريد ومختار ، وأن فعله حقيقة لا مجازا ، وبذلك جمع بين أدلة القائلين بالجبر وبين أدلة القائلين بالاختيار ، إلا أنه لم يوفق في حل هذا الإشكال [1]

ولكن ما أخذ علي ابن تيمية في جملة معتقداته التي نسبها إلي السلف هو اعتقاده بفناء النار ، وقوله بقيام الحوادث بذاته سبحانه وتعالي : وإن كانت نسبة هذه الأقوال إلي ابن تيمية وابن القيم موضع أخذ ورد من المؤيدين لابن تيمية والمعارضين له [2] .

السلفية اليوم :

كلمة السلفية – كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي – من الكلمات التي ظلمت اليوم من أنصارها وخصومها معا .

أما أنصارها فقد حصروها في شكليات وجدليات حول مسائل الصفات المتشابهة واليد والاستواء والعين والقدم ، أو مسائل شكلية مثل الخلاف في الأذان الأول والثاني يوم الجمعة ، والأذكار عقب الصلوات ، وتطويل الثوب وتقصيره وحلق اللحية وإطلاقها ، وغير ذلك من المسائل التي تحتمل الخلاف ، ولكن يصرون علي رأي واحد ويخطئون المخالفين ويكفرونهم ويفسقونهم

١ – أفعال الله وأفعال العباد د / سعد الدين السيد صالح ص (٦٣) .

٢ – الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة د / سعد الدين السيد صالح ص (١٥٠ . ١٦٦) بتصرف .

ويبدعونهم ، حتى خيل لبعض الناس أن منهج السلف هو منهج المراء والمجادلة لا منهج البناء والعمل .

وأما خصوم السلفية فهم يصفونها بالرجعية والجمود والانغلاق والتعصب ، فهي لا تسمع إلي الرأي الآخر ، ولا تلقي له بالا ، كما أنها ضد التجديد والإبداع والاجتهاد ، وأنها لا تعرف الوسط والاعتدال .

والحقيقة أن هذا ظلم للسلفية الحقيقية ولدعاتها الأصلاء ، ولعل أبرزهم ابن تيمية وابن القيم ، وهما أول من يمثل حركة التجديد الإسلامي في أزمنتهم ، ولقد كان تجديدهم شاملا لكل علوم الإسلام ، وقد وقفوا في وجه التقليد والعصبية المذهبية الفقهية والكلامية التي سادت وسيطرت علي العقل الإسلامي قرونا ، ومع أنهم وقفوا ضد المذهبية المقلدة ، وأنصفوا المذاهب وأعطوها حظا من التوقير والتقدير ، كما يبدوا ذلك في رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية .

فالسلفية كما نراها هي :

- سلفية المنهج الذي يمكن أن يعالج من خلاله أي مضمون وأي محتوي

- وهي سلفية ثورية بمعني أن دورها ليس دورا تبريريا للواقع القائم إذا كان هذا الواقع لا يعبر عن الإسلام الصحيح .

- وهي حركة معاصرة بمعني أنها تعبر عن أوضاع العصر وتعالجها من منطلق العودة إلي الأصول ، فإن هذه الأمة لن تصلح إلا بما صلح به أولها .

- وهي ليست حركة منغلقة علي نفسها ، بل منفتحة علي العصر ، تتعامل مع سائر الحضارات ، وتأخذ منها ما لا يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)

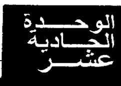
– والسلفية منهج وطريقة – كل من يسير عليها فهو سلفي – وليست سلفية مضمون ومحتوي فقط ، لأن السلف قديما واجهوا مشكلات غير التي يواجهها المسلمون في العصر الحديث ، ومن هنا كان لابد للسلفية في **المنهج من عصرية المواجهة** واتساع الأفق وتجاوز الخلافات ومعايشة العصر **بمنطق العصر** ما دام ذلك لا يخل بجوهر المنهج ولا يخرج علي أصل من الأصول المتفق عليها في الكتاب والسنة .

وهذا يستلزم البعد عن المسائل الخلافية ومحاولات نفي الآخر وتجنب سوء الظن بالناس ، والاجتماع علي نقاط الاتفاق ، والعذر بالجهل والخلاف ، وعدم التوسع في مفهوم البدعة بهذه الصورة التي تفرق ولا تجمع " (١)

ولما كانت السلفية كلمة مرادفة لمفهوم أهل السنة والجماعة ، فإننا نختم بحثنا هذا بالكلام عن أهل السنة والجماعة ، كمنهج وسط ، ومنهج متكامل

---

١ – أولويات الحركة الإسلامية د / يوسف القرضاوي ، الفرقة والجماعات الإسلامية المعاصرة د / سعد الدين السيد صالح .



أهل السنة والجماعة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة ، أن تكون ملماً بما يلي :

١ – التعريف بأهل السنة والجماعة .

٢ – التأسيس .

٣ – أصول أهل السنة والجماعه .

٤ – عقيدة أهل السنة والجماعة .

* أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة .

الوحدة الحادية عشر	أهل السنة والجماعة

أولاً : التعريف :

١

تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة أهل الإيمان الجازم بالله تعالي ، وما يجب له من التوحيد والطاعة ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر ، وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية

ثانياً : التأسيس :

ويعد الرسول (ﷺ) هو المؤسس لهذه الجماعة ، وأصحابه هم أهلها الأولون ، وقد سميت هذه الجماعة بأهل السنة لاستمساك أصحابها بسنة النبي (ﷺ) ، وسميت بالجماعة لأنها جماعة المسلمين الذين اجتمعوا علي الحق ولم يتفرقوا في الدين ، وتابعوا منهج أئمة الحق ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور الدين ، وهم أهل الأثر أو أهل الحديث ، أو الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية ، فتلك أهم أسمائها .

ثالثاً : أصول أهل السنة والجماعة : هي أصول الإسلام الذي هو العقيدة بلا فرَق ولا طرق ، ولذلك فإن قواعد وأصول أهل السنة في مجال التلقي والاستدلال تتمثل في الآتي :

– مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، وإجماع السلف الصالح .

- كل ما ورد في القرآن الكريم هو شرع للمسلمين ، وكل ما صح من سنة رسول الله (ﷺ) وجب قبوله وإن كان آحاداً .

- المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها ، وفهم السلف الصالح ومن سار علي منهجهم .

- أصول الدين كلها قد بينها النبي (ﷺ) ، فليس لأحد تحت ستار أو شعار أن يحدث شيئاً في الدين ، زاعماً أنه منه .

- التسليم لله ولرسوله (ﷺ) ظاهراً وباطناً ؛ فلا يعارض شخص الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشف مزعوم ، ولا قول شيخ موهوم أو إمام معصوم ولا غير ذلك .

- العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيا بينهما ، وعند توهم التعارض يقدم النقل علي العقل .

- يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة ، وتجنب الألفاظ البدعية .

- العصمة ثابتة لرسول الله (ﷺ) ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع علي الضلالة ، أما آحادها فلا عصمة لأحد منهم ، والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة .

- الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة والفراسة الصادقة حق وهي كرامات ومبشرات – بشرط موافقتها للشرع – غير أنها ليست مصدرا للعقيدة ولا للتشريع .

- المراء في الدين مذموم ، والمجادلة بالحسنى مشروعة ، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه .

- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد ، ولا ترد البدعة ببدعة ، ولا يقابل الغلو بالتفريط ولا العكس .

- كل محدثة في الدين بدعة – وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

رابعاً : عقيدة أهل السنة والجماعة : (التوحيد العملي الاعتقادي) – الاعتقاد بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

- الأصل في أسماء الله وصفاته : إثبات ما أثبته الله تعالي لنفسه أو أثبته له رسوله (ﷺ) من غير تمثيل ولا تكييف ، ونفي ما نفاه الله تعالي عن نفسه أو نفاه عنه رسوله (ﷺ) من غير تحريف ولا تعطيل ، كما قال تعالي : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص ، وما دلت عليه .

- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالا ، وأما تفصيلا ، فيما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم بحسب علم المكلف .

- الإيمان بالكتب المنزلة جمعيها ، وأن القرآن الكريم أفضلها ، وناسخهـا ، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف ، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه .

- الإيمان بأنبياء الله ورسوله – صلوات الله وسلامه عليهم – وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر ، ومن زعم غير ذلك فقد كفر .

- الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد (ﷺ) ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر .

- الإيمان باليوم الآخر ، وكل ما صح فيه من الأخبار ، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط .

- الإيمان بالقدر ، خيره وشره من الله تعالي ، وذلك : الإيمان بأن الله تعالي علم ما يكون قبل أن يكون ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وأن ما شاء الله كان ، ما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون إلا ما شاء ، والله تعالي علي كل شيء قدير ، وهو خالق كل شيء ، فعال لما يريد .

- الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات ، كالعرش والكرسي ، والجنة والنار ، ونعيم القبر وعذابه ، والصراط والميزان ، وغيرها دون تأويل شئ من ذلك .

- الإيمان بشفاعة النبي (ﷺ) ، وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين ، وغيرهم يوم القيامة ، كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة .

- رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة ، وفي المحشر حق ، ومن أنكرها أو أولها فهو زائغ ضال ، وهي لن تقع لأحد في الدنيا .

- كرامات الأولياء والصالحين حق ، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة ، بل قد يكون استدراجا ، وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين ، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها .

- المؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر ايمانه

" التوحيد الارادي الطلبي (توحيد الألوهية)

- الإيمان بأن الله تعالي واحد أحد ، لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

وهو رب العالمين ، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة .

ولا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله ، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا ولي صالح أو غيرهم .

– من أصول العبادة أن الله تعالي يعبد بالحب والخوف والرجاء جميعا ، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال .

– التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله (ﷺ) ، والإيمان بالله تعالي حَكَما من الإيمان به ربا وإلها ، فلا شريك له في حكمه وأمره ، وتشريع ما لم يأذن به الله ، والتحاكم إلي الطاغوت ، واتباع غير شريعة محمد (ﷺ)، وتبديل شيء منها كفر ، ومن زعم أن أحداً يسعه الخروج عنها فقد كفر .

– الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر ، وقد يكون كفرا دون كفر فالأول التزام غير شرع الله – أو تجويز الحكم به ، والثاني العدول عن شرع الله ، في واقعة معينة لهوي مع الالتزام بشرع الله .

– تقسيم الدين إلي حقيقة يتميز بها الخاصة ، وشريعة تلزم العامة دون الخاصة ، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل ، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها ، فهو إما كفر ، وإما ضلال ، بحسب درجته .

– لا يعلم الغيب إلا الله وحده ، واعتقاد أن أحدا غير الله يعلم الغيب كفـــر ، مع الإيمان بأن الله يطلع بعض رسله علي شيء من الغيب .

– اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر ، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة

– الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما تقرب إلي الله تعالي من الطاعات المشروعة .

- والتوسل ثلاثة أنواع :

١ – مشروع : هو التوسل إلي الله تعالي بأسمائه وصفاته أو بعمل صالح من المتوسل ، أو بدعاء الحي الصالح .

٢ – بدعي : هو التوسل إلي الله تعالي بما لم يرد في الشرع ، كالتوسل بذاوت الأنبياء والصالحين ، أوجاههم أو حقهم ، أو حرمتهم ، ونحو ذلك .

٣ – شركي : وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة ، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك .

- البركة من الله تعالي ، يختص بعض خلقه بما شاء منها ، فلا تثبت في شئ إلا بدليل ، وهي تعني كثرة الخير وزيادته ، أو ثبوته ولزومه . والتبرك من الأمور التوقيفية ، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل .

- أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع :

١ – مشروع : هو زيارة القبور لتذكر الآخرة ، وللسلام علي أهلها ، والدعاء لهم .

٢ – بدعي ينافي كمال التوحيد ، وهو وسيلة من وسائل الشرك ، وهو قصد عبادة الله تعالي والتقرب إليه عند القبور ، أو قصد التبرك بها ، أو إهداء الثواب عندها ، والبناء عليها ، وتجصيصها واسراجها ، واتخاذها مساجد ، وشد الرحال إليها ، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه ، أو مما لا أصل له في الشرع .

٣ – شركي ينافي التوحيد ، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر ، كدعائه من دون الله . والاستعانة والاستغاثة به والطواف ، والذبح ، والنذر له ، ونحو ذلك .

- الوسائل لها حكم المقاصد ، وكل ذريعة تؤدي إلي الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ..

الإيمان :

- الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فهو : قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب : اعتقاده وتصديقه وقول اللسان : إقراره ، وعمل القلب : تسليمه وإخلاصه وإذعانه ، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة ، وعمل الجوارح : فعل المأمورات ، وترك المنهيات .

- مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه ، والموحدون كلهم مصيرهم إلي الجنة ، وإن عذب منهم بالنار من عذب ، ولا يخلد أحد منهم فيها قط .

- لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه .

- الكفر من الألفاظ الشرعية ، وهو قسمان : أكبر مخرج من الملة ، وأصغر غير مخرج من الملة ، ويسمي أحيانا بالكفر العلمي .

- التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلي الكتاب والسنة ، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي علي ذلك ، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر علي قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع ، والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم .

القرآن والكلام :

– القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وهو معجز دال علي صدق من جاء به (ﷺ) ، ومحفوظ إلي يوم القيامة

القدر :

– من أركان الإيمان : الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالي ، ويشمل :

– الإيمان بكل نصوص القدر (العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق) وأنه تعالي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

– هداية العباد وإضلالهم بيد الله ، فمنهم من هداه الله فضلا ، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلا .

– العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالي ، الذي لا خالق سواه ، فالله خالق لأفعال العباد ، وهم فاعلون لها علي الحقيقة .

– إثبات الحكمة في أفعال الله تعالي ، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالي

الجماعة والإمامة : الجماعة هم أصحاب النبي (ﷺ) ، والتابعون لهم بإحسان ، المتمسكون بآثارهم إلي يوم القيامة ، وهم الفرقة الناجية .

– وكل من التزم بمنهجهم فهو من الجماعة ، وإن أخطأ في بعض الجزئيات .

- لا يجوز التفرق في الدين ، ولا الفتنة بين المسلمين ، ويجب رد ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب الله ، وسنة رسوله (ﷺ) ، وما كان عليه السلف الصالح .

- من خرج عن الجماعة وجب نصحه ، ودعوته ، ومجادلته بالتي هي أحسن ، وإقامة الحجة عليه ، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعاً

- إنما يجب حمل الناس على الجُمَل الثابتة بالكتاب والسنة ، والإجماع ، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة والمعاني العميقة .

- الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد ، حتى يظهر خلاف ذلك ، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن ، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلف التأويلات له .

- الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة ، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم ، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف ومناصحته ، وحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر كفر منه بواح فيه من الله برهان .

- الصلاة والحج والجهاد واجبة مع أئمة المسلمين وإن جاروا .

- يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا ، أو الحمية الجاهلية ، وهو أكبر الكبائر ، وإنما يجوز قتال أهل البدعة والبغي وأشباههم ، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك ، وقد يجب بحسب المصلحة والحال .

- الصحابة الكرام عدول ، وهم أفضل هذه الأمة ، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة ، ومحبتهم دين وإيمان ،

وبغضهم كفر ونفاق ، مع الكف عما شجر بينهم ، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم .

- وأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وهم الخلفاء الراشدون ، وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم .

- ومن الدين محبة آل بيت رسول الله (ﷺ) ، وتوليهم ، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين ، ومعرفة فضلهن ، ومحبة أئمة السلف ، وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان ، ومجانبة أهل البدع والأهواء .

- الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ، وهو ماض إلي قيام الساعة.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام ، وأسباب حفظ جماعته ، وهما يجبان بحسب الطاقة ، والمصلحة معتبرة في ذلك.

رابعاً : أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة :

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وكما أن لهم منهجا اعتقاديا فأن لهم أيضاً منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم ، لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي شرعه النبي (ﷺ) ، وهم علي تفاوت فيما بينهم ، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم ، منها :

- الاهتمام بكتاب الله : حفظاً ، وتلاوة ، وتفسيراً ، والاهتمام بالحديث : معرفة وفهما وتميزاً لصحيحه من سقيمه ، (لأنهما مصدراً التلقي) مع اتباع العلم بالعمل .

- الدخول في الدين كله ، والإيمان بالكتاب كله ، فيؤمنون بنصوص الوعد ، ونصوص الوعيد ، وبنصوص الإثبات ونصوص التنزيه ، ويجمعون

بين الإيمان بقدر الله ، وإثبات إرادة العبد ومشيئته ، وفعله ، كما يجمعون بين العلم والعبادة ، وبين القوة والرحمة ، وبين العمل مع الأخذ بالأسباب ، وبين الزهد .

- الاتباع ، وترك الابتداع والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين .

- الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدي العدول ، المقتدي بهم في العلم والعمل أو الدعوة من الصحابة ومن سار علي نهجهم ومجانبة من خالف سبيلهم .

- التوسط : فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط ، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطين والمَّفرطين .

- الحرص علي جمع كلمة المسلمين علي الحق وتوحيد صفوفهم علي التوحيد والاتباع ، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم .

- ومن هنا لا يتميزون عن الأئمة في أصول الدين باسم سوي السنة والجماعة ، ولا يوالون ولا يعادون علي رابطة سوي الإسلام والسنة .

- يقومون بالدعوة إلي الله الشاملة لكل شيء في العقيدة والعبادات وفي السلوك والأخلاق وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاجه كل مسلم ، كما أنهم يحذرون من النظرة التجزيئية للدين فينصرون الواجبات والسنن كما ينصرون أمور العقائد والأمور الفرعية . ويعلمون أن وسائل الدعوة متجددة فيستفيدون من كل ما جد وظهر ما دام مشروعا . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يوجبه الشرع . والجهاد ، وإحياء السنة ، والعمل لتجديد الدين ، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة ، ويحذرون من التحاكم إلي الطاغوت أو إلي غير ما أنزل الله .

– الإنصاف والعدل : فهم يراعون حق الله تعالي – لا حق النفس أو الطائفة ، ولهذا لا يغلون في مُوال ، ولا يجورون علي معاد ، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيا كان ، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال علي أنهم معصومون ، وقاعدتهم في ذلك : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي (ﷺ) ، وأنه لا عصمة إلا للوحي وإجماع السلف .

– يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح النزاع فيها دون أن يضلل المخالف في هذه المسائل فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم جل وعلا ونبيهم (ﷺ) .

– يعتنون بالمصالح والمفاسد ويراعونها ، ويعلمون أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها ، حيث درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح .

– أن لهم موقفا من الفتن عامة : ففي الابتلاء يقومون بما أوجب الله تعالي تجاه هذا الابتلاء .

– وفي فتنه الكفر يحاربون الكفر ووسائله الموصلة إليه بالحجة والبيان والسيف والسنان ، بحسب الحاجة والاستطاعة .

– وفي الفتنه يرون أن السلامة لا يعدلها شيء ، والقعود أسلم إلا إذا تبين لهم الحق وظهر بالأدلة الشرعية فإنهم ينصرونه ويعينونه بما استطاعوا .

– يرون أن أصحاب البدع متفاوتون قربا وبعدا عن السنة فيعامل كل بما يستحق . ومن هنا انقسمت البدع إلي : بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة ، والشيعة المفضلة ، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير

أصحابها مثل الخوارج والروافض ، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية المحضة .

- يفرقون بين الحكم المطلق علي أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر ، وبين الحكم علي المعين حتى يبين له مجانبة قوله للسنة ، وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة .

- ولا يجوزون تكفير أو تفسيق أو حتى تأثيم علماء المسلمين لاجتهاد خاطئ أو تأويل بعيد خاصة في المسائل المختلف فيها .

- يفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته والمظهر لها والداعي إليها .

- يفرقون بين المبتدعة من أهل القبلة مهما كان حجم بدعتهم وبين من علم كفره بالاضطرار من دين الإسلام كالمشركين وأهل الكتاب ، وهذا في الحكم الظاهر علي العموم مع علمهم أن كثيراً من أهل البدع منافقون وزنادقة في الباطن .

- يقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم ، والتحذير منهم ، وإظهار السنة وتعريف المسلمين بها وقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط .

- يصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال ما لم يظهر منه بدعة أو فجور ، فلا يردون بدعة ببدعة .

- لا يجوزون الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور مع إمكانها خلف غيره ، وإن وقعت صحت ، ويؤثمون فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم ، فإن لم يوجد إلا مثله ، أو شر منه جازت خلفة ولا يجوز تركها ، ومن حُكِمَ بكفره فلا تصح الصلاة خلفه .

- فرق أهل القبلة الخارجين عن السنة متوعدون بالهلاك والنار ، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد إلا من كان منهم كافراً في الباطن .

- والفرق الخارجة عن الإسلام كفار في الجملة ، وحكمهم حكم المرتدين .

- لا يمنعهم ذلك كله من الدعاء لأهل البدع بالهداية وطلب الرحمة والاستغفار ما لم يعلم نفاقهم وكفرهم باطنا .

- ولأهل السنة والجماعة أيضاً منهج شامل في تزكية النفوس وتهذيبها ، وإصلاح القلوب وتطهيرها ، لأن القلب عليه مدار إصلاح الجسد كله وذلك بأمور منها :

- إخلاص التوحيد لله تعالي والبعد عن الشرك والبدعة مما ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله .

- التعرف علي الله جل وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلي ومدارستها وتفهم معانيها والعمل بمقتضياتها ، لأنها تورث النفس الحب والخضوع والتعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله تعالي .

- طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنوافل كاملة مع العناية بالذكر وتلاوة القرآن الكريم والصلاة علي النبي (ﷺ) والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله تعالي .

- اجتناب المحرمات والشبهات مع البعد عن المكروهات .

- البعد عن رهبانية النصرانية ، والبعد عن تحريم الطيبات ، والبعد عن سماع المعازف والغناء وغير ذلك .

- يسيرون إلي الله تعالي بين الخوف والرجاء ، ويعبدونه تعالي بالحب والخوف والرجاء .

ومن أهم سماتهم : التوافق في الأفهام ، والتشابه في المواقف ، رغم تباعد الأقطار والأعصار ، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي .

- الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة ، فهم يأتمون بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم .

- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

- الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم ، وأداء حقوقهم ، وكف الأذى عنهم

- موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره ، ولو كان أقرب قريب .

- لا يعد من اجتهد في بيان نوع من أصول أهل السنة مبتدعا ولا مفرطا ما دام لا يخالف شيئا من أصول أهل السنة والجماعة .

- كل من يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة ويعمل علي هديها فهو من أهل السنة ولو وقع في بعض الأخطاء التي يبدع من خالف فيها ([1])

---

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة د / مانع بن حماد الجهني ج ١ ص (٤٠) الناشر / دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع .

الخــاتمة

الحمد لله وكفي ، وسلام علي عباده الذين اصطفي ،

أمــا بعـــد

فهذا الكتاب تناول قضية بالغية الأهمية، وإن كنت أعلم أنني لســت أول من كتب فيها ، وربما لست الأخير أيضا ، وهذه القضــية قــد تناولهـــا علماء كثر من القدامي والمحدثين ، فأردت أن أختصــر مــا كتبــوه ، وأجمع ما قالوه ، وأحقق ما سطروه ، ليعطي فكرة مستوفاه عن الفرق الإسلامية ، ونشأتها وأصولها وأفكارها ، ومن وراءهــا ، وإن كــان الحديث عن الفرقة والفرق من الأشياء التي يضيق بها صدر الإنسان ، ويصاب بالحزن وتغمره الكآبة لما يدرك من أمــر معناهــا ومظاهرهــا وثمراتها وما رأينا دينا يحرص علي وحدة الكلمة واجتماع الصف مثــل الإسلام ، ومع ذلك وقعت الفرقة وضربت بأطنابها كل الجهات ، ولكــن تشخيص الداء طريق لمعرفة الدواء ، وهذا الذي حاولت أن أفعله مــن خلال كتابي هذا ، كما أردت أن أوقف طالب العلم علي هــذه الفــرق ، بطريقة منهجية سهلة ومبسطة ، وبدلا من رجوعه إلــي المزيــد مــن المراجع ، يجد ذلك في متناول يديه من خلال ما سطرناه ، ونحن نريــد بذلك خير " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليــه توكلت وإليه أنيب"

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تحريرا في ١/١/٢٠٠٢م

كتبه

أبو حفص

عمر بن عبد العزيز قريشي

الفهرس

الفهرس

الفهـــرس